التابوت

رواية

عمرو أنور

داركتاب للنشروالتوزيع



كتاب

مسئول النشر

طارق رمضان

مدير التوزيع

عمر عبد السميع

مدير العلاقات

مها عادل

الطبعة الأولى

الكتاب : التابوت

تأليف : عمرو أنور

تصنيف الكتاب : رواية

مصمم الغلاف : عبد الرحمن سندوبى

إخراج : أحمد عبد الرحمن

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٠٤٠٧ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 7 - 29 - 6597 - 977 - 978

العنوان : ٤٧ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر

التليفون : ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

Email : darkitabone@gmail.com

إهداء إلى . . . .

أمي وأبي علماني

أن العطاء دون توقف يؤدي إلى سعادة بلا حدود

زوجتي

ساندتني طوال رحلة العمر

أولادي

لكم مني كل الحب والشكر



مُقدّمة

تـدور أحـداث الروايـة التـي بـين أيدينـا حـول شـاب وفتـاة كانـا يتنزهـان في إحـدى أحـراش الغابـات

تركـت الفتـاة يـد حبيبهـا ثـم اختفـت، أسرع يجـري باحثـاً عنهـا في كل مـكان حولـه، خـلال رحلـة بحثـه عنهـا رأى كوخاً مـن الخـوص فـوق أحـد التـلال، اتجـه إليـه، قـرع البـاب فأجابـه سـاكن الكـوخ وكان شـيخاً لا يجيـد الـكلام، سـأله الفتـى عـن حبيبتـه، فأجـاب بأنـه لم يرهـا ، بـل لم يـرَ إنسـانًا في هـذا المـكان مـن أزمـان ، ونصحـه بالبحـث عنهـا في (قلعـة النسـيان) وأشـار إلى قـصر فـوق الجبـل .

ذهـب الفتـى مسرعـاً إلى هنـاك ومـا إن اقـترب مـن أسـوار القلعـة حتـى سـمع صوتـاً يطالبـه بالابتعـاد وإلا سـيحترق المـكان .

عاد الفتى إلى الشيخ وقص عليه ما كان، فقال له :



ـ أعرف سرداباً يؤدي إلى حديقة القصر مباشرة هيا بنا.

رافقه الشيخ حتى وصلا إلى نهاية السرداب ، ثم طلب منه أن يكمل هو البحث عن حبيبته على أن يعود الشيخ إلى كوخه ؛ لأنه لا يستطيع أن يتحمل مشاق البحث عن الفتاة ونصحه بأن يستمر في البحث عنها .

وصل الفتى إلى حديقة القصر عبر السرداب، وما أن وطئت قدمه المكان حتى سمع أصواتا غريبة ليست لإنسان وشعر بأن هناك من يراقبه ، كلما دخل غرفة من غرف القصر استمع إلى قصة أو أسطورة حدثت في غابر الزمان

في الغرفة الأولى، محور الجزء الأول :

وجد ابنة ملك، أحبت حطّاباً أنقذها من الموت على يد ذئب حاول افتراسها، أسره الأعداء خلال دفاعه عن المملكة، ومازالت تنتظر عودته إليها بسلام .

وفي الغرفة الثانية، محور هذا الجزء :

وجد طفلة صغيرة كلما اقتربت من ساحرة عجوز تعالى صراخها، واستمر بكاؤها على جرم اقترفته في حق هذه الطفلة .



التابوت

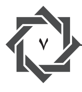
بينما كانت السيدة العجوز تتحدث إليَّ عن أنها سوف تظل في هذا المكان جالسة على كرسيها الهزاز تنتظر حبيبها الغائب الأمير «شهاب» سمعتُ صوت أقدام تقترب من باب غرفتها، التفتُ إليها فوجدت علامات الدهشة ارتسمت على وجهها فبدت علامات الارتياب والقلق واضحة على وجهي .

نظرت إليها وسألتها :

ـ هل تنتظرين أحدًا سيدتي ؟

ـ لا، ولكن ربما يكون حراس القلعة قد عرفوا أنك استطعت التسلل إلى غرفتي، فجاءوا إلى هنا للنيل منك، كما قلت لك هذه الغرفة لم تطأها الأقدام من أزمان .

ـ ما العمل إذن سيدتي ؟



ـ عليك بالاختباء !

قلـت أيـن ؟ وعلامـات الدهشـة ترتسـم عـلى وجهـي، لايوجـد مـكان أختبـئ بـه !!!

ـ بـل يوجـد يـا بنـى، أسرع بالاختبـاء، إن عثـروا عليـك، ربـما لـن تسـتطيع الخـروج مـن هـذا المـكان إلى الأبـد .

ـ لكـن مـولاتي الأمـيرة، أنـا لم أفعـل شـيئا لهـم، أنـا فقـط أبحـث عـن حبيبتـي التـى اختفـت مـن أيـام ولم تـترك أثـرا سـوى عنقـود معلـق عـلى أحـد أغصـان الأشـجار، فقادتنـى قدمـاي إلى هـذا المـكان راوغـت الحـراس، ومازلـت أبحـث عـن حبيبتـي، أجيبيني قبـل أن أرحـل، هـل مازالـت هـي في أمـان، وأيـن هـى الآن ؟

ـ يـا ولـدي حـراس القلعـة أشـداء، إن عثـروا عليـك سـيكون ذلـك بالنسـبة لـك آخـر الزمـان ! مـازال صـوت وقـع الأقـدام عـلى الأرض يتضـح أكثـر فأكثـر، إنهـم يقتربـون يـا ولـدي، أتـرى هـذا التابـوت في آخـر الغرفـة .

ـ نعم سيدتي

ـ ارفع غطاءه وانظر بداخله .

أسرعـت الخطـى إلى التابـوت وأنـا أشـعر أن خطـوات حـراس القلعـة تقـترب مـن بـاب غرفـة الأمـيرة «عليـاء»،



وضعـت كلتـا يـداي تحـت الغطـاء ورفعتـه بسرعـة مـا إن سـمعت صـوت الأقـدام يتوقـف بالقـرب مـن بـاب غرفتهـا، نظـرت بداخلـه، لم أرَ شـيئًا، فقـد كان المـكان مظلـماً .

قالت السيدة العجوز وهى تتعجل انصرافي :

ـ أسرع يـا ولـدي، هنـاك إلى أقـصى اليمـين يـدًا حديديـة صغـيرة، ادفعهـا لأسـفل .

ـ نعـم سـيدتي لقـد وضعت يـدي عليها، وهـا أنـا ذا أدفعها .

ما أن فعلت حتى تحرك التابوت ناحية اليمين قليلا .

ـ أترى الغطاء أسفله .

ـ لا سيدتي، ظهر جزء منه فقط .

ـ يبـدو يـا ولـدي أنـه لم يتحـرك بكاملـه ناحيـة اليمـين، عليـك أن تدفعـه بكلتـا يديـك وبقـوة حتـى يكمـل دورتـه، لم يفعـل أحـد ذلـك منـذ سـنوات، يبـدو أن الصـدأ قـد أعـاق حركـة السلاسـل، لامفـر الآن مـن اسـتعمال يديـك، المهـم أن تنجـز هـذا العمـل قبـل أن يفاجئنـا الحـراس بدخـول الغرفـة .

ـ قلـت لهـا وأنـا أحـاول بكلتـا يـديَّ رفـع التابـوت جهـة اليمـين، يبـدو أن دفعـه باليـد لـن يجـدي سـيدتي، سـأفعل مـا أراه صوابـا، جلسـت عـلى الأرض القرفصـاء ثـم دفعـت التابـوت بكلتـا قدمـاي، سـمعت صـوت السلاسـل



وهـــى تتحــرك ببــطء وتصــدر صــوتَ احتــكاك قــوى .

استدارت السيدة العجوز بكرسيها وقالت :

ـ أسمع أصوات طرق على الباب، أسرع يا بنى .

قلت وأنا أدفع التابوت بكلتا قدماي بقوة :

ـ حسنا سيدتي لقد أكملت دفعه .

ولمــا تحسســت بيــدي المــكان الــذي كان تحتــه، وجــدت بــروزاً خفيفــاً لغطــاءٍ مــن الخشــب وفي المنتصــف مــا يشــبه حــدوة الحصــان .

قامــت الســيدة العجــوز مــن عــلى مقعدهــا واقتربــت ببــطء مــن مــكان التابــوت وقالــت :

ـ اجــذب هــذه الحــدود لأعــلى، ســوف يتحــرك هــذا الإطــار الخشــبى ناحيــة اليســار كاشــفا عــن كــوة أســفله، تحــت هــذه الكــوة سُــلّم صغــير، عليــك النــزول عليــه ببــطء، واحــذر أن تنزلــق قدمــك فتســقط مــن عليــه، مــا إن تبــدأ في النــزول حتــى أعيــد حــدوة الحصــان هــذه إلى مكانهــا، حينئــذ ســيعود كل شيء إلى مــا كان عليــه .

ـ ولكن سيدتي........

قاطعتني قائلة :



ـ أعـرف مـا يـدور بخلـدك يـا ولـدي ! سـتعرف مـا تريـد في الوقت المناســب .

ـ كيـف سـيدتي أنـت حتـى لم تجيبينـي عـن سـؤال واحـد ممـا يـدور في خلـدي ! أيـن حبيبتـي وأيـن أجدهـا ؟

ـ أسرع يـا بنـى، فصـوت الطـرق عـلى بـاب الغرفـة في تزايـد مسـتمر .

وضعــت إحــدى قدمــاى عــلى أول الســلم ثــم وضعــت قدمــي الأخــرى، وبــدأت النــزول برويــة خشــية الســقوط، حتــى لم يتبقــى مــن جســدى خــارج هــذه الكــوة إلا رأسي وأنــا أنظــر في عينيهــا وأقــول : بــالله عليــك ســيدتي هــل حبيبتــي بأمــان ؟ وأيــن أجدهــا ؟

قالــت الســيدة العجــوز وهــى تدفــع حــدوه الحصــان بكلتــا يديهــا ليعــود كل شيء كــما كان :

ـ أخلـص الفعـل قبـل القـول يهديـك الدَّيـان، وتنتـصر عـلى اللئـام وتظـل حبيبتـك في أمـان !!!

مــا أن خفضــت رأسي، تحــرك الإطــار الخشــبى فــوق رأسي فأغلــق الكــوة، وســمعت السلاســل وهــى تتحــرك ثانيــة إلى الخلــف، وأحسســت بالســلم الــذى كنــت أقــف عليــه وهــو يهتز اهتــزازا خفيفــا مــن جــراء تحــرك هــذا التابــوت وهــو يعــود إلى مكانــه .



ماذا أفعل الآن ؟ هل أواصل النزول من على هذا السلم الذى يبدو متآكلا ؟ أم أقف مكانى أحاول الاستماع إلى ما يدور في غرفة هذه السيدة ؟ ولكن ما فائدة انتظارى هنا ؟ لن يجدينى هذا نفعا، لا فائدة من الانتظار هنا في هذا المكان دون حراك .

الأمر الغريب أنني لم أتسلل إلى هذه القلعة إلا للبحث عن حبيبتي، لم أغامر بالحضور لكى أستمع إلى قصة هذه السيدة مع حبيبها «شهاب»، حتى قصتها مع حبيبها المفقود توقفت عند جزء معين، وأثارت أسئلة كثيرة ومحيرة، هل قتله الأعداء ؟ إلى متى ستنتظر حضوره ؟ هل أرسَلَ والدها الملك حملة عسكرية لإنقاذه ؟ وهل أنجزت الحملة المهمة وأنقذته من الأسر أم فشلت وظل هو أسيرا؟ هل مازال على قيد الحياة أم أنه لم يتحمل التعذيب الوحشى ؟ وهل .....وهل......وهل......

كل هذه الأسئلة دارت في رأسي ولم أجد لها إجابات شافية .

ما العمل إذن، لقد أمرتني السيدة العجوز أو قل الأميرة «علياء» بالنزول إلى هذا المكان للاختباء من حراس القلعة، فعادت الأسئلة المحيرة لتطل من رأسي من جديد، ومنها هذا السؤال، إلى أين يفضى هذا السلم ؟



أحسست أنني قد عدت ثانية إلى نقطة البداية، مازالت حبيبتي مختفية ولا أعلم عنها شيئا تحسست بقدمى درجة السلم الأدنى، محاولا النزول ببطء حتى لا تنزلق قدمى فأسقط، لقد حذرتنى السيدة العجوز من مغبة السقوط من على هذا السلم .

نظرت لأسفل، لم أرَ شيئا، الظلام الحالك يخيم على المكان إلا من ضوء خافت، أحسبه ضوء شمعة ولكنى ما زلت أسمع أصوات مختلفة، أسمع أصواتا قادمة من أسفل السلم الذى أقف عليه وهناك أصواتا أخرى من أعلى، لا أعرف مالذى يجب علىَّ فعله، أنتظر......أم أطرق بيدى على ذلك البرواز الخشبى أعلى رأسي، كى أطلب من السيدة العجوز أن تفتحه لى وأصعد إلى غرفتها ثانية وأمسك بتلك البلورة لأرى أين ذهبت حبيبتى، ولكن ماذا لو كان حراس القلعة متواجدون في غرفتها يبحثون عن غريب ؟

يا إلهى، تكاد تفتك الأسئلة برأسي، حتى هذه اللحظة لم أتخذ القرار الصائب، هل أعود من حيث جئت ؟ بمعنى آخر أن أظل أطرق غطاء هذه الكوة فوق رأسي وليكن ما يكون، أم أغامر بالنزول إلى المجهول، ولكن ماذا إن عثر علىَّ حراس القلعة في غرفة السيدة العجوز ؟ ماذا سيفعلون بي ؟ هل ستقنعهم إجابتى بأننى حضرت إلى هذا



المـكان للبحـث عـن حبيبتـى التــى اختفـت مـن سـاعات أم سـيفعلون بي مـا فعلـه جنـد الأعـداء بالأمـير «شـهاب» ؟

أخـيرًا اسـتقر رأيـي عـلى أن أهبـط بحـذر إلى الأسـفل، طريق العـودة أصبـح مسـدودا أمامـى، لـو ظللـت أطـرق بكلتـا يـدي وبـكل قـوة عـلى غطـاء الكـوة فـوق رأسي، لـن يسـمعني أحـد، ربـما بسـبب وجـود هـذا الصنـدوق الـذى يشـبه التابـوت فـوق غطـاء الكـوة .

بـدأت الهبـوط بقـدم وراء الأخرى في حذر خشـية السـقوط .

يبــدو أن هــذا الســلم المصنــوع مــن الخشــب قــد أعيتــه السـنون، السـؤال الـذى يلـح عـليَّ بشـدة الآن وأبحـث لـه عـن إجابـة شـافية هـو، لمـاذا حجـرة هـذه السـيدة العجـوز بهـا بـاب يـؤدى لـسرداب ؟ وهـو الذى دخلـتُ منـه ووصلت إليهـا، وفي نفـس الوقـت فيهـا صنـدوق يشـبه التابـوت في شـكله وحجمه، وفي أسـفله كـوة بهـا سـلم وهـو الـذى أقـف عليـه الآن ؟

لمـاذا إذن اختـارت السـيدة العجـوز أن أخرج مـن الغرفة عن طريـق هذه الكوة وهذا السـلم المتـآكل، لماذا لم تشر عـليَّ بالخروج مـن بـاب الـسرداب الـذى سـلكته سـابقا وحـضرت إليهـا .

ناهيـك عـن السـؤال المهـم والـذى لم أسـتطع التوصـل إلى إجابـة عنـه، أيـن اختفـت حبيبتـي ؟

هــل كانــت الأمــيرة «عليــاء» تدفعنــي للبحــث في اتجــاه معــين، لــو أخرجتنــى مــن البــاب الــذى دخلــت منــه فســوف أعــبر الــسرداب إلى حديقــة القلعــة ومنهــا إلى الخــارج وأعــود ثانيــة إلى كــوخ الرجــل العجــوز الــذى دلنــى عــلى هــذه القلعــة وقــال : ابحــث فيهــا عــن حبيبتــك !!!

ولكنهــا دفعتنــي للبحــث في اتجــاه آخــر تمامــا، ربــما لأنهــا تعــرف مــن خــلال البلــورة الســحريةُ المــكان الــذى تتواجــد فيــه حبيبتــي ! ربــما........

هذه الأسئلة تكاد تفتك برأسى .

الساحرة

بعـد فـترة مـن الـتردد دامـت طويـلا وأنـا أقـف أعـلى هـذا السـلم، قـررت أن أتخـذ القـرار وأن أتحـلى ببعـض الشـجاعة، نزلـت درجـة أخـرى مـن السـلم وأنـا أنظـر لأسـفل مـرة ولأعـلى مـرة أخـرى، كأنـما يشـير عـليَّ عقـلى بـشيء مختلـف عـما يشـير بـه عـليَّ حدسـى .

عقـلى يدفعنـى دفعـا للصعـود لأعـلى والطـرق بقـوة عـلى الغطـاء الخشـبى فـوق رأسي والـذى يعلـوه مبـاشرة الصنـدوق الـذى يشـبه التابـوت، وحدسـى يلـح عـليَّ في أن أنـزل هـذا السـلم لكـى أبحـث عـن حبيبتـى التـى اختفـت !!!

أخـيرا سرت وراء مـا كان يلـح بـه عـليَّ حدسـى، ورغـم أننـى كنـت أنظـر وأنـا أنـزل درجـة وراء الأخـرى ببـطء إلى الأسـفل بخـوف وحـذر إلا أننـى كنـت عـلى يقـين أنـه لا اختيـار أفضـل مـن هـذا أمامـى، كان الظـلام يخيـم عـلى المكان إلا مـن ضـوء خافـت كنـت أراه أسـفل هـذا السـلم .



ما إن بدأت في النزول حتى تناسيت أمر تلك الأميرة التعيسة والتى حكم عليها القدر بالبقاء في هذه القلعة الغريبة، كل ما كان في هذا المكان كان يتميز بالغرابة الشديدة .

أذكر جيدا أننى حينما دخلت من باب السرداب إلى حجرتها وجدت سيدة عجوز لا تكاد تقوى على الحركة، كسا الشعر الأبيض رأسها، وظهرت التجاعيد على وجهها لتؤكد أنها طاعنة في السن، ولكن ما إن وضعت يديها على تلك البلورة السحرية ورأت الأمير «شهاب» حتى كسا الشعر الأسود رأسها ثانية وزالت تجاعيد وجهها وعادت فتاة في سن النضج .

حينما لاحظت هذا التحول في شكلها لم أشأ أن أتحدث معها فيه حتى لا أثقل عليها، ولكنى أيقنت لحظتها أن مقولة «الحب يصنع المعجزات» هى مقولة صادقة بلا شك وإن حاولت أن أطبق هذه المقولة على نفسي سأجدها صادقة بلا شك وإلا فما الذى يدفعنى لكى أخاطر بحياتى وأنا أبحث عن حبيبتي، إنه ذلك الإحساس الغريب المتعمق والموجود بداخل كل منا إنه يدفعنا دائما للبحث عمن يكمل منظومة المشاعر الجميلة بداخلنا، الغريب أن كل منا لا يعرف متى سيجد من يكمل هذه المنظومة ولا أين سيجده .



هناك أناس كُثر بحثوا طوال حياتهم عمن يكمل هذه المنظومة بداخلهم ولم يجدوه ، وهناك من بحثوا ووجدوه بسرعة ، وهناك من بحثوا عنه ووجدوه ثم فقدوه .

كم هى غريبة هذه الحياة !!!

أيقظت قصة هذه الأميرة البائسة التعيسة الكثير بداخلى، فجرت ينابيع الإحساس في قلبي حتى أنني أقسمت وأنا أهبط درجات ذلك السلم الخشبى المتآكل أن أظل أبحث عن حبيبتي المفقودة ما حييت، الأميرة «علياء» دافعت عن حبها للأمير «شهاب» بالبقاء والانتظار والأمل، وأنا سأحذو حذوها ، ولكن ليس بالانتظار بل بالبحث عنها في كل مكان، ولن يهدأ لى بال حتى أجدها، بالتأكيد هى لم تبتعد كثيرا، أشعر بأني قريب منها .

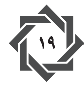
وضعتُ قدمى على الدرجة الأدنى من السلم أتحسس المكان بقدمي قبل أن أهبط، ما إن لامست قدمي درجة السلم حتى أحسست بأنها تهتز من تحتي وشعرت بأنها لن تتحملنى، خشيت أن أسقط إن انكسرت تلك الدرجة، جاء في ذهني أن أتخطاها إلى الدرجة الأدنى منها، ما إن وضعت قدمى حتى انزلقت قدمي الأخرى من على السلم وسقطت على الأرض التى لم تكن ولبارئنا الحمد بعيدة .

وقفت بسرعة وأخذت أنفض التراب الذى علق بملابسي من أثر السقوط على الأرض وأنا أشعر بالارتباك والخوف، تلفتُ حولى، فلم أجد شيئا ، الظلمة تخيم على المكان إلا من ضوء خافت، يبدو من بعيد ضعيف الوهج .

قبل أن أتوجه نحوه تحسست المكان حولي وأنا أشعر بأن هناك من يراقبني، وضعت يدي على الجدار المقابل، وجدت أحجارا كثيرة تبدو بارزة، استدرت وتحسست الجدار الآخر، فوجدت أحجارا أخرى بارزة، أيقنت أنني سقطت في قبو، ويبدو أنه لا مخرج منه إلا ذلك السلم الذى دفعتني الأميرة الحالمة إلى النزول عليه، ولكن لما فعلت بي هذا ؟ لماذا لم تدعني وشأني ؟ هل تريد أن تنتقم مني لأنني استطعت التسلل إلى داخل هذه القلعة ؟

حتى هذه اللحظة كان رأيي هو السير في القبو للبحث عن مكان أخرج منه للبحث عن حبيبتي يتأرجح ما بين المضى قدما وما بين العودة إلى حجرة السيدة العجوز ، ولكن بعد أن انزلقت قدمي ووقعت من على هذا السلم اللعين استقر رأيي على أن أواصل السير في هذا القبو، ربما أجد مخرجا آخر أستطيع الهرب من خلاله من ذلك المكان المريب والمخيف.

كل شيء في هذا المكان يثير الريبة .



استجمعت شجاعتي وأعلنت التحدي بيني وبين نفسي وقررت الخوض في ذلك القبو إلى نهايته، ولكن ما هذا الصوت، إني أسمع صوت صراخ آت من خلف هذا الجدار، وضعت أذني عليه في محاولة للتيقن مما أسمع، نعم إنه صوت صراخ، إنه يبدو لسيدة .

بينما أنا أضع أذني على الجدار ومستغرق في التفكير عما يمكن أن يكون هذا الصوت، سمعت همساً آتياً من ورائي، التفتُ بسرعة وأنا أشعر بأن جسدي ينتفض، تراجعت خطوة للخلف، حتى لامس ظهري الجدار، أحسست أن قدماي لا تستطيعان تحمل ثقل جسدي ، وبأني على وشك السقوط على الأرض .

ما هذا الذى أراه ؟ تبدو كطفلة لم يتعدى عمرها السنوات الخمس، بدأت أفرك عيناي بكلتا يدي غير مصدق لما أراه !!! فتحت عيناي بسرعة ثم أغمضتهما وفتحتهما ثانية، نعم إنها طفلة ترتدي فستانًا أبيَض فضفاضًا وتمسك بيدها اليسرى بشمعة صغيرة أوشكت على الانتهاء .

حينما لاحظت أنني ارتبكت لرؤيتها، قالت :

ـ لا تخف، لم أؤذى أحدا قط طوال سنوات عمري الماضية، أنا مجني عليَّ ولست بالجانية



ـ ولكـن مـن أنـتَ ومـاذا تفعـل في هـذا القبـو ؟ ومـن أيـن جئـت ؟

ـ هـذه قصـة طويلـة، رددتهـا كثـيرا ولا أريـد إعادتهـا ثانيـة عـلى مسـمعك، مـن أيـن جئـت أنـت ؟ مـن خـلال الجـدار مسـتحيل ......لقـد تحسسـت الجـدار كلـه ووجدتـه مصمتا !!!

تجاهلـت الطفلة سـؤالي وأشـارت إلى بـاب حديـدي وقالت :

ـ خلف هذا الباب توجد :

عجوز شمطاء

تأكل الحشرات ولا تقرب الماء

تصحو والناس نيام وتشرب الدماء

اتبعني وإياك والبكاء

تقدمـت الطفلـة للأمـام وهـي تمسـك بالشـمعة، اقتربـت مـن البـاب الحديـدي وأمسـكت بالمـزلاج وأدارتـه، اسـتطاعت أن تفتـح البـاب بسـهولة ويـسر عـلى غـير مـا كنـت أتوقـع !

عـلا صـوت الـصراخ فجـأة، إنـه يشـبه إلى حـد كبـير صراخ إنسـان يتعـذب، صراخ مصحـوب بأنـين مسـتمر .

انتابنـي الخـوف مـن هـذا الصـوت وحاولـت اسـتيعاب مـا أنـا فيـه، رغـم أن الطفلـة الصغـيرة كانت قـد تقدمتنـي خطوتين إلى داخـل الغرفـة إلا أن هـذا لم يشـجعني عـلى الدخـول بسرعة،



فكنت أدفع قدما للأمام وأؤخر الثانية، كنتيجة طبيعية للصورة التى ارتسمت في ذهني بعد أن سمعت صوت الصراخ والأنين .

حينما لاحظت الطفلة أنني أرتجف مما أسمع، عادت خطوتين للوراء، وأمسكت بيدي برفق وقالت وهى تجذب يدي إلى داخل الغرفة :

ـ أريد أن أريك شيئا ...... لا تخف، لقد أصبَحَت الآن غير ذى جدوى، لن تؤذيك الآن ولن تؤذى أحدا قط بعد اليوم .

شجعتني كلماتها على أن أتماسك، ومع هذا كنت أسمع صوت دقات قلبي، أحسست بأنه يستغيث مطالبا أن ينقذه أحد ما، مما يتوقع أن يراه داخل هذه الغرفة، أخيرا استجمعت شجاعتي، دفعت الباب بأطراف أصابعي بهدوء، ثم مددت رأسي إلى الداخل، بدوت وأنا أتقدم برأسي إلى الداخل وجسدي كاملا خارج الغرفة، كمن يحاول التلصص على من في الغرفة .

جذبتني الطفلة من يدي وقالت :

ـ ادخل لترى بعينيك، مازالت تجلس في الركن .

قلت في نفسي ..... يجب أن أتغلب على هذا الخوف اللعين الذى يقيد حركتي بشدة، تقدمت خطوة أخرى إلى داخل الغرفة .

أنـارت الشـمعة التـي كانـت تمسـك بهـا الطفلـة جـزءاً صغـيرا منهـا، مـازال الظـلام يخيـم عـلى الجـزء الأكـبر، وهـو الجـزء الـذى كان يـأتي منـه الـصراخ والأنـين .

تركـت الطفلـة يـدي واقتربـت مـن مصـدره، عـاد صـوت الـصراخ يعلـوا ثانيـة، عـادت الطفلـة إلى الـوراء وأمسـكت بأطـراف أصابعـي وهـى تجذبنـي ناحيـة مصـدر الصـوت .

نظـرت بتمعـن في اتجاهـه، وجـدت سـيدة مسـنة نائمـة عـلى ظهرهـا وترفـع يدهـا لأعـلى، كلما اقتربـت منهـا الطفلـة، رفعت رأسـها ونظـرت حولهـا، ثـم يعلـو صوتهـا بالـصراخ، وحينـما تتراجـع الطفلـة للـوراء، تبدأ تلـك السـيدة في الأنـين المتواصل .

تبدو كساحرة من عصور القدماء

تخطت المائة عام وتحلم بالبقاء

نزعة الشر داخلها ما زالت في نماء

نزعة الخير في قلبها ذهبت إلى فناء

قصيرة القامة وعيون بيضاء

ظهرها محنيٌّ فهى حدباء

لا تتكلم إلا صراخا فهى أقرب للبكماء

لا تسمع إلا حفيفا فهى صماء

بتر الكاهن إحدى قدميها فهى عرجاء



اقتربت الطفلة ثانية منى وقالت :

ـ اخفض رأسك أريد أن أحدثك قليلا عنها !

أحنيت رأسي وسألتها :

ـ لما ترقد هذه المرأة التعيسة هكذا ؟ هل ارتكبت فعلا شنيعا لا يفلح معه التسامح والغفران !

ـ بل أكثر من هذا، مارست السحر الأسود، فزادها بلاءً وحلت عليها لعنة الكهنة والأمراء

كلما اقتربت الطفلة من الساحرة زاد نحيبها والبكاء .

سألتها :

ـ من هذه السيدة ومن فعل بها كل ذلك ؟

التفتت الطفلة إليَّ وقالت :

ـ أنا الأميرة «حسناء» وهذه المرأة ساحرة، هي وصيفة زوجة أبي المرأة الخرقاء وتدعى الملكة « ذات الرداء»، ظنت الملكة أنه بمقدورها أن تغير من مشيئة البارئ في السماء، فاستعانت بوصيفتها هذه لتقضى علي أحلام أبي الأمير «علاء» فيمن يخلفه لقيادة مملكة «ساموراء»



الفتى المُخادع

التفت الملك الأب إلى خادمه الخاص في عصبية وعلامات الغضب ترتسم على وجهه وقال :

ـ أين الأمير «علاء» ؟

ـ إنه نائم مولاى

ـ أفي هذا الوقت المتأخر من النهار، لقد أوشكت الشمس على المغيب .

ـ نعم مولاى، لقد عاد بعد شروق الشمس إلى القصر واتجه مباشرة إلى جناحه، وأرسل في استدعائي، لما ذهبت سألني سؤاله التقليدى ، والذى أسمعه كل يوم ما إن يعود إلى القصر في الصباح وهو يشعر بأنه خان عهده معك مولاى للمرة المائة :

ـ أين أبي ؟



ـ إنه نائم سمو الأمير .

ـ منذ متى ؟

ـ منـذ وقـت طويـل، اطلـع عـلى بعـض الأمـور والتـى عرضهـا عليـه كبـير مستشـاريه، ثـم دخـل إلى جنـاح نومـه وآوى إلى فراشـه، وهـو الآن يغـط فى نومـه .

ـ حسنًا ......حسنًا، ومتى يستيقظ ؟

ـ بعد قليل سمو الأمير .

قـال وهـو متجـه إلى فراشـه وهـو يتثـاءب ويفـرد ذراعيـه ، ثـم يعيـد ثنيهـا ثانيـة وإن سـأل عنـى بعـد أن يسـتيقظ ....

ـ سأقول أنك نائم سمو الأمير .

ـ وإذا أصر على أن يعرف موعد نومى .

ـ سأقول له ما اتفقنا عليه !

ـ كرر علىَّ إذن ما اتفقنا عليه .

ـ نعـم، سـأقول عـاد سـمو الأمـير إلى القـصر مـا إن آويـت مـولاى إلى فراشـك، واتجـه مبـاشرة إلى غرفـة نومـه ولم يبرحهـا إلى الآن ومـا زال نائـما .

ـ وإذا طلب منك إيقاظى



ـ سأقول، طلب سمو الأمير عدم إيقاظه قبل مغيب الشمس ؛ لأنه يشعر بإجهاد شديد .

ـ حسنًا..... حسنًا..... لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك ... كان أبي سيعنفني كل وقت وكل حين بسبب سلوكى الذى يعتبره شائنا، هل ملاطفة النساء والتغزل في جمالهن أمر مذموم ؟

ـ ولكن إن عرف مولاى الملك الأب بأنى أتستر على أفعالك وما تقوم به سوف تهتز ثقته بي، لقد عهد لي بشؤون تربيتك وتعليمك منذ كنت طفلا صغيرا .

ـ نعم حدث هذا عندما كنت طفلا، أنت كنت مسؤلا عنى بالكامل، أما الآن فأنت تتستر على أفعالى لتحمينى من عقاب أبى على ما يعتبره سلوك لاه ومشين .

ـ ولكن سيدي أنت تعرف خوف الملك الأب عليك كثيرا، أنت وعدته في السابق بأنك ستترك حياة اللهو وتساعده في إدارة شؤون المملكة ولكنك حنثت بهذا الوعد مرات ومرات، ولكن أين كنت هذه الليلة ؟

ـ كنت ألهو مع الأميرة «شيماء»، لن أنسى مغامرة الليلة ما حييت، تسلقت أسوار قصر أبيها بعد أن آوى كل من في القصر إلى مخادعهم، مشيت الهوينى بين الأشجار في حديقة القصر تواريت عن عيون الحراس، وصلت إلى شرفة



غرفتها، حاولت تسلق الجدار للوصول إليها ، ولكنى فشلت بسبب سماعى صوت كلاب الحراسة وهى تعدو قادمة في اتجاهى، تسلقت شجرة قريبة منى لأهرب منهم، ما إن سمعت الأميرة «شيماء» صوت نباح الكلاب حتى أسرعت إلى شرفتها، وما أن رأتني أجلس على فرع الشجرة حتى انفجرت في الضحك، نزلت إلى الحديقة وصرفت الكلاب، صعدنا معًا إلى غرفتها ولن أكمل لك الباقي ..

ـ ولكن سمو الأمير، يريد مولاى الملك أن يطمئن عليك، ويرى أن حياة اللهو هذه ستقف حائلا بينك وبين مباشرة مسؤولياتك تجاه المملكة، أنت تقضى الليل بعيدا عن القصر، دائما ما يسألني عنك، أضطر للكذب عليه حتى أحميك من غضبه ولكن إلى متى يا بني !!! لقد عهد الملك الأب إلىَّ برعايتك وتعليمك منذ نعومة أظافرك، وأنا أقوم بهذه المهمة على أكمل وجه، ولكنى احترت في أمرك، منذ أن شب عودك ووصلت إلى مرحلة الشباب وأنت تتمرد على كل شيء، أنت تفعل عكس ما تعلمته على يدى وعلى يد معلموك، لا أخفيك سرا يا ولدى، الملك الأب يشعر بأنى أضلله فيما يخص الأخبار التى أنقلها عنك، ولا أعلم ماذا سيفعل إن علم بأني أنقل له معلومات كاذبة عنك، أنت تقضى كل ليلة خارج القصر سمو الأمير وتتعرض لمواقف كثيرة وربما في أحدها تؤذى



نفسك، لقد أبلغ أحد أصدقاء أبيك بأنه رآك تحوم حول قصره في ساعة متأخرة بالليل، وآثار هذا الأمر استياء الملك الأب وأقسم أمامى بأنه سوف يعطيك درسًا لن تنساه لكى تترك حياة المغامرات الليلية هذه .

ـ آه لو تعرف يا خادم أبي المخلص والأمين ما حدث في تلك الليلة .

أردت أن أرى الأميرة «صفاء» بعد أن رأيتها للمرة الأولى في حفل تولى أبي حكم المملكة، كانت جالسة إلى جانب أبيها وأمها في البهو الرئيسي في القاعة الرئيسية يشاهدون الأمراء والأميرات وهم يرقصون، اقتربت منها في هدوء ومددت لها يدي لكي تراقصني وأنا أبتسم على الفور ابتسمت ثم وضعت يدها على يدي وخطونا نحن الاثنين في اتجاه الفرقة الموسيقية، أمسكت بيدها ثم رفعتها في مستوى كتفي، ووضعت يدى الأخرى على خصرها، ضغطت بأصابعي برفق في البداية على جسمها، لم تفعل شيئا لكى توقف زحف أصابعى على ظهرها وعلى خصرها ولم تبدى أدنى امتعاض، بل على العكس كانت تبدو أكثر استمتاعا بالرقص، ضغطت بأصابعي بقوة على خصرها ثم همست في أذنها قائلا :

ـ سآتى بعد انتهاء الحفل إلى قصر أبيك !



بعـد أن انتهـى الحفـل وصعـد أبي إلى مخدعـه حتـى أسرعـت بالنـزول عـلى غـير رغبتـه ودون أن يعلـم شـيئا عنـى، ركبـت جـوادى وأسرعـت إلى قـصر أبيهـا، درت عـدة دورات حـول القـصر لكـى أدرس المـكان الـذى يصلـح لأن أتسـلل منـه إلى الداخـل دون أن يرانـى حـراس القـصر، ربطـت الجـواد في شـجرة قريبـة ثـم تواريـت خلـف أغصـان الأشـجار، أحـد الحـراس كان في جولـة تفقديـة خـارج القـصر رأى الفـرس وهـو مربـوط في الشـجرة، اقـترب منـه بحـذر، ثـم أخـذ ينظـر هنـا وهنـاك ويتلفـت حولـه يبحـث عمـن جـاء بهـذا الفـرس إلى هنـا وربطـه بهـذا الشـكل، حينـما اقـترب مسـافة كافيـة، خرجـت مـن مكمنـى واسـتللت سـيفي مـن غمـده، وضعـت النصـل في ظهـره وقلـت لـه بلهجـة آمـرة :

ـ إياك أن تتحرك وإلا سأغرس هذا النصل في ظهرك .

ـ عفـوا سـيدي أنـا لم أقصـد الإسـاءة، أردت فقـط أن أعرف مـن جـاء إلى هـذا المـكان في هـذا الوقـت المتأخـر ومـاذا يفعل ؟

ـ اجثـو عـلى ركبتيـك، اخلـع حـذاءك ولا تتكلـم بحـرف واحـد .

ـ سأفعل ما تأمر به سيدي ولكن أرجوك لا تؤذيني .

أخرجـت مـن جـراب موجـود عـلى ظهـر جـوادي حبـلا وربطـت يـد الحـارس خلـف ظهـره وهـو جاثيـا عـلى ركبتيـه،



نزعت وشاحا كنت أربطه دائما على ساعدي وربطته على أعين الحارس حتى لا يراني وأنا أركب الجواد وأهرب من المكان .

في الليلة التالية حضر والدي على غير عادته إلى جناح نومي في القصر، ما إن رآه الحاجبان آتيا في البهو حتى انتفضا فى مكانهما وفتحا الباب على مصراعيه، دخل أبي وهو يتوعدني بالعقاب ولكن ما إن وصل إلى الفراش ولم يجدني فيه صاح طالبا كبير حراس القصر، ووبخه بشدة على أنه وحراس القصر يتسترون عليَّ ويخفون عنه أنني أخرج كل ليلة .

قاطع خادم الملك الأب الأمير «علاء» وقال :

ـ لقد أمر مولاي الملك باستدعاء كبير الحراس وكنت أنا بصحبة الملك، حاولت أن أمتص غضبه الشديد من فعلتك في تلك الليلة .

سألني بلهجة آمرة :

ـ أين الأمير «علاء» ؟ لقد عهدت إليك بتربيته ولكنك دللته إلى الحد الذى أفسده !!! إلى الآن لا يدرك حجم المسئوليات التى من المفروض عليه تحملها .

ـ عفوا مولاى الملك، يبدو أنه في مكان ما هنا .

ـ إلى متى تتستران عليه وعلى أفعاله الشنعاء ؟



قذف الملك الأب بالوشاح في وجهي وقال متسائلا :

ـ أليس هذا يخصه ؟

أمسكت به وأخذت أتفحصه بيدي وأنا أنظر إليه ..... فكرت بسرعة فيما يمكن أن أقوله لأدافع به عنك سمو الأمير ! لم يسعفني الوقت في أن أسوق الحجج، كل ما جاء في ذهني هو أن أشكك في ملكيته لهذا الوشاح .

كان الملك الأب شديد الذكاء، لذلك ترك خادمه المخلص الأمين يرهق ذاكرته في البحث عن حجة هنا أو هناك لينقذ بها الأمير»علاء» .

ـ أعتقد مولاى الملك أنه خاص بسمو الأمير «علاء»، هو دائما ما يربط وشاحا على ساعده الأيمن لكى يجفف به عرقه خلال ممارسته للرياضة، ولكن من أين جاء ؟

قال الملك بنبرة حادة وعنيفة :

ـ اسأله، ألم تتستر أنت وخادمه الخاص على سلوكه المعوج، حتى كبير الحراس سار على نهجكم وتستر على أفعاله الشنعاء ! لقد حضر أحد أصدقائى المقربين هذا الصباح وهو يمسك بهذا الوشاح وقال :

ـ مولاى الملك، أشعر بالغضاضة مما سأقول، ولكنك مولاى تعرف أني أحبك وأحترمك عن حب وتقدير وليس



عـن خـوف مـن عقـاب، نحـن صديقـان منـذ أيـام صبانـا، أعــرف عــن جلالتكــم العــدل والســماحة، تنــصر المظلــوم وتقتـص مـن الظـالم، تعيـش المملكـة حاليـا أزهـى عصورهـا عـلى الإطـلاق، وهـذا مـا يدفعنـي لأن أشـكو إليـك الأمـير «عــلاء»، فأنــت لا تقبــل مــولاي الملــك أن تُنتهــك حرماتنــا عـلى يـد الأمـير، بـاب القـصر مفتـوح لاسـتقباله وقتـما يشـاء، فلــماذا يتســلل عــبر الأســوار .

ـ لقـد تسـببت أفعـال هـذا الولـد في الكثـير مـن المشـاكل في الآونـة الأخـيرة .

كانــت هــذه فرصتــي لكــى أغــرس بــذور الشــك في قلــب مـولاى الملـك بصـدق هـذه الروايـة أو عـلى الأقـل فيمـن وجد هـذا الوشـاح ونقلـه إلى قـصر والـد الأمـيرة «زهـراء»، فقلـت :

ـ ولكــن مــولاى الملــك الأب، ربــما وجــد أحــدا مــا هــذا الوشــاح عــلى الأرض وأراد أن يلصــق التهمــة بســمو الأمــير «عــلاء» وهــو منهــا بــراء .

ـ كيـف لم يخطـر عـلى بـالى هـذا الاحتـمال، ثـم ارتفعـت نـبرة صوتـه ثانيـة وهـو يلـوح بالوشـاح الخـاص بـك سـمو الأمـير ويقـول :

ـ ولمـا يفعلـون بـه هـذا، لا تحـاول إدخـال الشـك في نفـسي، أنـا أعـرف هـذا السـلوك المعـوج لهـذا الولـد .

قاطع الأمير «علاء» خادم أبيه المخلص والأمين وقال :

ـ لقد سمعت هذا الحوار كاملا بأذني، ولم يدرك أبي هذا إلى الآن، لقد سمعت طرقا متواصلا وقويا على باب غرفة نومى، وما إن قلت :

نعم، حتى دخل خادمي الخاص وجسمه ينتفض بسرعة وبقوة ويقول مولاى الملك الأب على وصول .

ـ ماذا تقول ؟

ـ ما سمعته سمو الأمير، مولاى الملك الأب في الطريق إلى هنا، وقد استشاط غضبا، أنصحك سمو الأمير بالاختباء الآن !!!

أسرعت إلى شرفة غرفتى ما إن سمعت صوت الحاجبان وهما يرفعان الأقدام ثم يطرقان بهما بقوة على الأرض احتراما لأبي قبل أن يقترب بمسافة كافية من جناح نومي، لماذا يلومني أبي على لهوى مع النساء، إنهن اللائى يتوددن لي، كل واحدة منهن تريد أن تصبح الملكة القادمة لهذه المملكة، وأنا أعرف ما يفكر فيه أبي، يريد أن يحافظ على ملك الآباء، ولا أشعر بالرغبة الآن في أن أحقق له هذه الأمنية !!! عموما الحمد لبارئنا، لقد خلصنى من هذا الموقف ودون إثارة العديد من المشاكل، أنا لا أريد أن أغضب أبي، بعد وفاة أخواي وهو يتحسب كثيرا بشأن



القــادم في المســتقبل، مــا يشــغله الآن أكثــر مــن أي شيء هــو أن يزوجنــي لكــى أنجــب لــه ولى العهــد القــادم والملــك بعــد القــادم المملكــة «ســامراء»، وهــذا الأمــر لا يشــغل تفكــيرى في الوقــت الحــالي .

كان الأمــير «عــلاء» يعتقــد أن الأمــر قــد انتهــى عنــد هــذا الحــد، ولكــن حــدث مــا لم يكــن يتوقعــه .

ففــي اليلــة التاليــة أصــدر الملــك الأب أوامــره لــكل حــراس القــصر بالقبــض عــلى كل مــن يحــاول الدخــول إلى القــصر أو إلى الحديقــة الرئيســية، بعــد غــروب الشــمس، كان الأب يريــد أن يلقــن الأمــير «عــلاء» درســا قاســيا لكــى يُقــوِّمُ مــن ســلوكه، فاســتدعى كبــير حــراس القــصر وقــال :

ـ جاءتنــى أنبــاء عاجلــة عــن محاولــة لاغتيــالي، وســوف يحــاول أحدهــم التســلل إلى القــصر في غفلــة مــن حــراس القصر هــذه الليلــة، عليكــم التيقــظ جيــدا وأن يكــون الحــرس عــلى أتــم اســتعداد للقبــض عــلى مــن يحــاول التســلل إلى القــصر، ومــن الاحتــمالات الــواردة أن يرتــدى قناعــا يخفــى بــه وجهــه، عليكــم القبــض عــلى كل مــن تســول نفســه التســلل إلى القــصر حتــى لــو كان الأمــير «عــلاء» .



الدرس

خرجت من شرفتي كالعادة وتسللت بخفة إلى خارج القصر، امتطيت جوادي وأسرعت إلى إحدى عشيقاتي، ربطت جوادي في إحدى الأشجار القريبة وتعمدت اختيار مكان بعيد عن الأنظار، منزلها يقع في منطقة ريفية، ما إن اقتربت منه حتى وجدتها تنتظرني في شرفتها حينما كنت آتيها في السابق، كنت أدخل خلسة من الباب الرئيسي، ولكن هذه المرة أشارت لى من شرفتها لكى أدخل من الباب الخلفي، وهو باب صغير يؤدي إلى حجرة الطعام، صعدت درجات سلم دائرى، رفعت رأسي لأعلى، فوجدتها تضع إصبعها على فمها وتشير لى ألا أصدر صوتا عاليا، ما إن وصلت إليها حتى وضعت يدها على فمي وهمست في أذنى لا تصدر صوتا عاليا، لقد حضر أبي فجأة من سفره ودخل مباشرة إلى غرفة نومه .



أمضيت ليلتي في حجرتها، وكلما هممت بالانصراف كانت تطلب مني البقاء بعض الوقت، في النهاية كان إصراري على الانصراف قويا، كنت أريد أن أعود قبل أن يستيقظ أبي من نومه .

وصلت إلى القصر ثم اجتزت الحديقة الرئيسية بسرعة، ما إن بدأت فى تسلق الجدار لأصل إلى غرفتي، وجدت حراس القصر يحيطون بي من كل جانب، لم أعر الأمر أى اهتمام لقد رأونى أفعل ذلك في السابق، رغم أني نهرتهم بشدة إلا أن أحدهم لم ينصرف من مكانه، وما هى إلا لحظات حتى وجدت أبي يقف في شرفة غرفتي وينظر إلَيَّ نظرة مشوبة بالانتصار والعتاب في آن واحد .

أعى جيدا هذه النظرة، فهي تقول الكثير والكثير....... حاولت خداعي، فأرخيت لك الحبل لكى تختنق به فى النهاية، لقد أوقعت نفسك في المصيدة كالفأر، نظر إلَيَّ نظرة المعاتب وأشار لى بإصبعه لكى أقترب منه وقال :

ـ ألم تعاهدني مرات ومرات على أن تُعدِّل من هذا السلوك المُعوّج، لقد أوشكت الشمس على الشروق وأنت طوال الليل في سهرات مع الغوانى، ثم قال في لهجة آمرة لم أتعود سماعها منه حتى فى أشد حالات غضبه من أفعالي :

ـ اتبعني !



سرت خلفه وهو يمشى الهويني ثم يصعد درجات السلم الداخلى قاصدا جناح نومه، وأنا أمشى خلفه دون تنبث شفتاى بكلمة، وأنظر إلى الأرض تحت أقدامي وأشعر بكم هائل من الخزى من سلوكى، لقد وعدت الملك مرات ومرات قبل أن ينصب لي الفخ هذه المرة، وفي كل المرات السابقة حنثت بوعودى له، واعتمدت على أنه سيسامحنى، وقد كان ولكن هذه المرة تبدو الأمور مختلفة، لقد أصدر أوامره بالقبض على من يدخل القصر بعد أن يأوى إلى فراشه حتى لو كنت أنا !!! بالفعل كان الحراس سيمنعونى من الدخول، هذا على أقل تقدير.

لما رآه الحاجبان يقترب أسرعا بطرق الأرض بأقدامهما وفتحا الباب .

اتجه الملك إلى كرسيه المعتاد الموجود إلى جانب شرفة غرفة نومه، جلس ثم وضع قدما على الأخرى بعصبية شديدة ثم قام .

أردت أن ألاطفه قليلا لكى أخفف مما حدث والتنصل من محاولته الحصول منى على اعتراف كامل بما أذنبت ، وأعلن ندمى وأسفي على ما قمت به من أفعال لا تليق بولى عهد حالى وملك المملكة في المستقبل، ولكن خذلنى لسانى .



إن جلوس أبي ثم وقوفه ثانية في لحظات متتالية، هو دليل واضح على أنه في وضع مزاجى حاد، لاحظت هذا كثيرا، عندما يبدأ في توبيخ أو توجيه لوم وعتاب لأحد ما من وزرائه، لم يكن يفعل ذلك إلا وهو واقف وأحيانا وهو يتحرك داخل جناحه ويتحدث بعصبية شديدة ويحرك يديه دائما إلى الأعلى شارحا ما يقول من ألفاظ عتاب وإلى الأسفل وهو يعنف وأحيانا أخرى كان يعطى من يحدثه ظهره ويتكلم بصوت جهورى وبنبرة حادة .

كانت هذه أوضاع مختلفة لأبي وهو في حالة مزاجية حادة، عندما يجلس، ثم يقوم من مكانه أدرك جيدا أن القادم أسوأ .

ـ عفوا يا أبتي، أتطلع لأن تغفر لي ......وقبل أن أكمل قال :

ـ خطيئة .....نعم خطيئة، أبعد كل ما عاهدتني تعود وترتكب نفس الفعل المشين، لقد حنثت بكل وعودك وعهودك معى .

كنت أقف فى منتصف الغرفة أحني رأسي وأنظر لأسفل وكان أبتي يدور حولي وهو يتحدث معاتبا ومؤنبا وأحيانا متوعدا، حاولت أن أمتص غضبه ولكنه أبى واستمر في هذه الحالة، كنت أعرف نقطة ضعفه وكنت دائم الاستغلال لها، أنا ابنه الوحيد، توفى أخواي من جراء



وبـاء اجتـاح المملكـة قبـل عـدة أعـوام، شـاء لي «البـاري» أن أقـاوم أنـا هـذا الوبـاء وأنجـو منـه بسـلام، ودون أن يـترك حتـى أدنـى أثـر عـلى جسـدي.

أتذكـر جيـدا هـذا العـام ومـا حـدث فيـه، كاد الوبـاء أن يفتـك بـأبي نفسـه، حـضر الكاهـن الأعظـم إلى قـصر «سـاموراء» وطلـب لقـاء أبي في جناحـه الخـاص، وبعـد أن دخـل اسـتأذن الملـك في إقامـة الصلـوات عـلى أرواح الضحايـا في المعبـد اليـوم وقـال :

ـ سـنجمع جثـث الضحايـا بعـد تأبينهـم في المعبـد في مـكان تـم إعـداده بعنايـة خلـف المعبـد ولـن ندفنهـم كـما تعودنـا بـل سـنحرق الجثـث حتـى نحـاصر الوباء ونقـضي عليـه، لقد حصد الوبـاء أرواح العـشرات أغلبهـم مـن الأطفـال وكبـار السـن .

ـ إذن علينـا تأبينهـم في المعبـد في أسرع وقـت، الانتظـار قـد يزيـد الأمـر سـوءا ويـؤدى إلى انتشـار الوبـاء بـين العامـة وهـو مـا أخشـاه .

ـ نعـم مـولاي، أحـصى رجـال المعبـد عـدد القتـلى، فوجـدوا أن الموتـى مـن الأطفـال يزيـد سـتة أضعـاف عـدد الشـباب، لذلـك أقـترح عـدم حضـور سـمو الأمـير «عـلاء « وإخوتـه هـذه المراسـم، بـل أكثـر مـن ذلـك أقـترح عـدم خروجهـم مـن القـصر إلى أن يسـتطيع الأطبـاء السـيطرة عـلى الوبـاء وحصاره .



ـ هل الأمور بهذا السوء ؟.

ـ بل أكثر من هذا مولاي ! باحة المعبد الرئيسية مليئة بالمرضى ومن المحتمل أن يشفى عدد قليل منهم، وأن يلقى على الأقل نصفهم حتفه .

كان أبي حريصا على أن نحضر أنا وأخواي تلك المراسم والمراسم الأخرى الخاصة بيوم تقلده حكم المملكة «ساموراء» لذلك استبعد عدم حضورنا أنا وأخواي هذه المراسم، وقال :

ـ عودتهم على الالتزام في حضور هذه المناسبات لمشاركة الناس آلامهم وأحزانهم .

ـ نحن جاهزون مولاي لإقامة المراسم صباح الغد .

في اليوم التالي حضر أبي ونحن معه في عربة ملكية تجرها الخيول إلى باب المعبد، وكان الكاهن الأعظم وكهنة المعبد يقفون صفا واحدا ينتظرون قدومنا، ما إن توقفت العربة حتى اقترب خادم المعبد من الباب ووضع السلم الخشبي كما كان يفعل في كل مرة نزور فيها المعبد لكي ننزل عليه أنا وأخواي، كان مظهره غريبا بعض الشيء، شاحب الوجه، يكاد يكون لون بشرته شديد الصُفرة، وأخذ يسعل بشدة مرات متتالية، في هذه اللحظة أشار له الكاهن الأعظم بالانصراف بسرعة .



صافح الملك الكاهن الأعظم وسأله عن عدد الضحايا ؟

أربعون من الضحايا .

ـ وكم عدد الأطفال وكبار السن ثلاثة وثلاثون مولاي .

ـ كنت أفضل عدم حضور الأمراء مولاي هذه المناسبة الحزينة، أخشى عليهم من الوباء، أطال «الباري» في أعمارهم .

لم يتوقف الملك كثيرا أمام كلمات الكاهن الأعظم، ثم تقدم خطوات قليلة ناحية باب المعبد وإلى جانبه الكاهن الأعظم ونحن نمشي خلفهما .

بدأت المراسم بإيقاد الشموع، ثم بدأ الكاهن الأعظم بترديد بعض كلمات التأبين تقربا إلى «الباري» وتضرعا إليه لكي يشمل الضحايا برحمته ويترفق بمن تبقى على قيد الحياة، وسط عويل أهالي الضحايا .

أخيرا حملت عربات تجرها الخيول والبغال جثث الضحايا إلى مثواها الأخير في أطراف المملكة، حيث كان العمال قد انتهوا من العمل في حفر المكان الذي سيحرقون فيه جثث الضحايا، ثم وضعوا فيها أغصان أشجار جافة وألقوا بكميات هائلة من النبيذ عليها، ما إن أتت العربات التي تحمل جثث ضحايا الوباء حتى أنزلهم العمال الواحدة تلو الأخرى إلى الحفرة العميقة، وبمجرد أن صعد آخر عامل من الأسفل حتى قام الكاهن الأعظم بترديد

الترانيـم المختلفـة داعيـا «البـاري» أن يشـملهم برحمتـه، ثـم ألقـى بشـعلة كان يمسـك بهـا في الحفـرة سرت النـار في الهشـيم بسرعـة كبـيرة، اسـتمرت النـيران تـأكل جثامـين ضحايـا الوبـاء عـدة ليـال، فقـد كان العـدد كبـيرا، حتـى أنني كنـت آراهـا مـن عـلى بعـد أميـال وهـي مشـتعلة .

اعتقـد الكاهـن الأعظـم وخـدام المعبـد أنهـم قـد سـيطروا عـلى الوبـاء الـذي حصـد أرواح أعـدادا كبـيرة مـن ضحايـا المملكـة .

انتهـت المراسـم وحملتنـا العربـة الملكيـة إلى القـصر وحالـة الحـزن تسـيطر علينـا جميعـا، حتـى إن الملـك الأب لم يتحـدث إلى أحـد منـا خـلال الطريـق إلى القـصر .

في مسـاء ذلـك اليـوم طـرق خـادم أبي الخـاص والمسـئول عـن رعايتنـا والعنايـة بنـا بـاب غرفـة نـوم أبي وقـد ظهـرت عـلى وجهـه علامـات الجـزع الشـديد والخـوف، وجـد أبي نائـما والعـرق تصبـب مـن جبهته بغـزارة حتى إن وسـادته قـد ابتلت .

الغريـب أنـه أتـى إلى غرفـة أبي لكـي يبلغـه أن الحمـى قـد هاجمـت أولاده الثلاثـة عـلى غـير العـادة وأنـه بـدأ يشـعر بالقلـق عليهـم .

فوجـد أبي طريـح الفـراش مصـاب هـو الآخـر بالحمـى الشـديدة .



خرج مسرعا من غرفته وأمر الحاجبان بسرعة إبلاغ الطبيب الخاص بالأسرة الملكية بالحالات المريضة داخل القصر، أعلن عن حالة طوارئ قصوى داخل القصر، الملك الأب مريض وأولاده الثلاثة على فراش المرض، وهذا نذير شؤم، الوباء اجتاح المملكة وحياة الملك الأب وأولاده على المحك .

دقائق ووصل الطبيب الخاص ومعه مساعدوه، طلب في البداية استخدام المطهرات القوية في تنظيف القصر وعلى رأسها مادة الكحول، أخذ الخدم يسكبون كميات هائلة من النبيذ بعد استقدامها من القبو على الحوائط وعلى الأرضيات .

دخل الطبيب الخاص ومساعدوه مسرعين إلى جناح غرفة نوم أبي، اقتربوا من فراشه، حينما رأوا الكم الغزير من العرق يتصبب من جبهته ويسقط على وسادته، طلب بسرعة وضع كمادات في مزيج من الماء والكحول على جبهته حتى تنخفض الحرارة، وقال إن ارتفعت حرارة جسده عن ذلك فسوف تتوقف أعضائه الداخلية عن العمل وربما تدركه الوفاة أمر الطبيب أيضا بإحضار كميات من النبيذ وسكبها مباشرة على جبهة أبي وعلى يديه وقدميه في محاولة لإيقاف ارتفاع حرارة جسده .

ـ التفت الطبيب إلى خادم أبي وسأل :

ـ وأين أولاد الملك الأب ؟

ـ إنهم في الجناح الخاص بهم !

ـ عليكم تجهيز الغرفة المجاورة لكي نحضر فيها الأمراء الثلاثة حتى أستطيع مباشرة علاجهم

ـ سمعا وطاعة سيدي .

مكث خادم أبي الخاص في هذه الغرفة إلى جانب الطبيب الخاص ومساعدوه ثلاث ليال وهم يباشرون علاجنا ونحن وأبينا بين الحياة والموت .

كان الكاهن الأعظم هو من يُسير أمور وشؤون المملكة في هذا الوقت، لأنه طبقا لقانون المملكة «ساموراء» فإنه في حالة غياب الملك الأب بسبب مرضه أو سفره خارج المملكة أو عدم أهليته فعلى الكاهن الأعظم إدارة شؤون المملكة كاملة بما فيها الحفاظ على أمنها وأمن سكانها وتوفير الرعاية من كافة الوجوه إلى أن يسترد الملك الأب عافيته، أو يعود من سفره، ثم يقوم بتسليم شؤون المملكة إليه أو إلى ولى العهد إذا كان قد اجتاز العشرون عاما ، وإن كان أقل من العشرين عاما يتولى الكاهن الأعظم شؤون البلاد لحين بلوغ ولي العهد هذه السن .

كان الكاهن الأعظم شديد الحب والولاء والوفاء لأبي وكان يرى أن المملكة «ساموراء» من الإمارات القلائل

التـي تتمتـع بالاسـتقرار بسـبب حكمـة أبي وعدالتـه وتواضعـه واهتمامـه بالبسـطاء مـن العامـة .

اسـتمر الحـال عـلى ماهـو عليـه، الملـك الأب وأطفالـه الثلاثـة مـرضى، والخـوف كل الخـوف أن يكـون هـو نفـس المـرض الـذي حصـد أرواح أبريـاء كُثـر في المملكـة .

في الليلـة الثالثـة، دخـل الكاهـن الأعظـم ومعـه خـادم أبي الأمـين والمخلـص إلى جناح نـوم أبي للاطمئنان عليـه قبل توجهه إلى المعبـد ليبيـت فيـه ليلتـه، لقـد بـدأت درجـة حـرارة جسـد أخـواي في الهبـوط، توجـه إلى فراش أبي وسـأل الطبيـب المعالج :

ـ كيف حال الملك والأمراء الآن ؟

ـ درجـة حـرارة جسـد الأمـراء «ضيـاء» ورجـاء» اقتربـت مـن المعـدل الطبيعـي ولكـن درجـة حـرارة الملـك الأب والأمـير «عـلاء» مازالـت مرتفعـة، لم نفقـد الأمـل بعـد في اسـتجابة جسـديهما للعـلاج بالأعشـاب، إنهـم يتناولـون الأدويـة المسـتخرجة مـن الأعشـاب بانتظـام شـديد .

هز الكاهن الأعظم رأسه في تعجب وقال :

ـ يبـدو أن السـاعات القليلـة القادمـة سـوف تحـدد الكثـير ومنهـا مصـير الملـك والأمـير «عـلاء» .

أومـأ الطبيـب المعالـج علامـة عـلى الموافقـة عـلى مـا قالـه الكاهـن الأعظـم وقـال :



ـ علينا أن نتفاءل سيدي حتى في أصعب الظروف، للباري دائما حكمته فيما يفعل .

استدار الكاهن الأعظم في هدوء ووقار وقال :

ـ سأذهب للمعبد، أبلغني إن طرأ أي جديد ! إن استمر الحال على ما هو عليه، سيجتمع مجلس الكهنة للبحث عن حلول بديلة لما نحن فيه، الوباء الذي اجتاح المملكة مازال في مراحل قوية، كل يوم يؤبن الكهنة أعدادا كبيرة من الضحايا، ونحن نقيم الصلوات بصفة مستمرة في المعبد طالبين من بارئنا الترفق بحالنا .

بينما الكاهن الأعظم ينهي الحديث مع الطبيب المعالج، التفت ناحية باب غرفة نوم الملك أخذ يسعل بشدة وقال :

يبدو أنني بذلت جهدا كبيرا في الأيام الماضية وعليَّ أن أخلد إلى الراحة، المملكة تحتاج إلى عمل كثير إلى أن يسترد الملك الأب عافيته .

فتح خادم الملك باب غرفة النوم على مصراعيه وقال للكاهن الأعظم وهو يحني رأسه احتراما :

ـ آمل أن آتي إليك مبشرا سيدي خلال الساعات القادمة .

هز الكاهن الأعظم رأسه في إشارة على تمنيه أن يحدث هذا .



انهيار الملك

لا أدرى لماذا توالت هذه الأحداث على ذاكرتي والملك الأب يعطيني ظهره ويتحدث بعصبية وبصوت مليء بالعتاب والتأنيب على سلوكي الذي يصفه بالمعوج ويتهمني بأني لم أتعود على تحمل مسؤولياتي كولي للعهد والملك القادم لمملكة «سامراء».

أذكر جيدا ما قاله أبي، لقد حاول في حديثه معي رغم أن أغلب كلماته تندرج تحت بند التأنيب والتقريظ والتقريع واللوم والعتاب، إلا أنه كان يتحدث أحيانا باللين، لن أنسى بعض كلماته وربما تكون هي التي دفعتني لأن أراجع سلوكي وطريقة تعاملي مع من حولي، فمن بين ما قال :

يا بُني إمارتنا مترامية الأطراف والأنحاء

الكهنة يدينون لنا بالولاء في العراء

ويكيدون لنا في الخفاء

يؤلبون علينا العامة والبسطاء



ينشرون الأخبار الكاذبة والأنباء

يتاجرون بآلام الفقراء

أغلبهم فاسدون ولا يسعون للرخاء

مقصدهم واحد منذ عصور القدماء

بسط الهيمنة على ملك «ساموراء»

وفرض السطوة على الجهلاء

للاستمتاع بالحكم دون أعباء

الحاكم الضعيف سيسقط من علياء

وللملك القوى يدين الكل بالولاء

وهن العظم مني وبلغ بي العناء

اشتعل الرأس شيبا وبتُ من الضعفاء

أنت عن المملكة لاه بمداعبة النساء

حانت ساعة الجد وكفانا غباء

منذ أن مات أخواك وأنا أعيش في شقاء.

كانت لكلمات أبي القليلة هذه مفعول السحر في حدوث تغيير شامل في سلوكي، لقد أحسست بالشفقة الشديدة عليه لما تذكرت جملته الأخيرة (منذ أن مات أخواك وأنا أعيش في شقاء)

لم أرَ الملك الأب في حالة انهيار تام كالتي رأيته فيها في اليوم الذي بلغه فيها نبأ وفاة اثنان من أبنائه بسبب الوباء الذي اجتاح المملكة .

في صباح ذلك اليوم، دخل الطبيب إلى الغرفة التي نرقد فيها، اقترب مني ونظر إلى وجهي بتفحص شديد ثم رفع بإصبعه جفن عيني اليمني لأعلى ، ثم تركه ورفع جفن عيني اليسرى

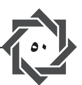
برفق وتفحصها بتأني، ثم وضع يده على جبيني والتفت إلى خادم أبي الخاص وقال :

ـ حالة الأمير» علاء» غير مستقرة، مازالت درجة حرارة جسده مرتفعة وآثار الاصفرار

الشديد واضحة بشدة على بياض عينيه، ورغم أننا نعطى الأمراء الثلاثة نفس الأعشاب بنفس الكميات في نفس المواعيد إلا أن استجابة الأمير «علاء « للدواء هي الأقل .

بينما كان طبيب أبي الخاص يتحدث بوضوح وصراحة إلى أحد الأطباء المساعدين له في حضور خادم أبي الخاص والقائم على رعايتنا، دخل الكاهن الأعظم وسأل :

ـ كيف حال الأمراء اليوم ؟



انتهيت سيدي من الكشف على الأمير علاء، ويؤسفني أن أقول أن جسده ضعيف للغاية وربما لن يستطيع تجاوز الأزمة وإن أكرمه «الباري» وتجاوزها فسوف يترك هذا المرض أثرا ما على جسده، ربما يكون هناك قصور في إحدى الأقدام يصل إلى ثلاث إنشات فيعرج وهو يسير...... وقبل أن يكمل كلامه عن الاحتمالات الواردة والتي قد يتسبب فيها المرض، قاطعه الكاهن الأعظم وسأل :

وما هي حالة الأمير «رجاء» ؟

حالته مستقرة سيدي الكاهن منذ البارحة ! توقف العرق الذي كان يفرزه جسده بغزارة وبدأ اصفرار عينيه في الزوال شيئا فشيئا.

تدخل خادم أبي الخاص في الحديث وقال حالة الأمير «ضياء» تبدو أيضا مستقرة سيدي الكاهن، رغم أن الإعياء يبدو واضحا عليه .

بينما يستمع الكاهن الأعظم إلى حديث الطبيب الخاص بالملك وأحد معاونيه من الأطباء المعالجين وخادم الملك الخاص، سمع صوت أنين متواصل يصدر من الأمير «ضياء»، اقترب من فراشه وهو ينظر إليه في إشفاق وقال :

إنه يرتعش في فراشه بشدة ويرفع يده لأعلى، يبدو عليه وكأنه يحتضر !!!



ماهي إلا لحظات حتى سكن جسده عن الحركة .

أسرع الطبيب ومساعده في محاولة لإنقاذه إلا أنه أسلم الروح لبارئه، التفت الطبيب إلى الكاهن الأعظم محاولا توضيح ما حدث فقال :

ـ لقد بذلنا كل ما نستطيع سيدي لإنقاذهم من الموت ولكن كما ترى فهو يأتي بغتة .

ـ ربت الكاهن على كتفه وقال أعلم أنك بذلت أقصى طاقة لديك، المهم الآن ألا تصل معلومة وفاة الأمير «ضياء» لمولاي الملك الأب، حتى لا يفت هذا الخبر السيئ في عضده ويؤثر سلبا على مقاومته للوباء، وقال وهو يتجه إلى الباب :

ـ أريد أن أطمئن على مولاي الملك قبل أن أبدأ في نقل جثة الأمير «ضياء» إلى المعبد .

تدخل الخادم الخاص بالملك في الحديث وسأل وهو يبكي :

ـ سيدي الكاهن، ألن يحضر مولاي الملك الأب مراسم دفن الأمير ؟

قال بلهجة آمرة ومتوعدة :

ـ امسح دموعك الآن، وكف عن البكاء، لا أريد لأحد أن يلحظ شيئا إلى أن نطمئن على الملك أولا، الأمور تزداد تعقيدا، الوباء يهاجم الملك وأولاده الثلاثة في آن واحد،



وهاهـو الأمـير «ضيـاء» أكـبر أبنـاء الملـك وأحبهـم إليـه يسـلم الـروح، والملـك نفسـه في حالـة تدعـو للقلـق ، وحتـى الآن لا نعـرف إن كان سـينجو مـن هـذا الوبـاء أم لا .

خـرج الكاهـن الأعظـم مـن البـاب متجهـا إلى غرفـة الملـك الأب ووراءه خـادم الملـك ، وهـو يحـاول أن يخفـي دموعـه عـن الحـراس الذيـن يقفـون في البهـو .

سأل خادم الملك الكاهن الأعظم :

ـ ولكـن ما الذي سـنفعله الآن سـيدي بجثة الأمـير «ضياء» ؟

عنّفه الكاهن الأعظم قائلا :

ـ اخفـض صوتـك يـا رجـل، سـوف ننقلـه مسـاء اليـوم إلى القبـو الرئيـسي في المعبـد، وسـوف يعتنـي الكهنـة بالجثـمان إلى أن يأتينـا الحـل، ويسـتعيد الملـك الأب عافيتـه وننقـل لـه خـبر وفـاة الأمـير «ضيـاء» عـلى مراحـل، وإن طالـت فـترة مـرض الملـك فسـوف أطلـب مـن أطبـاء المعبـد التدخـل بعلمهـم الكهنـوتي لنحافـظ عـلى الجثـمان بحالـة جيـدة لأطـول فـترة ممكنـة، وأعتقـد أن فكـرة نقـل الجثـمان إلى القبـو البـارد، سـوف تكـون ملائمـة وستسـاعد عـلى حفـظ الجثـمان لفـترة كبـيرة قبل أن يبـدأ في التحلـل .

تقـدم خـادم الملـك خطـوة واحـدة عـن الكاهـن الأعظـم وقـام بفتـح بـاب غرفـة الملـك ، ثـم تراجـع خطـوة للـوراء .



دخـل الكاهـن الأعظـم غرفـة الملـك الأب واتجـه مبـاشرة إلى فراشـه وأخـذ يحـدق في وجهـه ويـردد ترانيـم مختلفـة داعيـا «البـاري» أن ينـزل رحماتـه عـلى الملـك الأب وأخـذ يدعـو لـه بالشـفاء وطـول البقـاء .

بينـما هـو يـردد الترانيـم دخـل طبيـب الملـك ومسـاعده، اقـترب مـن الفـراش وأخـذ يحـدق في وجـه الملـك الأب وهـو راقـد في فراشـه دون حركـة واحـدة تكـون دليـلا عـلى أنـه مـازال عـلى قيـد الحيـاة إلا صـدره الـذي يرتفـع ببـطء شـديد مـع كل شـهيق وزفـير .

وقـف الطبيـب ومسـاعده يتناقشـان في الحالـة المرضيـة للملـك وفي زيـادة كميـة الـدواء التـي يتناولهـا ، وكيـف يمكـن أن تكـون ذا خطـورة عـلى صحتـه، الملـك تجـاوز عامـه السـتين بقليـل، أعضـاؤه الداخليـة لا تعمـل بكفـاءة عاليـة، وهنـاك خطـورة عـلى حياتـه إن تنـاول جرعـات مكثفـة مـن الأدويـة .

كل الشـواهد تؤكـد أن الملـك الأب وأولاده قـد أصابهـم الوبـاء الـذي هاجـم المملكـة أخـيرا .

اقترب الكاهن الأعظم منهما وقال :

ـ كلـما زادت أخطـاء البـشر كلـما كانـت الأوبئـة التـي تهاجمنـا أكثـر عنفـا، أذكـر أنـه منـذ مـا لا يقـل عـن خمسـة عـشر عامـا حصـد وبـاء انتـشر في المملكـة أرواح أعـدادا كبـيرة مـن

الأطفال والشباب ولم يكن عدد الضحايا من كبار السن والسيدات كبيرا

توقف الكاهن الأعظم عن الكلام ونظر إلى فراش الأمير «علاء» نظرة إشفاق على المصير المحتوم .

فقال الطبيب :

ـ إن حالة الأمير «علاء» مازالت غير مستقرة، على عكس حالة الأمير «رجاء»، ولكن متى سيتم نقل جثمان الأمير «ضياء» إلى المعبد سيدي الكاهن الأعظم ؟

ـ ننتظر حلول الظلام، حتى لا يعرف أحدا بما حدث .

فتح باب الغرفة أحد مساعدو طبيب الملك، ودخل ثم اقترب منه وهمس في أذنه بكلمات مقتضبة، تغيرت ملامح وجهه ثم استأذن الكاهن الأعظم في الانصراف قائلا :

ـ حالة الأمير «رجاء» في تداعي كبير .

أسرع طبيب أبي الخاص ومن ورائه مساعده ومن ورائهم الكاهن الأعظم في طريقهم للغرفة التي نرقد فيها أنا وأخي الأمير «رجاء»، اقتربوا من فراش أخي، وضع طبيب الملك يده برفق على رقبته محاولا التأكد أنه مازال حيا، ولما وجد أنه لا أثر للحياة في الجسد الراقد أمامه، نظر بحزن للكاهن الأعظم وهو يغطي الجثمان ويقول :



ـ نفـذ أمـر «البـاري»، لقـد تضاعـف مُصابنـا !!! علينـا نقـل جثـمان الأمـير «رجـاء» أيضـا إلى المعبـد سـيدي .

أشار الكاهن الأعظم لخادم أبي الخاص وقال :

ـ اخـتر أحـد الفرسـان المخلصين وأرسـله إلى المعبـد، واطلب منـه أن يلتقـي الخـادم الأعظـم في التـو وأن يبلغـه أني أنتظـره في القـصر الملكـي لأمـر شـديد الأهميـة والخطـورة، ويطلـب منـه أن يـأتي ومعـه خمسـة مـن خـدام المعبـد الموثـوق في ولائهـم وأن يحـضروا معهـم تابوتـين، عـلى أن يبقـي هـذا الأمـر في طـي الكتـمان، وأن يقومـوا بتجهيـز تابوتين آخران على وجـه السرعة .

سـمعت حديـث الكاهـن الأعظـم مـع خـادم أبي رغـم أنـه كان يتحـدث بصـوت خافـت، أدركـت أن التابوتـين الأولان همـا لأخويـا الأمـير «رجـاء» والأمـير «ضيـاء» اللـذان توفيـا قبـل قليـل، والتابوتـان اللـذان سـيجري تجهيزهمـا همـا بالتأكيـد لي ولأبي، مـا إن وصـل الفـارس الـذي أرسـله خـادم أبي إلى المعبـد حتـى بـدأ العمـل في تجهيـز أربعـة توابيـت .

اسـتعد خـدام المعبـد للتحـرك في ثـلاث عربـات، إحداهـا تحمـل تابـوت الأمـير «رجـاء» ، والأخـرى تحمـل تابـوت الأمير «ضيـاء» ، والثالثـة تحمـل خـدام المعبـد الخمسـة والخـادم الأعظـم، لم تكـن المسـافة التـي قطعتهـا الخيـول بـين المعبـد والقـصر الملكـي كبـيرة، توقفـت العربـات الثـلاث أمـام بوابـة



القــصر، نــزل خــدام المعبــد عــلى عجــل مــن العربــة الأولى بأرديتهــم الســوداء الفضفاضــة، تحركــوا في صــف واحــد وســط الضبــاب إلى داخــل القــصر، صعــدوا درجــات الســلم بسرعــة ووصلــوا إلى الغرفــة التــي كنــا نرقــد فيهــا أنــا وأخــواي .

سأل الكاهن الأعظم خدام المعبد :

ـ هل كل شيء على ما يرام ؟

ـ نعم .

ـ هــل شــعر بكم أحــد ما وأنتم تخرجــون التوابيت مــن القبو ؟

ـ الــكل في حــال انشــغال في عــلاج المــرضى الذيــن لجــأوا للمعبــد .

ـ وهل التابوتان الآخران جاهزان حال ما نطلبهما ؟

ـ خدام المعبد يقومون بتجهيزهما الآن سيدي .

أشــار الخــادم الأكــبر لمســاعدوه لإحضــار التابــوت الأول وهــو يتعجلهــم .

نــزل الجميــع وحملــوا التابــوت الأول وصعــدوا بــه إلى الغرفة ووضعــوا فيــه جثــمان الأمير «رجــاء»، حملــوه إلى بوابــة القــصر ووضعــوه في العربــة الأولى التــي انطلقــت في هــدوء إلى المعبــد عــبر البوابــة الرئيســية لحديقــة القــصر .



أشـــار حــراس الأبــواب للعربــة للتوقــف لتفتيشــها قبــل الخــروج مــن البوابــة، نــزل الخــادم الأكــبر منهــا وهمــس في أذن كبــير الحــراس قائــلا :

ـ تحمـل العربـة صندوقـا مليئـا بزجاجـات النبيـذ والفاكهـة، التــي تــبرع بهــا الملــك الأب للمعبــد، الــذي ســيقوم بتوزيعهــا عــلى المــرضى الفقــراء .

مد يده بزجاجة نبيذ وقال :

ـ هاك واحدة منها .

تناولها الحارس وهو يبتسم

مــد الخــادم الأكــبر يــده داخــل العربــة وأخــذ زجاجــة نبيــذ أخــرى وناولهــا للحــارس وقــال :

ـ وهــذه الزجاجــة عــن العربــة التاليــة والتــي ســتخرج مــن البوابــة بعــد قليــل، ولكــن احــذر أن يعــرف أحــد ما بهــذا الأمر، الملــك الأب لا يريــد أن يطلــع أحــد مــا عــلى أعــمال الخــير التــي يســاعد بهــا الفقــراء مــن أبنــاء شــعبه .

فتح الحارس فاه على اتساعه وهو يردد :

ـ طبعا ... طبعا .... سيدي .



عيون تتلصص

شـقت العربـات الثـلاث الطريـق بهـدوء وسـط الضبـاب متجهـين إلى المعبـد، توقفـت أمـام البوابـة الداخليـة ونـزل مـن العربـة الأولى خـدام المعبـد، وقامـوا بحمـل التابـوت الأول وبـه جثـمان الأمـير «رجـاء»، أنزلـوه إلى القبـو في الـدور الأول تحـت الأرض .

لم يلحـظ خـدام المعبـد أنـه كانـت هنـاك عيـون تتابـع حركتهـم مـن إحـدى الشرفـات فـوق البوابـة الداخليـة، رغـم أنهـم كانـوا حريصـين عـلى ألا يشـعر بهـم أحـد ممـن في المعبد إلا أن تلـك العيـون رصدتهـم ورصـدت تحركاتهـم رغـم الضبـاب الكثيـف الـذي كان يلـف المـكان .

بمجـرد أن وضـع خـدام المعبـد التابـوت الـذي يحـوي جثـمان الأمـير رجـاء عـلى منضـدة في منتصـف القبـو، أسرعـوا بالصعـود مـرة أخـرى مـن السـلم الداخـلي إلى الخـارج، حملـوا



التابـوت الثـاني والـذي يحـوي جثـمان الأمـير «ضيـاء» وسـاروا بـه في الممـر، لم يلحـظ أحـد منهـم أن العيـون مازالـت تتابـع تحركهـم، نزلـوا بالتابـوت درجـات السـلم الداخـلي ووضعـوا التابـوت الثـاني إلى جانـب الأول عـلى منضـدة مجـاورة .

صرف كبــير خــدام المعبــد العربـات الثـلاث وأشــار إلى مســاعده قائــلا :

ـ اتبعني

هبـط درجـات السـلم ببـطء وهـو يتلفـت يمينـا وشـمالا ويتمتـم بصـوت خافـت، أأمـل أن لا يكـون قـد شـعر بنـا وإلا فلـن ننتهـي مـن المشـاكل التـي سـيثيرها !

ـ من هذا سيدي ؟

ـ نائـب الكاهـن الأعظـم، ينتظـر الفرصـة المناسـبة للإطاحـة بالـكل والوثـوب عـلى كـرسي الكهنـوت ويكـون قـاب قوسـين أو أدنـى مـن اعتـلاء كـرسي الملـك الأب، فقانـون المملكـة بالـغ التعقيـد ولا يسـمح بحـدوث هـذا إلا في حـالات معينـة وهـو يريـد أن يتجاوزهـا .

لقـد توالـت هـذه الأحـداث التـي مـن الممكـن أن نسـميها بالأحـداث العجـاف عـلى ذهني مـا إن سـمعت أبي وهـو يقول :

منذ أن مات أخواك وأنا أعيش في شقاء



أراد أبي أن يلقنني درسا قويا يُعِدُني بشكل جيد للتعامل مع أحداث المستقبل التي ستواجهني حينما أمسك بزمام الأمور في المملكة .

أرخى لي الحبل كما يقولون، تركني أفعل ما أريد وما أشاء من لهو وسهر ومواعدة أميرات ومضاجعة الغواني وغير ذلك الكثير، ولما وجد أن سلوكي في تغير مستمر للأسوأ وبأنني لم أعيد تقويم سلوكي المُعوّج للأفضل، قرر أن يجذب الحبل بالقوة المغلفة باللين .

حتى في هذا الموقف كان أبي يتحسب لكل شيء، حتى وإن كان غيره يراه صغيرا أو تافها .

بينما كان يحدثني عن كيفية تغيير هذا السلوك والذي يعتبره مشينا، كان يتوقف أحيانا عن السير وينظر إلى الشرفة وهو يتحدث، وأحيانا يأتي إلى جانبي الأيمن، وأحيانا أخرى من وراء ظهري وأنا ما زلت أقف في منتصف الغرفة، لم يسمح لي بالجلوس، في إشارة منه على أنني سأنال العقاب اللازم على أفعالي .

قبل أن يعلن هذا العقاب أراد أولا أن يمهد لي الطريق لتقبل العقاب بالعبارة التي أثارت شجوني وأعادت إلى ذاكرتي الكثير من الأحداث المأساوية التي مر بها، لقد مهدت هذه الكلمات القليلة الطريق كثيرا بداخلي لكي



أتقبـل أي عقـاب قـد يـراه مناسـبا، فهـو بحـق أب مكلـوم في ولديـه .

بينـما كان أبي يتحـدث إليَّ معنفـاً إيـاي بقـوة، كنـت أسـترجع الأحـداث رغـم أنـه مـرت سـنوات وسـنوات عليهـا .

كان الكاهــن الأعظـم والطبيـب الخـاص بالعائلـة الملكيـة ومسـاعدوه والخـادم الخـاص بالملـك عـلى يقـين أن الطفـل الراقـد في الفـراش يتـأوه دون توقـف، ضعيـف البنيـة، لـن يتجـاوز محنـة المرض لأن الوبـاء اسـتطاع القضـاء عـلى مـن هم أشـد منـه قـوة وبـأس، لذلـك أبلـغ الكاهـن الأعظـم خـادم أبي الخـاص أن يرسـل في طلـب التابـوت الثالـث في اليوم التـالي وأن يحضره نفـس خـدام المعبـد الذيـن أحـضروا التابوتين السـابقين ، وشـدد عـلى ضرورة أن يكـون هـذا الأمـر في طـي الكتـمان .

أسرع الرسـول متجهـا إلى المعبـد لينفـذ مـا أمـره بـه الكاهـن الأعظـم، طـوال الطريـق إلى هنـاك وهـو يشـعر أن هنـاك مـن يمـشي وراءه ويراقـب حركتـه، كان تـارة يكـذب نفسـه وتـارة أخـرى يتلفـت حولـه، وكان تـارة ثالثـة يـضرب جـواده بقسـوة ليـسرع في العـدو، وصـل أخـيرا إلى البوابـة الداخليـة للمعبـد وطلـب لقـاء الخـادم الأكـبر، بينـما هـو ينتظـر الموافقـة، شـعر بـأن هنـاك مـن يراقبـه مـن شرفـة أعـلى البوابـة، تلفـت حولـه ثـم نظـر بسرعـة إلى الشرفـة، لاحـظ أن إحـدى السـتائر تتحرك، أيقـن أن هنـاك مـن يتتبعـه وهنـاك مـن يرصـد حركتـه .

سمح له الحراس بدخول المعبد، فوقف في الساحة منتظرا الخادم الأكبر وهو ينظر لأعلى .

حضر الخادم الأكبر على عجل، اقترب منه وأمسك بساعده ثم انتحى به جانبا وسأله :

ـ هل حدث شيء ؟

ـ ليس بعد سيدي، الكاهن الأعظم يطلب التعجيل بإحضار التابوت الثالث، على أن يظل هذا الأمر في طي الكتمان .

ـ طبعا .... طبعا يا ولدي، انصرف أنت الآن وسنأتي في أعقابك .

ـ سمعا وطاعة سيدي، هناك أمر آخر، طوال الطريق إلى هنا وأنا أشعر أن هناك من يراقبني ونفس الأمر أشعر به الآن، لمحت عيونا تنظر إليَّ من خلف ستائر الشرفة التي تعلوا البوابة الداخلية .

ـ سنناقش هذا الأمر ما إن ننتهي من مهمتنا .

عاد الرسول إلى القصر ودخل الغرفة التي كنت أرقد بها ومن حولي خادم أبي والكاهن الأعظم وطبيب العائلة الملكية ومساعدوه وطلب الإذن بالكلام .

أشار له الكاهن الأعظم بالموافقة .



- إنهم على وصول سيدي .

- انتظرهم في البهو ولا تدعهم يُدخلون التابوت الآن، سننتظر إلى أن ينفذ أمر «الباري» .

- سمعا وطاعة سيدي .

يبدو أن هذا الحوار الذي سمعته وأنا أرقد في الفراش، وهم يتجولون في الغرفة من حولي ينتظرون النهاية الحتمية لي قد حفز إرادة التمسك بالحياة لديَّ.

مرت ساعات وهم يتجولون بين غرفتي وبين غرفة أبي، ينتظرون حدوث أحد أمرين، إما أن ينقلوا جثماني وجثمان أبي إلى قبو المعبد ، أو أن ينقلوا جثمان أحدنا وينجوا الآخر من الموت بمعجزة، الاحتمالات كلها واردة، إلا احتمال نجاتنا أنا وأبي من الوباء .

لو لقيت حتفي ونجا الملك، لن يغير هذا الأمر من شيء في شؤون حكم المملكة، سيُسلم الكاهن الأعظم مقاليد الحكم لأبي، ولن يكون هناك أي جديد سوى أن أبي سيعيش مكلوما في ثلاثة من أولاده .

الاحتمال الثاني : هو أن يلقى أبي حتفه وأعيش أنا، وما إن أبلغ عامي العشرين، يسلمني الكاهن الأعظم مقاليد الحكم، وأصبح أنا الملك المتوج على مملكة «ساموراء».



والاحتمال الثالث : هو أن نلقى أنا وأبي بارئنا وهنا كانت الأمور كلها ستتغير وينتقل الحكم إلى الكاهن الأعظم وعائلته ويبدأ عصر جديد للمملكة .وخلال أيام قلائل يتم تنصيبه ملكا ويكون أكبر أولاده ولي العهد والملك القادم للمملكة

الأمر الأشد غرابة هو أيا من الاحتمالات الثلاثة السابقة قد حدث !!!

بينما الجميع يتنقلون بين غرفتي وبين غرفة أبي للاطمئنان علينا وتحسبا لما هو قادم، طرق طبيب أبي باب غرفتي ، ثم دخل وتبدو على وجهه علامات السعادة والغبطة وقال وهو يتهلل فرحا :

ـ لقد عبر مولاي الأزمة سيدي الكاهن وبدأ في التحدث، سأل أولا عن الأمراء، ولكني تجاهلت السؤال، لم أستطع إبلاغه نبأ وفاة اثنين منهم، ثم طلب رؤيتك .

ـ حسنا هيا بنا .

تقدّم الكاهن الأعظم وخرج من الغرفة وهو يفكر فيما سيقوله للملك الأب عن أشياء كثيرة حدثت خلال اليومين الماضيين ، وعلى رأس تلك الأحداث وفاة الأمراء«ضياء» «ورجاء» بسبب الوباء الذي اجتاح المملكة .



قبل أن يصل إلى باب غرفة الملك كان قد استقر به الرأى على ألا يصارحه بحقيقة ما حدث الآن وعليه فقط أن يكتفي بالقول أنهم في أسِرَتهم وأن طبيب العائلة منع زيارتهم حتى لا تسوء الحالة .

دخل الكاهن الأعظم باب غرفة الملك الأب وعلامات السرور تبدو على وجهه،

فتح ذراعيه عن آخرهما وهو يقول حمدا للباري على نجاة مولاي الملك الأب .

ابتسم الملك قليلا وقال :

ـ كم يوما مرَ عليَّ وأنا أرقد في الفراش بين الحياة والممات ؟

ـ ليلتان سيدي .

ـ ولكن أين الأمراء ؟

ـ إنهم في الغرفة المجاورة، وما زالوا يتلقون العلاج .

ـ أريد أن أطمئن عليهم .

تجاهل الكاهن الأعظم طلب الملك الأب وقال في لهجة تعني أن الأمر منتهِ :



ـ أكـد الطبيـب أن الراحـة التامـة هـى جـزء ضروري الآن لعبـور هـذه الأزمـة ، وقـال أن مجـرد النـزول مـن الفـراش سـوف يـؤدي إلى تداعيـات كثـيرة بالنسـبة لـك مـولاي وبالنسـبة لهـم، لاتقلـق مـولاي فلـن تطـول الأزمـة !

في هـذه الأثنـاء دخـل الطبيـب وبـدا وجهـه متهلـلا وقـال لقـد ترفـق «البـاري» بمـولاي كثـيرا، لـه منـا كل الشـكر والثنـاء .

بادره الملك بسؤال :

ـ ألا أستطيع أن أنزل من الفراش ؟

نظـر الطبيـب إلى الكاهـن الأعظـم نظـرة تسـاؤل، فهـو لم يعـرف مـا الـذي قالـه للملـك الأب ليقنعـه بعـدم النـزول مـن الفـراش، فآثـر السـلامة وقـام بهـز رأسـه دون أن ينطـق بحـرف واحـد .

البشرى

لا أعـرف لمـاذا طافـت بـرأسي كل هـذه الأحـداث وأبي مـازال يعنفنـي بالإشـارة وبالقـول، ولم يسـمح لي حتـى بالجلـوس أو بالـرد، ورفـض أيضـا اعتـذاري عـما فعلـت وقـرر أخـيرا أن يلقـي بالعقـاب الـذي ظـن أنـه سيسـاعد في تقويـم سـلوكي الشـائن عـلى حـد وصفـه لحيـاة اللهـو التـي أعيشـها وأنـا منـصرف كليـةً عـن تحمـل مسـئولياتي تجـاه أعبـاء المملكـة «سـاموراء».

خـوفي عـلى صحـة أبي وإحسـاسي بالشـفقة عليـه في تلـك اللحظـة ذكرنـى جيـدا بالإحسـاس الـذي انتابنـي وسـيطر عـلىّ مـا إن رأيتـه والكاهـن ينقـل إليـه خـبر وفـاة اثنـين مـن أولاده في الوبـاء الـذي اجتـاح المملكـة .

اجتمـع الكاهـن الأعظـم وطبيـب أبي الخـاص في الحجـرة التـي أرقـد فيهـا بـين الحيـاة والممات .



سأل الكاهن الأعظم :

ـ هل هناك أي أمل في شفاء الأمير «علاء» ؟

ـ عفوا سيدي، كل الشواهد تؤكد أنه لن يستطيع عبور هذه الأزمة .

ـ ولكن الملك الأب تجاوز المحنة وهو الآن يتماثل للشفاء،

ـ أتمنى ذلك سيدي الكاهن، لقد بذلنا جميعا جهودا مضنية لإنقاذه، وأدعو «الباري» أن تكلل هذه الجهود بالشفاء .

ـ الموقف عصيب للغاية على الملك الأب وعلينا، هو إلى الآن لا يعرف أن اثنين من أولاده لقوا حتفهم، وأخشى أن أنقل إليه هذا الخبر السوء الآن فيؤثر على حالته الصحية، وهناك أمر آخر، لا أعرف الآن ما سيؤول إليه مصير الأمير «علاء»، أخشي أن أنقل للملك خبر وفاة اثنين من أولاده الثلاثة ثم بعد يوم أعود وأنقل خبر وفاة ابنه الثالث لاشك أن الخبر الأول كفيل في أن يفت في عضده، فما بالنا إذا تطور الأمر للأسوأ ومات الأمير «علاء» بعد أن ننقل إليه خبر وفاة الأمراء «ضياء» و«رجاء»، وفي ذات الوقت الملك الأب يلح عليَّ كثيرا في رؤية أولاده والاطمئنان عليهم، إلى متى أسوق الحجج وأخفي هذا النبأ السيئ؟



انتهى الحديث بين الكاهن الأعظم وطبيب أبي الخاص بأن أسلما أمرهما للباري، فالانتظار هو الأمر المطلوب حاليا، العجلة في نقل الخبر السيئ للملك الأب ستأتي بنتائج كارثية .

تجلت عظمة «الباري» ورحمته في اليوم التالي حينما فتح خادم أبي عينيه وكان نائما على مقعد إلى جوار فراشي على صوت همهمة مني، قام بسرعة من مكانه واقترب من فراشي ووضع أذنه بالقرب من فمي، أراد أن يتأكد مما يسمع، وأن الصوت الذي سمعه منذ برهة هو بالفعل صوتي أنا .

ما إن تأكد من ذلك حتى قفز في الهواء فرحا وأسرع إلى طبيب أبي في الطرف الآخر من الغرفة وأبلغه بالخبر، أسرعا قادمين في اتجاه فراشي وتبدو السعادة واضحة على وجهيهما أسرع خادم أبي خارجا من غرفتي متوجها إلى غرفة أبي حيث يجلس الكاهن الأعظم إلى جوار أبي وهو يقرأ تراتيل مختلفة، ما إن لمحه يفتح الباب حتى جاء مسرعا وسأله :

ـ هل نفذ أمر «الباري» ؟

ـ نعم سيدي، نفذ أمر «الباري» وعاد الأمير «علاء» للحياة مرة أخرى .



ـ حسنا، لقد أزال هذا من على أكتافي حملا ثقيلا، منذ قليل والملك يحاول أن يستشف مني ماذا حدث لأولاده، وأنا أحاول ألا أعطيه إجابة شافية على سؤاله حتى أنه في نهاية حديثنا قال :

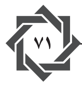
ـ يبدو أنني سأسمع أخبارا حزينة .

عاد الكاهن الأعظم إلى مقعده إلى جوار فراش أبي وتحدث عن الوباء الذي اجتاح المملكة ولكنه بدأ في الانحسار الآن، وكيف أن الصلوات لم تنقطع طوال الأيام الماضية في المعبد توسلا للباري وترحما على أرواح الضحايا، وقبل أن يكمل حديثه عن أمور أخرى في المملكة، سأل عن أولاده الأمراء .

توقف الكاهن الأعظم عن الكلام ولكنه في تلك اللحظة كان يوازن بين أن يخفي عن الملك الأب نبأ وفاة اثنين من أولاده ونجاة الثالث وبين أن يبدأ في التمهيد للنبأ الحزين .

ـ هذا ما جئت لأتحدث فيه معك مولاي، لقد استعاد «الباري» وديعتيه وترك لنا الثالثة .

كانت هذه هي العبارة المقتضبة التى عبر بها الكاهن الأعظم عما حدث خلال الأيام القليلة الماضية .



نظر إليه أبي وهو راقد في فراشه غير مصدق لما حدث، ثم نظر ناحية الشرفة وأخذ يبكي وهو يتمتم ببعض الكلمات، مرت لحظات والملك يحاول أن يتماسك، لم يكن يهتم في تلك اللحظة بمعرفة مَن مِن أولاده قد عبر الأزمة والمحنة وعاد ثانية للحياة، ما كان يعنيه هو معرفة من مات منهم .

بعد أن استعاد قليلا من هدوءه نظر إلى الكاهن الأعظم وقال :

ـ أريد أن ألقي النظرة الأخيرة على جثامين أولادي

ـ عفوا جلالة الملك، لقد نقلناهم ليلة أمس إلى المعبد والأمير «علاء» يرقد في فراشه وسيتماثل قريبا جدا للشفاء .

ـ أريد أن أراه، هَمَّ الملك بالقيام من فراشه فلم يستطع، اقترب الكاهن الأعظم ثم مد ساعده، أمسك الملك به ثم وقف بصعوبة بالغة، فما زالت آثار المرض تؤثر على قوته الجسمانية أخيرا خطا بضع خطوات داخل الغرفة بمساعدة الكاهن الأعظم .

توجها إلى غرفتي وهما يمشيان ببطء شديد في البهو، فتح الكاهن الأعظم الباب ثم لمحت أبي يدخل وهو مازال متكئا على ساعد الكاهن الأعظم .



نظـر إليَّ ثـم تحـرك ببـطء شـديد في اتجـاه فـراشي، مـددت يـدي لـه معـبرا عـن سـعادتي بابتسـامة عـلى وجهـي الشـاحب، تقـدم خطـوة أخـرى في اتجاهـي مـادا يـده يريـد أن يلمـس يدي، لم تسـتطع قدمـاه تحمـل رغبتـه في الإسراع في خطواتـه ناحيتـي، تعثـرت قدمـاه وسـقط عـلى الأرض إلى جـوار فـراشي، اندفـع الكاهـن الأعظـم وخـادم أبي الخـاص لمسـاعدته عـلى الوقـوف والوصـول إليَّ، جلـس إلى جانبـي وهـو يتحسـس وجهـي ويدي كأنـما لا يصـدق أنني مـا زلـت حيـا وبأنني اسـتطعت عبـور أزمـة المـرض اللعـين، مـال برأسـه عـلى صـدري وبكـى بـكاءً شـديدا، كانـت دموعـه تعبـيرا واضحـا عـن الحـزن والفـرح في آن واحـد، تعبـيرا عـن حزنـه لوفـاة اثنـين مـن أولاده وتعبـيرا عـن فرحتـه لنجـاتي مـن الوبـاء .

العقاب

قفـزت هـذه الأحـداث المأسـاوية دفعـة واحـدة إلى رأسي وأنـا أقـف في منتصـف غرفـة نـوم أبي، وهـو يـدور حـولي مؤنبـا ومعاتبـا عـلى أنني الابـن الوحيد لـه وولي العهـد والملـك القادم للمملكـة وأنـا مازلـت لاه عن شـؤون المملكـة بمداعبة النسـاء، أخـيرا قـرر أن يلقـي عـليَّ بالعقـاب، بعـد أن أفـرط في تأنيبـي وعتـابي عـلى سـلوكي الـذي يعتـبره مهينـا لـولي العهـد والملـك القـادم، ودون أن يلتفـت قـال مغلفـا مـا سـيقوله ببعـض اللين :

مرت على المملكة أياما كثيرة بيضاء

ولكن كانت أكثر الأيام سوداء

بسبب جفاف المحاصيل وندرة الغذاء

وموت الكثيرين بسبب تفشي الوباء

وطمع الكهنة في ملك الآباء

والإغارة المستمرة علينا من مملكة «براء»

واحتياجنا إلى تسليح جيش من الأقوياء

قادر على الوقوف في وجه الأعداء

تُوفِّي أخواك من داء لم يكن له دواء

وأنت الآن وحيدي من الأبناء

إن لم تُقّوم السلوك المعوج والأهواء

ستصبح أنت ولقيمة الغذاء في الفم سواء

سائغ للأعداء وللأصدقاء

سأترك عرشي هذا أبى من أبى وشاء من شاء

وأريد الاطمئنان على ملك الأباء

وأجنبك والمملكة الدخول في مواجهة مع الأعداء

فكرت في عقد صلح معهم لنضع نهاية للعداء

ونتوج هذا الصلح بزواجك من «ذات الرداء»

بعثت برسالة لحاكم مملكة «براء»

فأحسن الرد وطلب اللقاء

كان عقاب أبي لي كما يراه هو زواجي من «ذات الرداء»، لم يكن أمامي أى مفر سوى قبول هذا العقاب، لقد انتزع سلوكي المعوج - كما يقول أبي - مني أبسط الحقوق، وهو اختيار من ستكون بعد حين الملكة الأم، قبل أن أستأذنه في



الخروج من جناح نومه تذكرت حدثا من أهم الأحداث التى مرت بها المملكة، هو حدث يبرهن بقوة على تصريف القدر .

بعد يومين استعدنا أنا وأبي جزءًا كبيرًا من عافيتنا وتماثلنا للشفاء .

اجتمع أبي مع الكاهن الأعظم في جناحه وكان حتى ذلك الوقت هو القائم علي أمور المملكة واتفقا على إجراء مراسم الجنازة لأخواى في اليوم التالي ضمن مراسم جنازات العديد ممن سقطوا ضحايا الوباء .

بينما هو يشرح للملك الأب مراسم دخول جثامين أخواى وسط عزف مقطوعات موسيقية داخل المعبد إذا به يبدأ في السعال بشدة حتى ظن الملك أنه لن يتوقف، استمرت نوبة السعال عدة دقائق ثم أعقبها احمرار شديد في عينيه ثم بدأت الدموع في السقوط بغزارة .

عاتبه الملك لأنه لم يتوخى الحذر في الفترة السابقة وبأنه بذل مجهودا فوق احتماله، وطالبه بالانصراف على أن يلزم غرفة نومه في المعبد ويركن للراحة حتى موعد تأبين ضحايا الوباء .

تحركت عربة تجرها الخيول من أمام قصر الملك وبداخلها الكاهن الأعظم وكبير خدام المعبد، ما إن وصلت إلى البوابة الداخلية للمعبد، نظر الكاهن من النافذة الصغيرة



للعربـة فلمـح شـخصا يجـري مبتعـدا مـن أمـام الأحصنـة التـي كادت أن تدهسـه بأقدامهـا، سـأل الكاهـن كبـير خـدام المعبـد :

ـ ألم ترَ من كان يجري مبتعدا ؟

ـ لا سيدي

ـ من عساه يكون في هذا الوقت المتأخر هنا !!!

ـ لا أعـرف سـيدي ولكـن هنـاك أمور كثـيرة وغريبـة حدثت خـلال الأيـام الماضيـة واسـترعت الانتبـاه، واسـتطرد قائـلا :

ـ أحتفـظ دائـما في جيـب ردائـي بالنسـخة الوحيـدة لمفتـاح القبـو الـذي بـه جثامـين الضحايـا، ومنهـم جثـمان الأمـير «ضيـاء» و «رجـاء»، هـذا الصبـاح نزلـت إلى القبـو لألقـي نظرة عـلى الجثامـين وأتأكـد بنفسي أنهـا لم تبـدأ في التحلـل بعـد، وأن خـدام المعبـد يقومـون بـم طلبتـه منهـم وهـو سـكب كميـات مـن المطهـرات وعـلى رأسـها النبيـذ عليهـا حتـى لا تنبعـث رائحتهـا داخـل القاعـة الرئيسـية عندمـا نبـدأ مراسـم التأبـين، ولكنـي وجـدت بـاب القبـو مواربـا، ظننـت أن أحـدا مـا مـن خـدام المعبـد بالداخـل، فتحـت البـاب ودخلـت، لم أجـد أحـدا منهـم، ظننـت أن أحـدا قـد عبـث بالجثـث، أحصيـت العـدد، فوجدتـه كامـلا .

نظر الكاهن الأعظم باندهاش إليه وقال :



ـ يبدو أنك أفرطت في الشراب .

عفوا سيدي لم أشرب الخمر منذ مساء الأمس، وأكاد أجزم بأني أغلقت الباب بنفسي بمفتاح لا يغادر ردائي، ولما حيرتني الظنون سألت نفسي متعجبا :

ـ من ذا الذي يمكنه أن ينزل إلى قبو به جثامين ضحايا وباء انتشر في المملكة خلال الأيام الماضية ؟

ابتسم الكاهن الأعظم وقال :

ـ لاشك أنك نسيته مفتوحا .

توقفت العربة التي يركبها الكاهن الأعظم وكبير خدام المعبد أمام الباب الداخلي، نزلا منها وقد انتابت الكاهن الأعظم نوبة سعال شديدة حتى أنه توقف عن السير، استأنف سيره بعد أن هدأت حدة السعال وقال وهو ينظر لخادم المعبد :

ـ بذلت مجهودا كبيرا خلال الأيام الماضية، يبدو أن جسدي بدأ يطالبني بإلحاح بالراحة، سآوي إلى مخدعي حتى أكون جاهزا لمراسم تأبين الضحايا .

ما إن انصرفا كلاهما إلى مخدعه حتى أسدلت الأيدي الستائر داخل الغرفة التي تقع فوق البوابة الداخلية .



أطلق حراس المعبد النفير معلنين عن حضورنا أنا وأبي مراسم تأبين ضحايا الوباء وعلى رأسهم أخواى الأمير «ضياء» والأمير «رجاء»، كانت المراسم تقضي بإشعال الشموع في أنحاء المعبد ثم يقوم الكاهن الأعظم بإلقاء كلمته، يدعوا فيها «الباري» لإسباغ رحمته على الضحايا، ثم يتم نقلهم إلى المكان الذي سيتم فيه حرق الجثث .

بينما يلقي الكاهن الأعظم كلمته، توقف فجأة عن الكلام، ثم التفت ناحية الملك، ووضع يده على جبهته وسقط مغشيا عليه .

أثار سقوطه ذهول الحاضرين، أسرع مساعدوه والذين كانوا يجلسون في مكان قريب من المنصة إليه، حملوه وهو مغشي عليه إلى مخدعه، واحد فقط ظل جالسا ولم يتحرك وابتسامة خبث لا تفارق فاه .

انحنى عليه أحد مساعديه وقال بهدوء وبصوت خافت :

ـ هنيئا لك كرسي الكهنوت سيدي، ثم أتبع الكهنة إلى حيث سقط الكاهن الأعظم واشترك في حمله إلى مخدعه .

انزعج أبي بشدة لما رأى الكاهن الأعظم وهو يسقط على الأرض، أسرع الخطى إليه، ثم رافقه إلى مخدعه وأشار لى، فهمت من إشارته أنه يريد استكمال المراسم ولا يريد تأجيلها فجثامين الضحايا لن تتحمل أكثر من ذلك وربما



تبـدأ في التحلـل، طلبـت مـن كبـير خـدام المعبـد اسـتئناف المراسـم عـلى أن يخلـف الكاهـن الأعظـم نائبـه «خبـاء» .

انتهـت المراسـم وتـم حـرق الجثامـين وسـط حضـور كبـير مـن أهـالي الضحايـا، وبعـد أن انتهـت المراسـم، وجـدت كبـير خـدام المعبـد يقـترب منـي ويهمـس في أذني :

ـ مولاي الملك في انتظارك سمو الأمير !

أثـار طلـب أبي الحضـور إلى غرفـة نـوم الكاهـن الأعظـم علامـات اسـتفهام كثـيرة، أسرعـت إلى هنـاك، فوجـدت الكاهـن الأعظـم في حالـة يُرثـى لهـا .

فاجـأني أبي بـأن قال بصـوت خافت بعـد أن تنحـى بي جانبا :

ـ لـن يسـتغرق الأمـر كثـيرا، الدلائـل كلهـا تشـير إلى احتـمال وفـاة الكاهـن الأعظـم، حالتـه غـير مطمئنـة بالمـرة، لا أريـد أن يسـتغرق الأمـر وقتـا كثـيرا في حالـة وفاتـه، علينـا ترتيـب نقـل كافـة صلاحياتـه لنائبـه «خبـاء» في أسرع وقـت ممكـن، عليـك متابعـة هـذا الأمـر مـن الآن .

وضـح تأثـر أبي الشـديد ممـا أصـاب الكاهـن الأعظـم، فهـو صديقـه المقـرب، وكان أبي يعتـبره أصـدق أصدقائـه، غـير أنـه رجـل الديـن الأول والأقـدم في المملكة، متواضع للغاية وليسـت لـه طموحـات تدفعـه للقفـز عـلى كـرسي العـرش في المملكـة .



حـدث مـا توقعـه أبي ومـات الكاهـن الأعظـم في تلـك الليلـة متأثـرا بالوبـاء، وأقـام لـه أبي مراسـم تأبـين تليـق بالكاهـن الأعظـم وبمكانتـه عنـده .

لقـد تذكـرت هـذه الأحـداث الجسـام وأنـا أسـتعد لمغـادرة جنـاح نـوم أبي الـذي كان قـد توقـف عـن توجيـه كلـمات اللـوم والعتـاب، ثـم أعطـاني ظهـره وألقـى عـلىَّ بخـبر زواجـي مـن «ذات الـرداء» قائـلا :

ـ انتظر هناك شيئا آخر!

ستأتي العائلة الملكية لإمارتنا في الشتاء

سنستقبلهم كملوك وعظماء

في حفل أسطوري يليق بالنبلاء

وسترى فيه الأميرة «ذات الرداء»

عليك من الآن نسيان سلوك ملاطفة النساء

استعدادا لحدث جلل سيغير من حياة البسطاء

معاهدة سلام بين الممالك الفرقاء

وزواجك من ابنة ملك «براء»

حتمي لتنجب لنا الأبناء

لنحافظ على ملك الآباء .



كانت هذه آخر كلمات أبي وهو يلقيها على مسامعي لكى يحدد بها مصير حياتي، فهو يرى أن زواجي من «ذات الرداء» سوف يجنب المملكة النزاع والحرب مع مملكة»براء»

لاشك في أن هذا حل سحري لما نعيش فيه من توتر دائم بسبب احتمال نشوب حرب مع المملكة الجارة وبما أن ملكها على استعداد لأن يجنح للسلم، إذن علينا أن نؤكد هذا السلام بزواج ابن الملك الوحيد لإمارتنا من الابنة الكبرى لمملكة «براء» .

بينما أنا أنحني ببطء وأستدير خارجا من جناح نوم أبي كنت أشعر بنقمة شديدة على هذا القرار أو العقاب القاسي الذي وقعه أبي عليَّ ولا مجال للاعتراض الآن، لقد أمهلني كثيرا وأعطاني الفرصة وراء الأخرى ولكني أهدرتهم جميعا .

سرتُ في البهو متجها إلى غرفة نومي وقد ظهر التجهم على وجهي . كنت أحاول أن أجد مخرجا من هذا الموقف الذي وضعت نفسي فيه، لاشك أن أبي أدرك حقيقة ما كنت أفكر فيه وأنا أتلقى اللوم والعتاب والتأنيب إلى آخره، لذلك أراد أن يصرفني بسرعة مما أنا فيه، لذلك أوكل إليَّ متابعة شؤون المملكة، على أن أطلعه يوميا على أى جديد .

انقضت أيام الصيف والمملكة ترتدي ثوب البهاء



وفي يــوم الزيــارة أرســل أبي سريــة مــن فرســان الخيــول الســوداء

وفصيلة من جند المملكة الأقوياء

إلى منتصف الطريق بين إمارتنا ومملكة «براء»

لمرافقة الموكب الملكي للضيوف الأعزاء

وازدانت أسوار المملكة بالورود الحمراء

ووقف العامة يلوحون بأعلام خضراء

وحلقت في السماء أسراب الحمام البيضاء

واصطف الجند بملابس الشرف للعظماء

والراقصين والراقصات بملابسهم يدورون في خيلاء

ويتمايلون في حديقة القصر على الأعشاب الخضراء

وحضرت الفرق الموسيقية من كافة الأنحاء .



الأميرة البلهاء

كان الاستعداد لهذا الحدث الجلل يسير على قدم وساق، المملكتان كانتا على خلاف دائم منذ عهود، نشبت بينهما حروب كثيرة وأردت عددا كبيرا من القتلي والجرحى، رغم وساطة عدد من الملوك إلا أن السلام لم يتحقق بيت المملكتين إلى أن تفتّق ذهن أبي عن هذه الفكرة الجهنمية، أي تزويجي من الابنة الكبرى لملك مملكة «براء» .

رافقت سرية الجنود الذين يركبون الجياد السوداء العربة الملكية التي كان يستقلها ملك «براء» وزوجته الملكة «زهراء» وابنته الأميرة «ذات الرداء»، توقفت العربة أمام القصر الملكي حيث كان أبي يقف في غاية السعادة والخيلاء على سجادة حمراء تمتد من باب القصر وحتى القاعة الرئيسية، نزل ملك «براء» أولا ومن ورائه زوجته وتبعتهما ابنته وكانت تحمل جروا صغيرا على يديها، وترتدي فستانا واسعا مزركشا بأحجار كريمة خضراء وصفراء وحمراء، وعلى رأسها قبعة بلون الحذاء .



لم تكـن «ذات الـرداء» دميمـة، ولم تكـن جميلـة، كانـت تبـدو بلهـاء وتفاصيـل وجهها تنطـق بالغبـاء، انطباعـي عـن رؤيتـي لها للمـرة الأولى لم يساعدني عـلى الإطـلاق فى تقبـل أن تكـون هـذه البلهـاء هـى الملكـة القادمـة لمملكـة «سـاموراء» .

أدركـت في تلـك اللحظـة كـم هـو قـاسٍ ذلـك العقـاب الـذي نالنـي مـن أبي الملـك الأب . فمـن تكـونُ هـذه البلهـاء إذا قورنـت بالأمـيرة « هيفـاء» التـي أمضيـت معهـا ليـال أقـل مـا توصـف بها أنهـا حمـراء، قـررت بينـي وبـين نفـسي أن أقـاوم هـذه الزيجـة بـكل الأشـكال .

طـرأت عـلى ذهنـي فكـرة أحسـبها جيـدة ..... لـن يقبـل أبي أن أرفـض الـزواج مـن هـذه البلهـاء، عـليَّ إذن أن أدفعهـا لكـي ترفـض هـى هـذا الـزواج، كأن أعاملهـا خـلال هـذه الزيـارة الرسـمية بجفـاء ولامبـالاة، لأنـه في حالـة عـدم قبولها الـزواج لـن تتأثـر معاهـدة السـلام بيننـا وبينهـم، ولكـن إذا جـاء الرفـض مـن جانبنـا، بالتأكيـد سـتكون هنـاك انعكاسـات كثـيرة سـلبية، وأعتقـد أن أبي سـيرفض هـذا وفي النهايـة سـوف يحملنـي النتائـج كاملـة، وأدخـل في دوامـة مـن التوتـر معـه

أكثـر مـا أثـار اندهـاشي ليـس الأمـيرة «ذات الـرداء»، بـل الفتـاة التـي هبطـت مـن ورائهـا مـن العربـة الملكيـة، فـلا هـى إحـدى بنـات ملـك «بـراء» ولا تبـدو عليهـا وصيفـة الأمـيرة ولا هـى إحـدى الخادمـات .



كيـف إذن سـمحوا لهـا أن تركـب إلى جانـب الأمـيرة «ذات الـرداء» في نفـس العربـة الملكيـة ؟

حاولـت ألا أتوقـف كثـيرا أمـام هـذه الملاحظـة، فقـد كان أكثـر مـا يعنينـي في تلـك اللحظـة هـو الأمـيرة «ذات الـرداء» .

نظـرات الأمـيرة صارمـة وعيونهـا سـوداء، حاجباهـا في غـير استـواء، شـعرها قصـير، جسـم نحيـل في غـير امتـلاء، قصـيرة القامـة وسـيقان مقوسـة وبهـا التـواء .

مـا هــذا العقــاب القــاسي الــذي أنالــه عــلى يــدي أبي، كنــت أفضــل أن يمســك أبي بمطرقــة وينــزل بهــا عــلي رأسي بــدلا مــن دفعــي بقســوة للــزواج مــن هــذه الأعجوبــة، ليتــه أمسـك بخنجـر وطعننـي في ظهـرى مـرات ومـرات بـدلا مـن أن يوقـع عـليَّ هـذا العقـاب، الـذي أقـل مـا يوصـف بـه هـو الأشـد قسـوة مما سـبق، فبعـد حيـاة اللهـو والمـرح والمغامـرات ومداعبـة الأمـيرات الصغـيرات وملاطفـة الكبـيرات، يوقعنـي حظـي العاثـر في الـزواج مـن تلـك، هـذا مـا لم أكـن أتوقعـه عـلى أسـوأ الفـروض .

سـلم ملـك «بـراء» وزوجتـه الملكـة «زهـراء» وابنتـه «ذات الـرداء» عـلى أبي الـذي التفـت إليَّ وقـال :

ـ ولى العهد الأمير «علاء»



مـددت يـدي لأصافـح أبيهـا أولا، فشـد عـلى يـدي بقـوة وهـو يصافحنـي، ثـم مـددت يـدي لأصافـح الملكـة ومـا إن اقتربـت الأمـيرة «ذات الـرداء» منـى حتـى انحنـت بطريقـة مفاجـأة وعنيفـة، حتـى كاد الجـرو الصغـير الـذي كانـت تحملـه أن يسـقط مـن يدهـا، يبـدو وأنهـا مـن بلاهتهـا لم تسـتطع التمييـز بـين الانحنـاء برقـة مـع ابتسـامة لطيفـة وبـين الانحنـاء المصطنـع الـذي علموهـا إيـاه قبـل هـذه الزيـارة بقليـل .

طلـب منـى خـادم أبي الخـاص قبـل حضورهـم أن أتخـلى عـن الحيـاة البوهيميـة التـى أعيشـها، وأن أراعـى الأصـول الملكيـة في الاسـتقبال والجلـوس والتنـزه إلى آخـره، وعـلى رأس تلـك الأصـول هـو تقبيـل يـد الملكـة والأمـيرة برفـق خـلال مراسـم الاسـتقبال، وهـذا مـا فعلتـه مـع الملكـة الأم ولكـن مـع الأمـيرة «ذات الـرداء» لم أسـتطع أن أرفـع يدهـا بلطـف وأطبـع عليهـا قبلـة صغـيرة، لـو كانـت جميلـة المُحيـا لكنـت فعلـت هـذا حتـى مـن دون أن يوجهنـي خـادم أبـى الخـاص، ولكـن رغـم التوجيهـات المبالـغ فيهـا مـن الملـك الأب والمسـئول عـن المراسـم في القـصر إلا أننـي لم أسـتطع أن أفعـل مـا طلبـوه منـي، بـل فعلـت الأسـوأ، ضغطـت بقـوة عـلى يدهـا وأنـا أصافحهـا، حتـى أحسسـت أنهـا عـلى وشـك أن تتـأوه بصـوت مرتفـع إلى الدرجـة التـى جعلتنـي أظـن أن المحيطـين بي سـيفطنون لمـا أفعلـه، فـلا أسْـلَم مـن كلـمات لـوم وعتـاب بعـد ذلـك .



آثـرت السـلامة، وفضلـت التسـليم بالأمـر الواقـع، إلا أننـى لم أسـتطع أن أتقبـل فكـرة أن تكـون الفتـاة التـى نزلـت خلـف الأمـيرة مـن العربـة الملكيـة هـي وصيفتهـا، لأن البروتوكـول المعـروف لـدى البـلاط الملكـى يحـدد أماكـن معينـة لجلـوس المرافقـين للعائلـة الملكيـة ليـس مـن بينهـا الجلـوس إلى جانبهـم في العربـة الملكيـة، الفتـاة شـديدة الاختـلاف عـن الأمـيرة «ذات الـرداء»، تبـدو حادة الـذكاء، أذن صغـيرة كأذن قطـط الصحـراء، عيـون مسـتديرة وضيقـة، تنظـر طـوال الوقـت للسـماء، أنفهـا كبـير، دائـما ترفعـه لأعـلى لتبـدو وكأنهـا تشـم بـه الهـواء .

اتجهنـا جميعـا إلى داخـل القـصر يتقدمنـا الملـكان ثـم الملكـة «زهـراء» ثـم أنـا و»ذات الـرداء» وأخـيرا تلـك الفتـاة، وصلنـا إلى القاعـة الرئيسـية، وكانـت مُقسّـمة لأربعـة أقسـام، جـزء يجلـس فيـه الكهنـة وخـدام المعهـد، وجـزء مخصـص للعائلـة الملكيـة وضيوفهـا، وجـزء آخـر للفرقـة الموسـيقية والأكروبـات والسـحرة، والجـزء الرابـع بـه مائـدة الغـذاء التـى أقامهـا أبي عـلى شرف ضيـوف العائلـة الملكيـة .

قبـل موعـد الزيـارة بأسـبوع جـاءني المسـئول عـن إعـداد الولائـم والحفـلات في القـصر ، وكنـت أجلـس في الحديقـة مـع بعـض الأمـراء نراجـع التحضـيرات النهائيـة الخاصـة بحفـل اسـتقبال الملـك وزوجتـه وابنتـه والحاشـية المرافقـة لهـم، وقـال وتبـدو عـلى وجهـه علامـات الاندهـاش :



ـ سيدي الأمير، جاء منذ قليل رسول من مملكة «براء» ومعه عدد كبير من الطهاة والمساعدين والخدم للإعداد لمائدة العشاء التي سيقيمها ملك «براء» تحية لسموك ولجلالة الملك .

ـ وما في ذلك ؟

ـ لقد توقفت سمو الأمير إحدى عشر عربة تجرها الخيول، أمام بوابة القصر، ثم نزل الرسول ومن ورائه عدد كبير من العبيد والخدم والطهاة والمساعدين، اتجه العبيد والخدم إلى الأربعة عربات الخلفية ثم أخرجوا منها أقفاص مختلفة الأحجام والأشكال ومغطاة بأقمشة خشنة الملمس لحجب الرؤية عما بداخلها، ولكننا كنا نسمع صوت همهمات متصلة أحيانا ومتقطعة أحيانا أخرى، وسمعنا أصوات نسانيس وقرود وهي تتحرك وتصرخ داخل الأقفاص، لقد لمحت سيدي ذيل تمساح متوسط الحجم يتدلى من أحد الأقفاص وغير ذلك الكثير والكثير، ثم طلبوا مكانا للإقامة استعدادا لتجهيز هذه الوليمة .

لم أعر ما قاله المسئول عن الولائم والحفلات في القصر أي اهتمام ؛ لأنني كنت أراجع التفاصيل الأخيرة للزيارة فقد كانت هناك أمورا أكثر أهمية من مأدبة عشاء .



صرفت المسئول بعد أن أكدت عليه توفير كل ما يطلبه الضيوف .

توجه أبي مصطحبا الضيوف إلى أماكن جلوسهم في القاعة الرئيسة للقصر، ثم ألقى كلمة بسيطة عن أن «الباري» سوف يبارك من يسعون إلى السلام بين الناس، وألقى ملك «براء» كلمة عن انتهاء الخلافات بين المملكتين إلى الأبد .

توجه الجميع إلى قاعة الطعام العامرة بكل الأصناف :

حوت المائدة عشرات الأنواع من اللحوم الحمراء

كالبقر والجاموس والجمال والظباء

وعشرات الأنواع من اللحوم البيضاء

كالدجاج والنعام والطاووس والحداء

والبط والإوز وأكباد أيائل البيداء

وعشرات الأنواع من الأسماك وكلاب الماء

وعشرات الأنواع من فواكه خط الاستواء

جلس الملك الأب في منتصف المائدة وإلى جانبه الكاهن الأعظم الجديد «خباء» وإلى جانبه كبير خدام المعبد، وفي المقابل جلس ملك مملكة «براء» وإلى جانبه الملكة «زهراء» والأميرة «ذات الرداء» ثم أنا ثم الفتاة الصماء .



قبـل أن نجلـس إلى مائـدة الغـداء، لمحـت الفتـاة الصـماء تدخـل إلى القاعـة الموجـودة فيهـا المائـدة ثـم تقـف قليـلا في كل ركـن مـن أركان القاعـة وتتمتـم ببعـض الكلـمات وتـدور حـول نفسـها نصـف دورة ثـم تسـتأنف السـير إلى الركـن الثـاني، وهكـذا إلى أن انتهـت مـن الأربعـة أركان، ثـم عـادت إلى مقعدهـا .

لم أشـعر بالارتيـاح سـواء للأمـيرة «ذات الـرداء» أو لتلـك الفتـاة الصـماء التـي لا تفارقهـا صبـاح مسـاء، نظـرات الفتـاة مريبـة، دائـما مـا تسـبقها إلى أى مـكان، وتظـل تبحـث عـن شيء مـا، لا أعرفـه، ثـم تعـود فتقـف إلى جانـب الأمـيرة وهـي تنظـر إلى أعـلى، وترفـع أنفهـا وكأنهـا تشـم الهـواء، لم أكـن أدرك أن البلاهـة قـد وصلـت إلى الدرجـة التـى لا يمكـن وصفهـا في سـلوك الأمـيرة «ذات الـرداء»، العيـوب التـى كان يؤاخـذني عليهـا أبي تتلخـص في سـلوكي الـذي يصفـه أبي بالصبيـاني، ومغامـراتي النسـائية، وذلـك مرجعـه إلى أننـي الابـن الوحيـد للملـك، مـات أخـواي بسـبب الوبـاء، لذلـك دللنـي كل مـن في القـصر بمـن فيهـم أبي نفسـه والـذي يؤاخـذني الآن عـلى هذا السـلوك، أمـا اتهامـي ل «ذات الـرداء» بالبلاهـة كان انطباعـا من الوهلـة الأولى ثـم أكدتـه التصرفـات الصبيانيـة أحيانـا والغريبـة في أحيـان أخـرى، فعندمـا أرادت الأمـيرة أن تداعبنـي قليـلا عـلى مائـدة الغـذاء، اسـتجمعت قواهـا ثـم وكزتنـي بكوعهـا



بقـوة في جانبـي، سـقط طبـق الحسـاء الـذي كنـت أتناولـه عـلى المائـدة فأغـرق ملابسي وملابـس الملكـة التـي نظـرت إليَّ باندهـاش شـديد مسـتنكرة مـا حـدث، اتجهـت أنظـار الجميـع إليَّ وهـم لا يدركـون أن السـبب فيـما حـدث هـو الأمـيرة البلهاء أقصـد «ذات الـرداء» حدثـت أيضـا بعـض الأمـور الصغـيرة، وكانـت ردة فعـل الأمـيرة لا تتناسـب في المطلـق مـع مـا حدث، إضافـة لأنهـا تبـدو بلهـاء ، هـي عنيفـة للغايـة متكـبرة متعاليـة، هـي أعجوبـة في تكوينهـا الجسـماني والنفـسي .

رغـم أني رفضـت الأمـيرة «ذات الـرداء» مـن داخـلي حتـى قبـل أن أراهـا، لأننـي اعتـبرت أن زواجهـا منـي هـو عقـاب أنزلـه عـليَّ أبي، إلا أن رفـضي لهـا زاد بعدمـا رأيتهـا للمـرة الأولى وكادت تسـقط كلبهـا الصغـير مـن عـلى يديهـا وهـى تنحنـي خـلال مراسـم الاسـتقبال .

لقـد انتهـى وقـت الشـكوى، لا حـل أمامـي سـوى إرضـاء أبي في المقـام الأول، عـن طريـق زواجـي مـن الأمـيرة «ذات الـرداء» وإنجـاب طفـل يحافـظ عـلى ملـك الأجـداد .

انتهينـا مـن وجبـة الغـذاء ثـم اصطحب المسـؤل عن المراسـم ملـك «بـراء» وزوجتـه وابنتـه والفتـاة الصـماء إلى جنـاح الضيافة الـذي يبعـد قليـلا عـن جنـاح نومـي، فـلا يفصـل بيننـا إلا بهـو صغـير، عـلى أن نعـاود اللقـاء في المسـاء ثـم ينتهـي يـوم الزيـارة



الأول بالعشـاء الـذي يقيمـه ملـك «بـراء» احتفـاءً بي وبوالدي .

اعتـلى ملـك «بـراء» وزوجتـه وأنـا درجـات السـلم الداخـلي للقـصر للوصـول إلى جنـاح الضيافـة، بحثـت ونحـن نصعـد درجـات السـلم عـن الأمـيرة ووصيفتهـا الصـماء فلـم أجدهـم، التفـت هنـا وهنـاك فلـم أجدهـا أيضـا، سـألت الملكـة :

ـ أين الأميرة ؟

تلعثمت قليلا في الرد وقالت :

ـ سبقتنا إلى جناح الضيافة .

لم أعـر الأمـر أي اهتـمام، وقمـت بمرافقـة الضيـوف إلى جناحهـم، دخلـوا بسرعـة ثـم أغلقـوا البـاب الداخـلى، سرت في البهـو الـذي يفصـل بـين جنـاح نومهـم وبـين جنـاح نومـي، سـمعت صـوت صراخ مكتوم، آهـات متواصلـة لثـوان..... ثم فـترة مـن الصمـت ..... ثم أنـين مكتـوم، أعقبـه صرخة.....ثم هـدأ كل شيء، توقفـت في البهـو أحـاول أن أتبـين مـا حـدث، لقـد اسـتغرق ذلـك بضـع ثـوان، اسـتحييت أن أعـود إلى جنـاح ضيافتهـم لكـي أتبـين مصـدر هـذا الصـوت، أكملـت سـيرى إلى غرفـة نومـي وأنـا شـبه متأكـد أن الصـوت الـذي سـمعته صـدر مـن جنـاح الضيـوف .



عشاء الملوك

قبل مغيب شمس ذلك اليوم سمعت طرقا خفيفا على باب غرفة نومي، توجه خادمي الخاص وفتح الباب ثم عاد وقال :

ـ المسؤل عن إعداد الحفلات والولائم في القصر سيدي .

ـ وماذا يريد ؟

ـ يقول إن مولاي الملك حدد موعد العشاء في السابعة مساءً ويسألك الإسراع بالنزول إلى القاعة الرئيسية ؛ لأن الحفل على وشك البدء .

ـ سأنزل القاعة بعد قليل .

ـ يقول أن مولاي الملك غاضب بشدة من هذا التأخير سيدي .

ـ أبلغه أني على وشك اللحاق به .

ـ سمعا وطاعة

جلس الملك في القاعة الرئيسية إلى جانب ضيفه وقال وهو يبتسم :

ـ علينا أن نعجل بزواجهما، أعتقد أن الشتاء القادم موعد يناسب الجميع، ما رأيك جلالة الملك ؟ هل يناسب هذا الموعد العروس ؟

ـ نعم هذا الموعد يناسبها .

ما إن لمح المسؤل عن حفل العشاء الأمير «علاء» وهو يهبط درجات السلم حتى أعطى إشارة البدء للفرقة الموسيقية لعزف ألحانها، بعد أن انتهت من العزف بدأت فرقة الأكروبات في أداء عروضها، وبنهاية العرض حضر المسؤل إلى الملك الأب وطلب الإذن بافتتاح مأدبة العشاء التي أقامها ملك «براء» تكريما للملك الأب ولولى العهد الأمير «علاء»

قام الملك الأب وضيفه بالسير إلى موائد العشاء خلف المسؤل عن الحفل ووراءهم مباشرة الملكة الأم ثم الأميرة «ذات الرداء» وأنا إلى جانبها، ثم الفتاة الصماء .

كان المسؤل يصف لأبي أنواع الأطعمة المتراصة بعناية فائقة على الموائد ومن بين ما قال :

ـ أصر مولاي ملك «براء» على اختيار قائمة الطعام بنفسه تحية لمولاي الملك الأب ولولى العهد الأمير «علاء» ....

ـ مولاي الملك توجد ضفادع وعصافير وصراصير في صورة سحاء، أما المشهيات فهي سحالي وأبراص مطهوة بالزبد والماء، وأعد الطهاة القرود والنسانيس بنظام الشواء، والأواني الكبيرة بها القطط السمان البيضاء، وثعالب الصحراء الصفراء، أما المعجنات مولاي الملك فممزوجة بمسحوق الخنفساء، وفي منتصف المائدة تمساح محشو بقواقع البحر الزرقاء .

كنت أستمع إلى الشرح التفصيلي للمسؤل عن إعداد الحفلات وأنا غير مصدق لما أسمعه، اختلست النظر مرة لملك «براء» وزوجته الملكة وابنتهما، وجدتهم جميعا في غاية السعادة مما يسمعون ويشاهدون، عدت أنظر لأبي، فوجدته في حالة يُرثى لها، لقد احمر وجهه بشدة، هو الآن في موقف لا يحسد عليه، إن لم يتناول هذا الطعام مع الضيوف، سوف يعتبرونها إهانة بالغة وربما يظنون أن أبي يراوغهم بشأن معاهدة السلام وبشأن زواجي من ابنته « ذات الرداء»، لذلك عليه أن يأكلها مرغما لكي يرضي ضيوفه .



عدنا إلى مقاعدنا، ثم بدأت الحفلة الراقصة، ما إن بدأت الفرقة الموسيقية في عزف الألحان الراقصة، قمت من مكاني على غير رغبة مني، واقتربت من الأميرة «ذات الرداء» ومددت يدي فوضعت راحة يدها عليها وتوجهنا سويا إلى وسط القاعة، بدأنا نتمايل سويا، وندور في وسط القاعة حتي انضم إلينا أغلب المدعوين، أحسست بشيء غريب، كانت الأميرة تطأ بقدمها كل بضع خطوات على قدمي، يبدو وأنها لم تتعلم الرقص إلا في اللحظات الأخيرة قبل قدومهم إلى مملكتنا، وهذا أمر يبدو غريبا يضاف إلى الأمور الغريبة التى لاحظتها على هذه العائلة الملكية، لم أشأ أن أستكمل الرقص معها، أشرت للفرقة الموسيقية لإنهاء العزف، في طريق عودتنا إلى مقاعدنا، سألتها صراحة :

ـ دائما أرى الفتاة الصماء إلى جوارك، مالذي تفعله ؟

ـ إنها وصيفتي الصغيرة، اخترتها من بين العشرات من الوصيفات اللائي عرضهن أبي عليَّ وهي في نفس الوقت، ساحرة تدفع عني أعمال السحر الأسود !

ـ ولكن ما الصوت الذي سمعته بالأمس من جناح نومكم ؟

تغير لون وجه الأميرة وتلعثمت، ثم أنكرت .



ـ صوت ! .....أي صوت !!!

ـ لقد سمعت صوت صراخ مكتوم، وأنين ؟

ـ لم أسمع شيئا سمو الأمير .

لم ألتفت كثيرا لإجابة الأميرة «ذات الرداء»، لقد كان واضحا أنها تخفي شيئا، أثق كثيرا في حواسي، أنا متأكد أنني سمعت بوضوح صوت الصراخ، والصوت الآخر هو صوت أنين

كانت الفتاة الصماء تسبقنا إلى أي مكان، ثم تقوم بحركات مختلفة، لاكتشاف سحر ما كما يدّعون ثم تبطله، لقد اعتدت خلال الزيارة على وجودها معنا في كل مكان نذهب إليه وقلت في نفسي :

ـ عليَّ أن أتأقلم على وجودها دائما إلى جانبنا !



موعد الزفاف

قبل انتهاء الزيارة بيوم واحد، جاء خادم أبي الخاص إلى غرفة نومي وقال :

ـ مولاي الملك ينتظرك في جناحه الخاص .

ـ هل كل شيء على ما يرام .

ـ نعم سيدي .

ـ سآتي في الحال.

خرجت من باب غرفة نومي متوجها إلى جناح أبي، بينما أنا أمشي في البهو الذي يفصل جناح نومي عن جناح نوم ضيوف المملكة، سمعت صوت صرخة مكتومة ...... وآهات متواصلة وأنين......، مرت ثوان من الصمت....... ثم أنين مكتوم.... ثم صرخة أخرى..... ثم عاد الهدوء،



لقـد انتهـى كل شيء، وقفـت برهـة أحـاول أن أتبـين مـا يحـدث، عـدت عـدة خطـوات للخلـف، في اتجـاه بـاب غرفـة نـوم الضيـوف، أحـاول أن أتيقـن مـن مصـدر هـذا الصـوت الغريـب، هممـت برفـع يـدي لأطـرق عـلى البـاب، فوجدتـه قد فُتـح فجـأة وظهـرت الفتـاة الصـماء أمامـي ومـن ورائهـا الملكة، تنحـت الفتـاة جانبـا، وسـألتني الملكـة وهـي تحـاول أن تخفـي شـيئا مـا يبـدو مريبـا، وفي إجابـة عـن سـؤال لم أسـأله قالـت :

ـ جلالـة الملـك يتريـض كعادته في الحديقـة الرئيسـية للقصر .

ـ هذا بالفعل ما جئت من أجله .

انصرفـت وأنـا أشـعر بالدهشـة ممـا يحـدث، توجهـت لغرفـة نـوم أبي، وجدتـه جالسـا يطالـع بعـض الأمـور وإلى جانبـه خادمـه الخـاص .

أول ما رآني قال :

ـ حددنا موعد الزواج ....

سـكت برهـة في انتظـار أن يسـمع أي تعليـق منـي، ولمـا لم يجـد أكمـل قائـلا :

ـ في بدايـة الشـتاء القـادم، بعـد أسـابيع قليلـة مـن الآن، الوقـت يمـر وعلينـا الاسـتعداد لهـذا الحفـل مـن الآن .



لم تنبت شفتاي بكلمة واحدة، لم أشأ أن أغضب أبي وأعلن رفضي لهذه الزيجة، ولم أشأ حتى أن أعلن عن تذمري رغم أن الأمور تسير على غير ما أشتهي .

في اليوم التالي للزيارة قررت أن أختلي بالأميرة «ذات الرداء» خلال النزهة الخلوية التي أعد لها أبي في المروج الخضراء، هناك أمور كثيرة مبهمة، وأحيانا تبدو مريبة، صوت الأنين والصرخة التي سمعتها مؤخرا في جناح ضيافتها، الفتاة الصماء التي لا تفارق الأميرة وغير ذلك الكثير، الأميرة ليست صغيرة السن إلى الدرجة التي تشفع لها في عدم تعلمها الانحناء بشكل ليس فيه تكلف، هي أيضا لا تعرف شيئا عن آداب لقاءات الملوك والأمراء، هناك أمور أريد أن أتبينها، لذلك أرسلت خادمي إلى خادم أبي الخاص وكاتم أسراري .

حضر بعد فترة وجيزة، طرق باب غرفتي ولما دخل سأل :

ـ خيرا سمو الأمير، هل حدث مكروه ؟

ـ لم يحدث شيء، أريد فقط أن أتحدث، أريد أن أشكو، أريد أن أفرغ ما بداخلي لمن آئتمنه

على أسراري .



ـ تفضل سمو الأمير .

ـ أجلس أولا .

ـ سمعا وطاعة، ولكن إن كان الأمر ضد رغبة مولاي الملك، فلن أستطيع أن أجاريك فيه، ولما لاحظ تغير قسمات وجهي، حاول أن يسترضيني كما كان يفعل معي دائما منذ الصغر، فقال :

ـ ولكن هذا لن يمنعني من مساعدتك بشتى الطرق حتى لو تطلب الأمر اخفاء الأمر عن مولاي الملك الأب، أو استرضاؤه .

ـ ليس الأمر بهذه الصعوبة، أنت تعرف أن أبي قد حدد الشتاء القادم موعدا لزفافي من الأميرة «ذات الرداء»، لأسباب كثيرة وأنت تعرفها كلها، هو غير راض عما أفعل، يريد أن يطمئن على عرش الأجداد، يريد أيضا الاطمئنان على معاهدة السلام والتي سيوقعها اليوم مع ملك «براء» .

كل هذه الأسباب تدفعني للموافقة على رغبة أبي لأنه يرى أن هذا من صالحي وصالح المملكة وصالح أسرة «ساموراء» التي نحن آخر نسلها، ورغم أنني حاولت ترويض نفسي وإقناعها بجدوى الزواج من الأميرة «ذات الرداء» إلا أن هناك عائقا قويا يقف بيني وبينها، هي تبدو



غير سوية بالمرة، لذلك سأعطي لنفسي اليوم آخر فرصة لأغير انطباعي السيئ عنها، ولكن تلزمني مساعدتك لأفعل ذلك .

ـ وكيف سيدي الأمير ؟

ـ أريد أن أختلي بها خلال جولتنا اليوم، لن أستطيع فعل ذلك بمفردي، ووصيفتها الصماء تقف حجر عثرة بيني وبين تحقيق هذه الرغبة، لأنها لا تفارقها البتة، لقد لاحظت أن الأميرة شديدة العصبية، وتتعامل بكبرياء شديد مع المحيطين بنا وأنت تعرف أن هذا الأمر يثير القلق، لذلك أريد أن تساعدني على أن أختلي بها .

سأبذل قصارى جهدي سمو الأمير لأحقق رغبتك .

أطلق حراس القصر النفير معلنين عن بدء رحلة الملك وضيوفه عبر الأحراش إلى الغابة . خلال الرحلة حاول كثيرا خادم أبي الخاص أن يهيئ لي فرصة كاملة أو نصف فرصة لأنفرد بالأميرة «ذات الرداء»، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل، الفتاة الصماء كانت تتبعها كظلها

وكانت الأميرة تبرر هذا بأن وصيفتها تحميها من شرور السحر الأسود .

أثار هذا الأمر الريبة في نفسي .



لماذا تفرض هذه الساحرة الصماء السياج الحديدي على سيدتها ؟ مجرد سؤال طفا على سطح ذهني ! ولم أجد ما يبرر أفعال الأميرة ولا أفعال وصيفتها .

انقضت أيام زيارة العائلة الملكية لإمارتنا، بطيئة، مملة، خالية من أي متعة، على العكس بدا فيها الكثير من الغموض والشك والريبة .

كان يوم رحيل ضيوف العائلة الملكية مشهودا، كما كانت مراسم استقبال العائلة حافلة بمظاهر البذخ والكرم، كانت مراسم توديعهم مليئة بمشاعر الود من جانب أبي، ومن جانبي رغما عني ! فقد كانت تعليمات أبي لي واضحة على لسان خادمه الخاص :

ـ عليك إظهار مشاعر الود لئلا يفشل كل شيء!!

عدت إلى ممارسة عملي الذي أوكله إليَّ أبي، وهو متابعة شؤون المملكة . أخيرا.... أخيرا رضخت لإرادة أبي ولضغوطه للزواج من تلك البلهاء .

مرت الأيام سريعا وجاء موعد الزفاف من «ذات الرداء» .

كان الحفل أسطوريا يليق عن حق بالأمراء

ازدانت قصور المملكة بالأضواء



أعد الطهاة موائد الشراب والغذاء
في حدائق القصور لإطعام البسطاء
وأقيمت المسابقات واشترك فيها الدهماء
وتبارى العامة في سباقات القوارب في الماء
وحمل الأثقال والعدو على الحشائش الخضراء
وأتت الفرق الموسيقية من كافة الأنحاء
وأقام الرسّامون المعارض في الأحياء .

الصدمة

انتهت الاحتفالات بالزواج، اصطحبت الأميرة للإقامة في قصر يطل على جداول ماء، وقد مرت أيام الزواج الأولى رتيبة، مملة .

أوعزت ذلك إلى كون الأميرة عاشت طوال حياتها دون تجارب، ومنذ اليوم الأول وأنا على يقين أن الصدام بيننا سيحدث لا محالة، فالأميرة شديدة الانطواء، لا تحب الخروج أو التنزه في العراء، لا تفضل الاختلاط مع الأميرات والنبلاء ولا تجيد المعاملات، شديدة الارتباط بوصيفتها الصماء، ترفض المجاملات، تأبي الظهور في الحفلات التي كانت تقام احتفاء بها، مرت أسابيع على زواجي من الأميرة، وأنا أباشر عملي في متابعة أمور الحكم في المملكة، الأمر الذي دفع أبي إلى الاعتماد عليَّ بشكل كامل في مباشرة كثير من المهام التي كان يضطلع بها في السابق .



في صباح أحد الأيام، بينما كنت أحيطه علما بما في مخازن الغلال من أرصدة من الدقيق والقمح والشعير، فاجأني بسؤال بعد أن أنحى ما وضعت أمامه من لفافات ورقية عن أرصدة الغلال الموجودة في المخازن جانبا :

ـ منذ متى وأنت متزوج سمو الأمير ؟

رغم أن السؤال أدهشني إلا أنني أجبت عليه :

ـ فترة وجيزة، بضعة أسابيع !

ـ لا بل بضعة أشهر !

ـ وما في ذلك أبتي ؟

ـ فيه الكثير بني .

ـ ألم يتحرك الجنين بعد في أحشاء زوجتك ؟

ـ ليس بعد .

صمت أبي قليلا وهو ينظر في عيني، شعرت من نظرة عينيه أنه يريد أن يسألني عما يعوق تحقيق حلمه في أن يرى ولى العهد القادم وملك «ساموراء» بعد القادم، فرغبة أبي في تحقيق هذا الحلم جارفة، أنا لم أكن أعر هذا الأمر اهتماما كبيرا، ولكن أبي كان على العكس من ذلك، كانت نظرته للأمور أشمل كثيرا من نظرتي ونظرة المحيطين به، لقد أدركت من نظرات أعين أبي لي ما لم أكن أدركه عندما



كان يعاتبنـي ويلومنـي عـلى سـلوكي الـذي اعتـبره مشـينا ولا يليـق بـولي عهـد حـالي وملـك قـادم، فلـم يكـن عتابـه ولومـه سـوى مدخـلا فقـط لكـي أنفـذ إرادتـه حتـى دون أدنـى مقاومـة منـي، إن سـلوكي المشـين حسـبما أرى الآن يـأتي في المرتبـة الأخـيرة مـن حيـث الأهميـة بالنسـبة لمـا كان يفكـر فيـه الملـك الأب، ويـأتي في المقـام الأول مـن حيـث الأهميـة، أن يجنبنـي هـذا الـزواج الدخـول في حـرب ضروس مـع مملكـة «بـراء»، ولـن يتـأتي ذلـك إلا عـن طريـق معاهـدة سـلام لا يمكـن خرقهـا ولـن يكـون هـذا أيضـا إلا عـن طريـق زواجـي مـن الابنـة الكـبرى مـن العـدو السـابق، وسـيكون إنجـابي منها ولي عهـد حافظـا للملـك عـلى الأقـل لمـدة خمسـون عامـا قادمـة لعائلـة «سـاموراء» العائلـة الملكيـة التـي إليهـا ننتسـب . ثـم تأتي في المرتبـة الأخـيرة مسـألة تحمـل مسـئولياتي تجـاه المملكـة وتجـاه شـعبها البسـيط . هـذه هـي الاحتـمالات الثلاثـة التـي أراهـا الآن واضحـة أمامـي دون مواربـة أو تضليـل .

مـرت أسـابيع أخـرى عـلى زواجـي مـن «ذات الـرداء» دون أدنـى تقـدم في تحقيـق الحلـم الملكـي، لقـد تحقـق الـزواج، وسـوف يتحقـق الاسـتقرار لأعـوام قادمـة طالمـا أن الـزواج مـن الأمـيرة «ذات الـرداء» قائـم، ولكـن لم يتحقـق الشـق الثـاني مـن رغبـة أبي، وهـو إنجـاب ولي العهـد القـادم، والملـك بعـد القـادم للمملكـة .



في إحدى ليالي الشتاء المطيرة، بينما كنت أحضر إحدى الحفلات في قصور أحد الأصدقاء من النبلاء، شعرت بآلام شديدة في البطن، استدعى الحاضرون طبيب أبي الخاص، أشار عليَّ بالراحة بعد أن أعطاني جرعة من الأعشاب المهدئة للألم، رغم إلحاح الحاضرين على عدم انصرافي وبقائي لاستكمال الحفل إلا أنني فضلت الانصراف إلى القصر . وصلت إليه وصعدت درجات السلم الداخلية متوجها إلى البهو المؤدي لغرفة نوم الأميرة وغرفة نومي، سمعت همسا آتيا من حجرتها، ظننت أنها مستيقظة في هذه الساعة من الليل على غير عادتها، سمعت صوت أنين...... وتأوهات...... ثم صوت صرخة قوية كاد أن ينخلع لها قلبي....... فترة صمت ثم هدوء كأن شيئا لم يكن، أرهفت السمع بينما أقترب من الباب، أحسست بأن هناك من يتأوه بشدة وهناك من يحاول كتم أنفاسه، وضعت يدي على المزلاج وأدرته بقوة بفعل إحساسي بالخطر على الأميرة، دفعت الباب بعنف، فوجدت الأميرة مسجاة على الأرض بجانب فراشها والساحرة الصماء جاثمة على صدرها، وخُيل إليَّ أنها كانت تحاول كتم أنفاسها، كانت تحاول وضع شيء ما في فم الأميرة، اندفعت بكل قوة في اتجاهها أحاول رفعها من على صدر الأميرة، فصرخت بقوة وتشبثت بيد الأميرة .



كان العـرق يتصبـب مـن جبهـة الأمـيرة كالمـاء، كانـت زائغة الأبصـار وعيونهـا ناظـرة للسـماء، كانت تثني جسـدها ثـم تفرده ثـم تعـاود الانحنـاء، وتمـد يديهـا ثـم تضمهـما في الهـواء، أطبقت فكيهـا عـلى قطعـة مطـاط بيضـاء، وضعتهـا في فمهـا السـاحرة الصـماء، وكان اللعـاب يسـيل مـن فمهـا كـما يسـيل المـاء .

هالنـي مـا رأيـت، تركـت السـاحرة الصـماء وانكببـت عـلى الأمـيرة أحـاول نـزع قطعـة المطـاط مـن فمهـا، اقتربـت السـاحرة الصـماء، ثـم دفعتنـي بقـوة، ثـم عـاودت وضعهـا في فـم الأمـيرة ثانيـة، ثـم جثمـت مـرة أخـرى عـلى صدرهـا وهـي تفتـح ذراعـي الأمـيرة عـن آخرهمـا حتـى لا تنـزع بأصابعهـا قطعـة المطـاط التـي تطبـق بأسـنانها عليهـا، أسرعـت إلى خـارج الغرفـة، اسـتدعيت الحاجـب وأمرتـه بـالإسراع إلى طبيـب العائلـة الملكيـة لاسـتدعائه بسرعـة .

بينـما كان طبيـب العائلـة الملكيـة في طريقـه إلى القـصر، كنـت أقـف مشـدوها، أراقـب مـا تفعلـه الأمـيرة وهـى مسـجاة عـلى أرض غرفتهـا، كان جسـمها يتحـرك بعصبيـة شـديدة، كانـت تضـم ركبتيهـا إلى صدرهـا في حركـة سريعـة ثـم تنفرهمـا بقوة ثم تعـاود الضـم وهكـذا، فعلـت نفـس الـشيء بذراعيهـا باسـتثناء واحـد هـو لي كـوع يدهـا اليمنـى في اتجـاه مخالـف لـلي كـوع يدهـا اليسرى، لـولا أن وصيفتهـا الصـماء جاثمـة عـلى صدرها لاسـتطاعت أن تدحـرج جسـدها عـلى أرضيـة غرفـة نومهـا .



كانت الأميرة تحرك جسدها ناحية اليمين تارة وناحية اليسار تارة أخرى وتصدر صوت ألم مكتوم، وجسدها ينتفض بقوة لأعلى ولأسفل رغم أن الفتاة الصماء تحاول إبقائها في حالة سكون .

استمرت هذه الحالة فترة زمنية صغيرة، حسبتها زمنا طويلا من غرابة ما شاهدته، وأنا أقف مشدوها أراقب ما يحدث أمامي، تذكرت جيدا، دوى الصرخة التي سمعتها وصوت الأنين والألم المكتوم، قلت في نفسي :

ـ لقد سمعت هذا الصوت من قبل ......

نعم، سمعته ..... لم يتغير فيه شيء صرخة قوية، ثم صوت ارتطام جسم ما بالأرض، ثم صوت ألم يعقبه صوت أنين مستمر ....

أخيرا تذكرت .....

عندما اصطحبت ملك «براء» والملكة إلى جناح الضيافة بعد مأدبة العشاء التي أقامها تكريما لي ولأبي، بحثت عن الأميرة، فلم أجدها، ولما سألت والدتها عنها قالت :

ـ شعرت ببعض الإرهاق فصعدت إلى غرفة نومها !!!

أتذكر جيدا ما حدث ......



في صباح اليوم التالي استدعاني أبي، ما إن خرجت من غرفة نومي متوجها إلى جناح نوم أبي، سمعت هذه الأصوات الغريبة صادرة من جناح الضيافة، طرقت الباب، فتحت الفتاة الصماء، ظهرت من ورائها الملكة في حالة ارتباك شديد، كانت تبدو كمن تحاول إخفاء شيء ما، الأكثر من هذا لقد حاولت الملكة إنهاء الحديث معي بسرعة لكي لا أنتبه لما يحدث داخل جناح الضيافة، أذكر أنها قالت أن الملك يتريض في الحديقة الرئيسية، حتى دون أن أسأل عنه !!

لقد خدعتني الأميرة «ذات الرداء» واشترك في عملية الخداع أبيها وأمها، لقد ابتلع أبي الطعم، وجعلني أبتلعه بالتبعية، أراد أبي الحصول على كل شيء ليضمن الحفاظ على ملك الآباء، فخسرنا على ما يبدو كل شيء !!!

دخل طبيب العائلة الملكية مهرولا إلى غرفة الأميرة، وكانت في هذه اللحظة قد راحت في إغماءة، وصفت له ما كانت عليه حالتها قبل حالة الإغماء من حركات جسدها وغزارة العرق الذي كان يتصبب من جبهتها واللعاب الذي كان يسيل من فمها .

نظر الطبيب إليَّ نظرة إشفاق وقال :

ـ منذ متى والأميرة تعانى مما هي فيه سمو الأمير ؟

ـ لا أعرف، لم أرَ ما رأيته الآن من قبل ؟



ـ ماذا تعني ؟ ألم يحدثك أبيها، ولو حتى بطريقة مبهمة عما ينتاب الأميرة ؟

ـ البتة، هل ما شاهدته حالة عارضة ؟ يبدو من كلامك أنه حالة غير طارئة ؟

ـ أكاد أجزم بذلك سمو الأمير .

ـ هذه الحالة سمو الأمير من الحالات النادرة، حيث يفقد المرء سيطرته على نفسه إلى الدرجة التي يصفها البعض بالجنون، ويظن كهنة المعبد أنه مس شيطاني، يأتي للمرء المصاب به أحيانا كل بضعة أيام، لا توقيت معلوم له، وليست له مقدمات، ولا علاج له إلى الآن، قد يصيب المرء نفسه عن غير قصد، كأن يسقط على الأرض، فيصاب إصابة بالغة، سواء بالشج في الرأس أو كسر باليد إلى آخره .

أصابتني كلمات طبيب العائلة عن حالة الأميرة بالإحباط الشديد واليأس .

ـ منذ متى وهي على هذه الحالة ؟

ـ دقائق قليلة .

ـ لا أقصد ذلك سمو الأمير، منذ متى وهي تعاني من هذا المس ؟



ـ لا أعـرف، لم يطلعنـي أبيهـا أو أمهـا عـن إصابتهـا بهـذا المـرض .

ـ في الأغلـب الأعـم هاجمها هـذا المـرض منـذ الطفولـة، لقـد رأيـت حـالات أطفـال مصابـون بهـذا المس سـمو الأمير .

ـ علينا إذن أن نستشير الكاهن الأعظم في أمرها .

ـ سـيدي الأمـير، بعـد أن رأيـت حـالات مـن الأطفـال أصيبـت بهـذا المـس، اطلعـت عـلى مخطوطـات الأقدمـين، فلـم أجـد إلا رسـومات لحـالات مشـابهة عـلى جـدران المعابـد، ولكـن لم أجـد في أي مـن هـذه المخطوطـات أي معلومـة تفيـد شـفاء هـذه الحـالات ممـا تعانيـه .

التفـت الطبيـب إلى الأمـيرة وهـى مسـجاة عـلى الأرض، جلـس إلى جانبهـا وأخـذ يجفـف جبهتهـا .

كنـت أقـف إلى جـوار فراشـها مشـدوها، أثـرت الصدمـة عـلى تـوازني، أحسسـت أن قدمـاي لـن تسـتطيعا تحمـل ثقـل جسـمي، فألقيـت بجسـدي عـلى المقعـد إلى جوارهـا، لقـد انهـار كل شيء في لحظـات، لقـد أدركـت الآن سر عـدم مفارقـة الفتـاة الصـماء للأمـيرة، هـي الوحيـدة التـي تسـتطيع إنقاذهـا إن فاجأتهـا نوبـة مـن نوبـات هـذا المـرض .

خرجـت مـن غرفـة نـوم الأمـيرة وسرت في البهـو قاصـدا غرفـة نومـي، وأنـا أفكـر فيـما هـي الخيـارات المتاحـة أمامـي،

ألقيت بجسدي المنهك على الفراش وأنا بكامل ملابسي، لن أستطيع إطلاع الملك الأب على حالة الأميرة، كلما تخيلته وهو جالس في حديقة القصر وأنا أقترب منه ثم أجلس إلى جانبه وأبدأ في الحديث عن حالة الأميرة حتى أشعر بشيء ثقيل جاثم على صدري، ولكن ماذا إن عاود سؤالي ثانية وثالثة عن حمل الأميرة، إلى متى سوف أتعلل له أو أخفي عنه ما يحدث .

أخيرا استقر رأيي على مصارحة خادم أبي الخاص، ما إن أستيقظ من نومي سوف أطلب منه الحضور ثم أحدثه بالتفصيل عما يحدث وأطلب مشورته .

في صباح اليوم التالي سمعت صوتا داخل غرفتي يناديني :

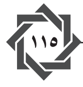
ـ سمو الأمير «علاء»، استيقظ، مولاي الملك على وصول !

كررها ثانية، ثم أضاف سيأتي الملك في الحال !

فتحت عيناي ببطء، وأنا أشعر بأن هما ثقيلا جاثما على صدري .

ـ ماذا تقول ؟

ـ مولاي الملك في طريقه إلى هنا سيدي !



ـ هل بلغه أمر ما أو حدث شيء ؟

ـ نعـم سـيدي، بلغـه أنـك مـررت بوعكـة صحيـة بالأمـس وأراد الاطمئنـان عليـك .

ـ متعجبا، فقط ألم يبلغه أحد بأي أمر آخر

ـ لا سيدي، هذا ما حدثني فيه، هل هناك شيء آخر

ـ نعم هناك الكثير، أمر مهم للغاية !!!

ـ خيرا سمو الأمير ؟

ـ مـا إن تسـنح الفرصـة، أريـد أن ألقـاك، هنـاك أمـر أحسـبه لا يحتمـل التأجيـل، ولا أريـد أن أطلـع الملـك الأب عليـه الآن .

مـا إن أتـم الأمـير «عـلاء» كلامـه، حتـى فتـح الملـك الأب البـاب ودخـل وهـو يقـول :

ـ كيف الحال اليوم يا ولدي ؟

ـ بخير أبي

ـ أبلغنـي طبيـب العائلـة بأنـك شـعرت بـالآم خـلال حفـل الأمـس .

ـ فقط أبي

ـ وهل هناك شيء آخر



تجاهلت سؤال أبي وصمت قليلا، ربت أبى على كتفي وقال :

ـ لا تهتم بشيء الآن، عليك بالاسترخاء والراحة التامة، ولكن أين الأميرة ؟

سقط سؤال أبي كالصاعقة على رأسي، وأجبته بسرعة ودون أن أتلعثم :

ـ نائمة يا أبتي

ـ سأنصرف الآن يا ولدي، سأجتمع مع الكهنة بعد قليل .

لقد انتابني إحساس كبير بأن الملك الأب لم يأتي للاطمئنان عليَّ فقط، بل ليطمئن على حالة الأميرة، رغم أني أكدت على طبيب العائلة بعدم مفاتحة أبي أو إبلاغه بما حدث إلا أنني أشعر أن الأمر قد تسرب إليه بشكل أو بآخر .

انصرف أبي قاصدا المعبد للاجتماع مع مجلس الكهنة، وتبعه خادمه الأمين مهرولا .

رفعت رأسي قليلا من على الوسادة واعتدلت في جلستي على الفراش انتظارا لعودة خادم أبي .



المشورة

سـمعت طرقـا عـلى بـاب غرفتـي، توجـه خادمـي ليفتـح البـاب، وجـد السـاحرة الصـماء تقـف أمامـه وهـى تشـير بأصابـع يديهـا إشـارة تعنـي أن حالـة الأمـيرة أصبحـت جيـدة الآن، قمـت مـن الفـراش وأنـا أشـعر أن عائلـة الأمـيرة بـما فيهـم هـي اشـتركوا في خداعـي وخـداع أبي، الأمـر أصبـح معقـدا أكثـر مـن ذي قبـل، توجهـت إلى بـاب غرفتـي كي أشـق طريقـي إلى غرفـة الأمـيرة وأنـا أشـعر بأنـه يجب عـليَّ التخلـص منهـا وإلى الأبـد وليكـن مـا يكـون، لـن أقبـل أن تحـاك خيـوط المكيـدة ضـدي وضـد الملـك الأب دون أن أبـدي أدنـى مقاومة .

قبـل أن أخـرج مـن غرفتـي وجـدت خـادم أبي الأمـين وكاتـم أسراري يدخـل إلى البهـو قاصـدا غرفتـي، أشرت للسـاحرة الصـماء بالانـصراف عـلى أن أتبعهـا بعـد قليـل إلى غرفـة نـوم الأمـيرة



دخل إلى غرفتي ثم أغلق الباب خلفه وقال :

ـ خيرا سمو الأمير، هل عاودتك آلام الأمس ؟

ـ لا، لقد عاودتني آلام أشد قسوة !!!

نظر إليَّ باندهاش، فلم يكن يظهر على وجهي شيء يشعره بأني أعاني من أي ألم .

ـ خيرا سيدي .

قلت له عما رأيته بالأمس عن حالة الأميرة «ذات الرداء»، وطلبت منه المشورة في كيفية مواجهة هذا الأمر، كنت كمن يلقي بحجر ثقيل يجثم على صدره عند أقدام من يثق في إخلاصه وأمانته .

ـ علينا أن نصارح الملك الأب في الحال سمو الأمير، إن أخفينا الأمر عنه قد نتعرض جميعا لغضبه الشديد، ثم إن الأمر أصبح أمرا يتعلق بحكم المملكة وليس مجرد أمر صغير نستطيع إن نخفيه عنه، فهو دائم السؤال عن احتمالات أن تكون الأميرة في حالة حمل، ولن يمل ترديد هذا السؤال على أمل أن يسمع إجابة يتمناها، هذا من جانب، الجانب الآخر يؤكد أن حالة الأميرة لابد وأن تنكشف في يوم من الأيام، إن كان أبويها استطاعا إخفاء الأمر عنا خلال زيارتهم السابقة، هذا لأنها لم تستغرق سوى بضعة أيام، لن نكرر سيدي نفس الخطأ حتما



سينكشف الأمر، علينا إذن أن نتخير الوقت المناسب فقط ثم نصارحه ونطلب مشورته فالأمر يتعلق بالعائلة الملكية وبمستقبلها ومستقبل المملكة، هناك أمر آخر سمو الأمير، فمولاي الملك سيجتمع بعد قليل مع كبير خدام المعبد، هناك أمور كثيرة يريد أن يطلعه عليها، أصر كبير خدام المعبد أن يجلس بمفرده أولا مع مولاي الملك على أن يجتمع مجلس الكهنة برئاسة الكاهن الأعظم «خباء» معه بعد ذلك .

ظننت أن مشورة خادم أبي الأمين سوف تزيل الكثير مما أشعر به من يأس وإحباط شديدين، ولكنها حملتني أكثر مما أحتمل، فاجتماع الملك الأب مع مجلس الكهنة كان يتم في السابق في المناسبات الرسمية فقط، كموعد جلوس الملك على عرش مملكة «ساموراء»، أو في زمن إعلان الحرب على مملكة معتدية، ولكننا الآن لسنا في إحدى المناسبات الرسمية، يبدو أن الأمور في المعبد ليست على ما يرام، ولذلك طلبوا الاجتماع به .

وصل الملك الأب إلى المعبد، كان في استقباله مجلس الكهنة بملابسهم الرسمية، أردية فضفاضة حمراء مع ياقات وأحزمة على الوسط بيضاء وأحذية وجوارب سوداء .



بعد أداء مراسم الاستقبال الرسمية، دخل الملك الأب إلى غرفة الاجتماعات بصحبة كبير خدام المعبد، جلسا بمفردهما لفترة طويلة، تحدث فيها كبير خدام المعبد عن أمور كثيرة تثير قلقه بسبب سلوك معين من جانب الكاهن الأعظم «خباء» ومنها عدم احترامه للتقاليد المعمول بها في المعبد .

قال كبير خدام المعبد :

ـ هناك أمر لا أستطيع السكوت عليه مولاي الملك !

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد رأي بعض الكهنة كبيرهم «خباء» وهو يتلصص ويرهف السمع على بعضهم وهم يجلسون مجتمعين في إحدى الغرف، وآخرون رأوه وهو يعبث بمحتوياتهم الشخصية وهم غير متواجدين في غرفهم، أما الأمر الأهم من ذلك هو أن أحدهم رآه هو ومساعده ينزلان إلى القبو خلسة ويفتحان بابه بمفتاح بديل، المعروف مولاي الملك أن للقبو مفتاح واحد موجود معي، بصفتي كبير خدام المعبد، وهو لا يفارق ردائي إلا عند نومي .

قال الملك في اندهاش شديد :

ـ أتقصد أنه سرق مفتاح القبو منك، هو أو مساعده دون أن تلحظ أنت ذلك، ثم صنع بديلا له ؟



ـ ليس بالضرورة هو مولاي الملك، ربما أحد أتباعه، وهذا الأمر غير أنه مجرم، هو يثير الشكوك في كل من يدخل، أو يقيم في المعبد .

ـ وماذا فعل بالمفتاح البديل ؟

ـ حينما لمح أحد خدام المعبد رجلان ينزلان إلى القبو عبر السلم الداخلي الصغير، أسرع وراءهم ووجد الكاهن «خباء» يخرج المفتاح البديل من جيب ردائه ثم يفتح باب القبو وهو يتلفت حوله ثم يدخل إلى القبو بسرعة، نزل خادم المعبد السلم الصغير بسرعة ودفع الباب برفق ليرى ماذا يفعل الرجلان بالداخل، فرآى أحدهم يدس شيئا صغيرا أسفل أحد البراميل التي يتم تعتيق النبيذ فيها والكاهن الأعظم «خباء» يتعجله بالانتهاء .

ـ ألم تنزل بعد ذلك إلى القبو وتبحث عن هذا الشيء ؟

ـ فعلت سيدي ولكني لم أصل لشيء ؟ لقد بحثت في كل مكان أشار إليه خادم المعبد، علني أجد شيئا، ولكن للأسف لم أجد الدليل على ما حدث، لقد أوعزت هذا لضعف الإضاءة في القبو .

بينما كان كبير خدام المعبد يحكي للملك عن السلوك الغريب للكاهن «خباء»، تذكر الملك على الفور كبير كهنة المعبد السابق والذي تُوفِّي منذ بضعة أشهر إثر إصابته

بالمـرض الـذى هاجـم المملكــة، كان يعــرف جيــدا القيمــة الروحيـة للمـكان الـذي هـو فيـه، ويعـرف قيمـة المركـز الـذي يشـغله، كان دائـما مـا يحتـوي الخلافـات التـي تظهـر مـن وقـت لآخـر، الفـارق شاسـع بـين الاثنـين أحدهمـا يحتـوي المشـاكل ويعمـل عـلى حلهـا، والآخـر يختلقهـا ثـم ينفـث فيهـا سـمومه.

بعـد انتهـاء الجلسـة بين الملـك الأب وبـين كبير خـدام المعبد، انضـم إليهـما أعضـاء المجلـس بكامـل هيئتـه بـما فيهـم الكاهـن الأعظـم «خبـاء»، كان جلـوس أبي مـع كبـير خـدام المعبـد بمفردهمـا أولا، هـو رسـالة واضحـة لمجلـس الكهنـة بالكامـل بتوفيـق الأوضـاع ونبـذ الخلافـات الداخليـة فيـما بينهـم .

ذهبـت إلى جنـاح أبي، لأطلعـه عـلى بعـض الأمـور الخاصـة بالحكـم وبالمملكـة، أول مـا رآني نهـرني بشـدة بسـبب أننـي رغـم الآلام التـي تعرضـت لهـا بالأمـس، عـدت لمبـاشرة عمـلي في اليـوم التـالي، بعـد أن أنهيـت مـا كنـت أنـوي عرضـه عـلى الملـك الأب قلـت لـه :

ـ هناك أمر أريد أن أحدثك عنه أبتي !

ـ حسـنا .... ومـا هـو ؟ هـل هـو أمـر خـاص بـك ؟ أم بالمملكــة ؟ أم بالأمـيرة «ذات الــرداء» ؟

ـ هـو أمـر متشـابك ومعقـد ومتعلـق بي وبالأمـيرة وبالحكـم في المملكـة !!!



ـ نظر إليَّ أبي نظرة جادة وهو متشكك فيما أعنيه .

ـ كل ما أأمله مولاي الملك أن تشير عليَّ بما يجب أن أفعله .

ـ هات ما عندك، تكلم .....

أردت أن أمهد الطريق أمام ما سأقوله لأبي فقلت بداية :

ـ مرضت الأميرة بالأمس مرضا شديدا، ولكنها اليوم في حال جيدة .

نظر أبي إلى خادمه نظرة عتاب، جعلت وجهه يبدو شديد الحمرة، نظر إليَّ أبي وقال :

ـ لماذا لم تحدثني اليوم بذلك خلال زيارتي

قال الخادم :

ـ أردنا مولاي أن نخبرك ولكنك كنت في عجلة من الأمر بسبب اجتماع مجلس الكهنة .

نظر الملك إليَّ وقال :

ـ مالذي تريد قوله ؟

الأميرة مولاي الملك تمر بوعكة صحية، سيكون لها تأثيرات كثيرة على استعداد جسدها لحمل جنين .



يسأل بانفعال شديد :

ـ ماذا تقول ؟

ـ تعرضت الأميرة على ما يبدو لمس شيطاني وهي صغيرة، سيؤثر هذا بلا شك على إنجابها ولى العهد .

ـ ماذا تعني بتعرضها لمس شيطاني ؟

ـ إنها تسقط على الأرض في ثوان، ثم يتحرك جسدها كالثعبان بقوة شديدة وكأنها تحتضر، ولما سألت طبيب العائلة الملكية قال :

ـ يعتقد الكهنة أن من يتعرض لمس شيطاني، لا يستطيع السيطرة على نفسه، ولا شفاء من هذا المس .

نظر الملك الأب بإشفاق شديد للأمير «علاء» وقال :

ـ لقد التحم طرفي الحلقة، لن يستطيع أحد فصلهما ثانية إلا «الباري»، ثم قال بلهجة آمرة :

ـ اتركوني بمفردي، أريد أن أفكر فيما يجب عمله .

ماذا يمكن أن أفعل الآن ؟ تشابكت الخيوط بشكل يثير الدهشة، أردت أن أزوج ولي العهد من ابنة ألد أعدائنا لأضمن استقرار المملكة لسنوات طويلة قادمة، وكنت أحسب أن هذه السنوات ستتضاعف في حال انجابها طفلا



يضمـن بقـاء الملـك في عائلـة «سـاموراء»، فكـرت في كل شيء ولم أتحسـب لـشيء واحـد هـو إرادة «البـاري» ومشـيئته، فقانـون المملكـة الـذي وضعـه الملـك «سـاموراء» الأول بنزاهـة شـديدة وحياديـة، وزع فيـه السـلطة بـين العائلـة الملكيـة وبـين مجلـس الكهنـة، القانـون يحـرم عـلى ولي العهـد أو الملـك الـزواج الثـاني، لأنـه يـرى أن السـماء اختـارت لـه زوجتـه، وفي حالـة عـدم إنجابـه منهـا وليـا للعهـد لأي سـبب كان، يكـون ذلـك آخـر عهـد لعائلـة «سـاموراء» بالملـك، ثم تنتقـل كل السـلطات الملكيـة إلى الكاهـن الأعظـم ومـن ثـم إلى أكـبر أولاده، ويكـون ذلـك عهـد جديـد للمملكـة !

كـما أن مجلـس الكهنـة في حالـة انقسـام شـديد، وهـذه الحالـة تنبـئ عـن انعكاسـات سـلبية كثـيرة قـد تعصـف بنـا جميعـا، ومرجـع ذلـك كلـه هـو الكاهـن الأعظـم «خبـاء».



الحل

عقد الملك الأب العزم على إيجاد حل سريع لهذه المشكلة التي تواجه استمرار العائلة الملكية في الحكم دون أن تراق نقطة دم واحدة، ربما لو أراد تعديل هذا القانون، فعليه أن يواجه كبير الكهنة «خباء» الذي هو أصلا طامع في كرسي الملك، لو وصل إلى علمه حدوث شيء للأميرة سوف يعوق حملها لجنين فستزداد شهوته للسلطة، عليه إذن أن يتعامل بحكمة مع هذه المشكلة !!!

في صباح اليوم التالي، استدعى الملك الأب الأمير «علاء» إلى جناحه الخاص .

أول ما دخل الأمير إلى غرفة الملك بادره بسؤال :

ـ هل يعرف أحد غيرك بأمر بمرض الأميرة ؟

ـ نعم أبتي، خادمك الأمين وطبيب العائلة الملكية فقط.



حسنا، عندما ننتهي من حديثنا ...... ثم فكر ثانية وقال :

ـ لا، الآن ...... ثم أشار لخادمه الأمين فاقترب من مكان مجلسنا فقال له أرسل في طلب طبيب العائلة الملكية في الحال .

ـ سمعا وطاعة مولاي الملك .

التفت إليَّ وقال :

ـ أريد أن أستوضح منه شيء بخصوص مرض الأميرة وأن أؤكد عليه بقاء هذا الأمر سرا، وألا تتسرب هذه المعلومة لمجلس الكهنة إلى أن أنتهي من أمر خطر على ذهني .

ـ وما هو أبتي ؟

أنت تعرف أن قانون المملكة «ساموراء» يمنعك من الزواج الثاني لأي سبب من الأسباب، رغم أنه يتيح الاستمتاع بالإماء في أي وقت وبأي عدد كان، بمجرد أن يعلم كبير الكهنة «خباء» بمرض الأميرة، ستزداد شهوته للانقضاض على كرسي الملك، لذلك سأبدأ خطوات تغيير هذا القانون حتى تتاح لك فرصة الزواج من امرأة أخرى لتنجب لك ولي العهد، الذي سيحافظ على بقاء الملك في عائلة « ساموراء»، هناك أمر واحد فقط أريد أن أعرفه هو، ماذا كان يفعل الكاهن الأعظم «خباء» في قبو المعبد ؟ ومالذي كان يدسه بين براميل النبيذ التي يتم تعتيق النبيذ

فيهـا، لقـد طلبـت مـن كبـير خـدام المعبـد بالنـزول بنفسـه إلى القبـو والبحـث في كل شـبر فيـه عـما يكـون قـد دسـه «خبـاء».

تنهد أبي قليلا ثم قال :

ـ الأمـور يـا ولـدي ليسـت عـلى مـا يـرام بينـي وبـين كبـير الكهنـة «خبـاء» وأعتقـد أن الصـدام بيننـا سـوف يحـدث آجـلا أم عاجـلا، هـو الآن يرتـب لـشيء مـا، لم أكتشـفه بعـد، مـا إن أصـل إليـه، سـوف أعمـل بجديـة عـلى تغيـير هـذا القانـون البـالي، المهـم الآن ألا يعـرف أحـد بشـأن مـرض الأمـيرة .

كانـت كلـمات أبي قليلـة ومقتضبـة، عـليَّ الانتظـار سـواء قليـلا أو كثـيرا عـلى مـرض الأمـيرة وألا أعـرض حالتهـا عـلى الكهنـة للبحـث عـن عـلاج لهـذا المـس الـذي تعـاني منـه، كـما أنـه عـليَّ إخفـاء إصابـة الأمـيرة بهـذا المـرض عـن الجميـع .

يبـدو الأمـر في غايـة الصعوبـة، مـاذا إن هاجمتهـا نوبـة المـرض ونحـن في إحـدى الحفـلات التـي تقـام احتفـاءً بهـا أو بي أو بالملـك الأب ؟ سـيكون الاعتـذار عـن هـذه الحفـلات حـلا مناسـبا لعـدم حضـور الأمـيرة ...... ولكـن الاعتـذار المسـتمر عـن حضـور هذه الحفـلات سـوف يثـير شـهية القيـل والقال في أوسـاط النبـلاء والأمـراء والأمـيرات عـن حالـة الأمـيرة ..... الحـل الوحيـد الـذي أراه صائبـا الآن هـو سـفر الأمـيرة «ذات الـرداء» ووصيفتهـا الصـماء، إلى المملكـة «بـراء» لمـدة مـا إلى أن



تنتهي المشاكل التي طفت على السطح فجأة، حالة أبي منذ أن سمع بأمر مرضها لا تبدو طيبة، يضاف لهذا الخبر السيئ، الخلافات التي نشبت بين أعضاء مجلس الكهنة .

إن سفر الأميرة « ذات الرداء «ووصيفتها الصماء إلى ديارها هو أمر شديد الأهمية الآن، حتى لا يعرف أحد ما بأمر مرضها وخاصة الكاهن الأعظم «خباء»، وسيكون رسالة قوية لأبويها لأنهما خدعانا أنا والملك الأب ولم يصارحانا بأمر مرضها، لقد فرضا علينا أسلوب التعامل، وهو الخداع، ولكن ...... إن سافرت الأميرة دون أن تحمل الكثير والكثير من الهدايا من الملك الأب ومني، ربما يفطن والدها إلى ما أفكر فيه ويبدأ في اتخاذ خطوات عكسية قد تفسد ما أخطط له، كأن يبعث في استدعائي لمحاولة الصلح أو لتبرير مافعلوه من خداعنا، وقد يؤدي هذا إلى تناثر الحديث هنا وهناك ومن ثم يصل الخبر إلى كبير الكهنة «خباء» . لقد استقر رأيي أخيرا على ألا أظهر للأميرة غضبي الشديد من أسلوب خداعهم، بل أظهر العكس، خضوعي واستسلامي، ثم أطلب منها قضاء بضعة أيام في المملكة «براء» على أن تحمل الكثير من الهدايا مني ومن أبي لملك وملكة «براء» .

الأفضل من هذا، أن أصحبها في هذه الزيارة بدعوي خوفي من أن تنتابها نوبة المرض وبخاصة أن الطريق إلى



هناك سيستغرق وقتا طويلا، ثم أقوم بتقديم الهدايا بنفسي لأبيها وأمها، ثم أتعلل بشيء ما، كأن يكون مرضا قد ألم بأبي فجأة، ثم أعود للديار بدونها .

سيبدو الأمر طبيعيا للغاية عليَّ أن أعود إليها ما إن ننتهي من تعديل قانون الزواج الثاني لأمراء وملوك «ساموراء» دون الدخول في صدام مع أعضاء مجلس الكهنة .

لقد انتهيت من حل الجزء الأول من المشكلة، وهو إبعاد الأميرة ومسألة مرضها عن الساحة الآن لئلا يتم استغلال ذلك ضدي وضد الملك الأب، الجزء الثاني هو البحث عن دليل يدين الكاهن الأعظم «خباء» سيوفر الوقت والجهد ؛ لأنه الوحيد الذي من المتوقع أن يعترض وبشدة على تغيير القانون وربما لو علم أننا سنقوم بهذه الخطوة، أن يأتي بخطوة استباقية كأن يستميل أعضاء مجلس الكهنة إلى جانبه، وبالتالي ندخل أنا والملك الأب في نفق مظلم لن يستطيع الكل الخروج منه إلا بإراقة الدماء وهذا ما لا نريد أن نصل إليه ...... سوف أتحدث إلى الملك الأب بشأن إعادة البحث عما كان يخفيه الكاهن الأعظم داخل القبو، ولكن كيف أنزل إلى هناك دون أن يلحظ أحد ما في المعبد، سأطلب من كبير خدام المعبد أن يساعدني في ذلك، سآتي بعد أن يخلد كل من في المعبد للنوم ثم أنزل بهدوء إلى هناك .



توجهت مباشرة إلى الملك الأب وعرضت عليه ما أراه مناسبا بشأن كل ما يتعلق بما يحدث في المملكة، فوافق على الفور، هذا ما كنت أريد الحصول عليه الموافقة الشفوية .

أسرعت إلى الأميرة «ذات الرداء» وطلبت منها الاستعداد لقضاء بضعة أيام في مملكة»براء» للحصول على الراحة والاستشفاء، وعقدت العزم على أن أصحبها إلى الديار ثم أعود في جنح الليل دون أن يدري أحد إلا الملك الأب وكبير خدام المعبد والرسول الذي سيأتيني بالرسالة .



الرسالة

في صباح اليوم التالي علم كل من في القصر والكهنة في المعبد بأمر سفري والأميرة «ذات الرداء» إلى ديار أبيها لقضاء بضعة أيام محملا بالهدايا الثمينة لأبيها وأمها، وحتى لا أثير الشبهات أو شهية المتلصصين بسبب عودتي في مساء نفس اليوم إلى مملكة «ساموراء» بمفردي، طلبت من خادم أبي الأمين أن يبعث رسولا في أعقابي بوقت قصير إلى مملكة «براء» حاملا رسالة شفهية، تقول أن الملك الأب يمر بوعكة صحية، حتى تكون عودتي في مساء نفس اليوم إلى مملكة «ساموراء» أمر لا يثير الشبهات .

وصلنا أنا والأميرة «ذات الرداء» ووصيفتها الساحرة الصماء إلى مملكة «براء» محملين بالهدايا القيمة والثمينة، ما إن دخلنا إلى جناح الضيافة الذي أعده والدها لإقامتنا خلال وجودنا، حتى جاء من يخبرني بوصول الرسول



الـذي بعثـه خـادم أبي الأمـين حسـب الاتفـاق المـبرم بيننـا، مـا إن أبلغنـي بالرسـالة الشـفهية المتفـق عليهـا، قلـت للأمـيرة «ذات الـرداء» :

ـ يبـدو وأن الأمـور ليسـت على ما يـرام، ما إن غادرنـا المملكة اليـوم حتـى ألمـت بـأبي وعكـة صحيـة شـديدة، لذلـك أرسـل خـادم أبي رسـولا يسـتدعيني عـلى الفـور لأكـون إلى جانبـه .

ـ حسـنا سـمو الأمـير، سـوف أطلـب مـن وصيفـاتي إعـادة الحقائـب ثانيـة إلى العربـة الملكيـة، وسـأعود معـك عـلى الفـور .

ـ لا، الأمـر أبسـط مـن هـذا، لقـد وصلنـا منـذ قليـل، سـوف أخلـد للراحـة قليـلا، ثـم أشـق الطريـق عائـدا إلى المملكـة بمفـردي لأطمئـن عـلى حالـة أبي الصحيـة، ثـم أعـود ثانيـة لاصطحابـك بعـد بضعـة أيـام، لا أريـد أن أشـق عليـك بالعـودة إلى قصرنـا في نفـس يـوم وصولنـا إلى قـصر أبيـك .

بعـد أن بـدأت الشـمس في المغيـب امتطيـت جـوادي وبدأت رحلـة العـودة إلى مملكة «سـاموراء»

وبصحبتـي رسـول خـادم أبي الأمـين، رتبـت لدخـول المملكـة في جنـح الليـل، حتـى لا يفطـن أحـد لعـودتي، مـا إن اقتربنـا مـن أسـوار القـصر طلبـت مـن الرسـول الـذي كان يصحبنـي أن يعطينـي وشـاحا ألفـه عـلى رأسي حتـى لا يبـدو ظاهـرا مـن وجهـي إلا العينـين، ثـم طلبـت منـه أن يدّعـي أننـا



تاجريـن أتينـا بعـد أن تأخرنـا قليـلا ونريـد اسـتعادة بضاعتنـا مـن السـوق أو مـا تبقـى منهـا، وثمـن مـا تـم بيعـه .

دخلنـا إلى السـاحة الداخليـة للمملكة، كانت شـوارعها شـبه خاليـة، سـاعدنا الضبـاب كثـيرا عـلى ألا نلفـت الأنظـار إلينـا، أصـوات أرجـل الخيـول وهـى تمـشي عـلى أرضيـة الأزقـة هـي مـا كنـت أسـمعه بوضـوح، مـا إن اقتربنـا مـن أسـوار المعبـد حتـى طلبت مـن الرسـول، الدخـول مـن البوابـة الرئيسـية دون إثـارة أي شـبهات، عـلى أن أتسـلق أنـا السـور الخارجـي، ثـم أمـشي وأنـا أتـوارى عن العيـون سـواء عيـون الحـراس أو عيون كهنـة المعبـد الذيـن ربـما يكونـون متواجديـن في هـذه الأثنـاء في السـاحة الداخليـة للمعبـد إلى أن أصـل إلى القبـو، وأنتظـر كبـير خـدام المعبـد ليـأتي ويفتـح القبـو ثـم ندلـف إلى الداخـل، ونبحـث بدقـة عـما يمكـن أن يديـن الكاهـن الأعظـم «خبـاء» .

عـادت بي الذاكـرة وأن أتسـلق السـور ثـم أقفـز بخفـة إلى السـاحة الداخليـة للمعبـد، إلى أيـام مغامـراتي الليليـة التـي كنـت أقـوم بهـا لرؤيـة إحـدى عشـيقاتي، لاشـك أن تلـك المغامـرات أكسـبتني الخـبرة اللازمـة للمراوغـة والتخفـي، أأمـل ألا يـراني أحـد مـا كـما حـدث خـلال تسـلقي لأسـوار قـصر الأمـيرة «صفـاء» .

وصلـت إلى القبـو دون أن يلحـظ أحـد وجـودي داخـل المعبـد، كان الرسـول في ذلـك الوقـت قـد صعـد إلى غرفـة

كبير خدام المعبد، طرق على الباب ثلاث طرقات بين كل منها فاصل صغير من السكون، نظر كبير خدام المعبد من ثقب صغير في الباب، وجد الرسول من الجهة المقابلة وهو يتلفت ناحية اليمين والشمال، فتح الباب بسرعة ثم جذبه من ملابسه إلى الداخل وهو يقول :

ـ ألم أقل لك أن تأتي في الثلث الأخير من الليل ؟

ـ عفوا سيدي، حاولت ولكن سمو الأمير «علاء» كان على عجلة من أمره !

ـ أخفض صوتك يا رجل، لئلا يسمعنا أحدهم، ولكن أين الأمير «علاء» ؟

ـ إنه ينتظر بالقرب من باب القبو سيدي .

ـ اذهب أنت الآن وكن على حذر .

ـ سمعا وطاعة .

ـ انتظر حتى أرى الطريق أولا .

فتح كبير خدام المعبد الباب ثم دفع الرسول برفق في ظهره وهو يقول :

ـ احذر أن يعرف أي أحد بما حدث الليلة .

ـ أمرك سيدي .



انصرف الرسول مهرولا في البهو المؤدي إلى غرفته، وخرج كبير خدام المعبد بهدوء من غرفته متجها إلى القبو عن طريق السلم الداخلي وهو يمشي بشكل جانبي وينظر هنا وهناك مبتعدا عن غرف مبيت الكهنة، بينما يهبط درجات السلم ببطء كان ينادي بصوت خافت أقرب إلى الهمس :

ـ سمو الأمير .... سمو الأمير ...... أين أنت ؟

رفع الأمير «علاء» رأسه ثم وقف في مكانه وهو يقول :

ـ أنا إلى جانب باب القبو !

اقترب كبير خدام المعبد من الباب ولما رأى الأمير قال :

ـ أحمد «الباري» على وصولك دون أن يراك أحد .

التفت ناحية الباب وأخرج مفتاح القبو من جيب ردائه، دخل الأمير «علاء» ومن بعده كبير خدام المعبد وأغلق الباب بهدوء خلفه، أخرج عودا من الثقاب، أشعل شمعة صغيرة كانت موجودة على أحد براميل النبيذ .

التفت الأمير «علاء» حوله وقال :

ـ هل سنبحث في كل هذا المكان ؟ سنحتاج إلى أيام !!!

ـ علينا الإسراع إذن سمو الأمير، علينا أن نفكر بنفس طريقتهم، إن كنت أنت الذي ستدس شيئا لتخفيه عن أعين الناس، أين كنت ستضعه ؟



فكر الأمير قليلا ثم قال :

ـ ربما هناك، ثم أشار إلى أحد الأركان .

ذهب كبير خدام المعبد إلى حيث أشار الأمير، فلم يجد شيئا .

ـ ربما في الجانب الآخر .

اتجه كبير الخدام إلى هناك، فلم يجد شيئا حيث أشار الأمير .

(الغدر)

أمسك الأمير بسرعة بيد كبير خدام المعبد وقال :

ـ أشعر بصوت خطوات قادمة في اتجاه القبو !

ـ لن يستطيع أحد ما الدخول، ليس للقبو مزلاج من الخارج .

شعر الأمير «علاء» بدنو الخطوات من باب القبو، نفخ في الشمعة الصغيرة التي كان يحملها كبير خدام المعبد، ووقفا خلف أحد براميل النبيذ وهما ينظران إلى اتجاه باب القبو

قال الأمير هامسا :

ـ أسمع صوت مفتاح يوضع في المزلاج من الخارج، ما هذا ؟



ـ أخفض رأسك قليلا سمو الأمير، قد يرانا المتسلل للقبو .

سمعنا صوت صرير الباب وهو يفتح، رأينا من بين الفراغات الموجودة بين براميل النبيذ رجلان اتشحا بملابس سوداء وهما يدخلان القبو وبيد أحدهما شمعة أضاءها أحدهم، ما إن دخلا وأغلقا الباب خلفهما .

قال أحدهما وهو يتجه إلى المكان :

ـ سيدي، لقد وضعت الأنبوب أسفل أحد براميل النبيذ المتراصة في هذا الركن، ولكني لا أتذكر أيها، هل هو الثالث أم الرابع ؟

ـ وكيف لم تضع علامة على البرميل الذي وضعت أسفله الأنبوب ؟

قال كبير خدام المعبد هامسا للأمير «علاء» :

ـ هذا صوت الكاهن الأعظم .

ـ علينا الانتظار لنري .

صاح الرجل في ذهول :

ـ سيدي الكاهن، لقد أزحت البرميل الثاني عن موضعه، ولكني لم أجد شيئا .

نهره بصوت هامس :



ـ أخفض صوتك يا رجل، ستوقظ النائمين في المعبد !!!

ـ عفـوا سـيدي الكاهـن، ربـما خانتنـي الذاكـرة، سـأبحث عـن الأنبـوب أسـفل البرميـل الـذي بعـده،

دفـع بكلتـا يديـه أعـلى البرميـل ونظـر تحتـه ثـم قـال في سـعادة كبـيرة :

ـ أخيرا وجدته .

أمسـك الأنبـوب بحـرص ثـم اعتـدل واقفـا وهـو ينظـر إليـه وقـال :

ـ نقطة واحدة من هذا الأنبوب وينتهي كل شيء !!!

أخـذ الكاهـن الأعظـم «خبـاء» الأنبـوب مـن يـد الرجـل ودسـه في جيـب ردائـه وقـال :

ـ اتبعني، وإياك أن تتحدث لأحد في هذا الأمر .

ـ سمعا وطاعة سيدي الكاهن .

أسرع الكاهـن الأعظـم بالخـروج مـن القبـو ومـن ورائـه مسـاعده، صعـدا الاثنـان درجـات السـلم الداخـلى، مـا إن وصـلا إلى البهـو المـؤدي إلى غرفـة الكاهـن، فتـح البـاب وقبـل أن يدخـل أمـر مسـاعده بالانـصراف بسرعـة عـبر بهـو آخـر يـؤدي إلى أسـوار المعبـد وقـال لـه :



ـ أسرع بالابتعاد من هنا ولا تنسى موعدنا القادم .

أغلق الكاهن الأعظم الباب خلفه ثم وضع يده في جيب ردائه وأخرج الأنبوب ثم نظر إليه بشراهة غريبة وسعادة لا توصف وقال في نشوة متأججة وهو يعيد النظر إليه :

ـ نقطة واحدة وتتحقق أحلامي !!!

وضعه على منضدة في وسط الغرفة، أسرع إلى خزانة الملابس، جثا على ركبتيه، فتح أحد الأدراج ثم أخذ سهما صغيرا منه، غمس مقدمة السهم في الأنبوب، ثم تناول قوسا من أسفل فراشه، اقترب من شرفة غرفته أزاح ببطء الستائر ونظر أسفل الشرفة، وقال :

ـ بالتأكيد سيظهر الآن، هذا هو الطريق الذي أكدت عليه أن يسلكه وهو يخرج من الساحة الداخلية للمعبد .

ما هي إلا فترة وجيزة، حتي ظهر مساعد الكاهن الأعظم وهو يعبر أسفل النافذة وهو يتلفت حوله متجها إلى الباب الخارجي للمعبد، وضع الكاهن الأعظم السهم المسموم في القوس، سحبه للخلف بقوة، أخذ شهيقا ملأ رئتيه بالهواء، ثم صوبه في اتجاه مساعده، أطلق السهم، وأصاب هدفه بمنتهى الدقة، رقبة مساعده، الذي سقط على الأرض دون حراك .



أطلق ما كان داخل رئتيه من هواء دفعة واحد وهو يقول :

ـ تخلصت الآن من الدليل الأول على خيانتي .

مرت فترة قصيرة، جمع فيها الكاهن الأعظم القوس والسهم والأنبوب وخبأهم في أماكن متفرقة داخل غرفته، ثم ألقى بجسده على فراشه .

لحظات وسمع طرقا على باب غرفته، فتح الباب وهو يتثاءب محاولا إيهام الحارس بأنه كان يغط في نوم عميق وقال :

ـ ماذا حدث ؟

ـ مولاي الكاهن وجدت مساعدك وهو ملقى على الأرض، وأخشى أن يكون قد مات .

ـ كيف هذا ؟

ـ اتبعني .

أسرع الكاهن الأعظم يجري في البهو حتى وصل إلى جثة الرجل المسجاة على الأرض، انحنى ليرى وجهه ويتأكد من موته، وضع يده على رقبته وقال للحارس :

ـ استدعي طبيب المعبد في الحال .

ولما أسرع الحارس مهرولا إلى الطبيب، نزع الكاهن «خباء» السهم الصغير من رقبة مساعده وهو يبتسم ويقول في نفسه :

ـ ها قد تخلصت من الدليل الأخير ! ثم وضع السهم في جيب الرداء، ووقف في مكانه منتظرا قدوم طبيب المعبد وهو ينظر إلى جثة مساعده .

أتى الحارس مهرولا من البهو ومن ورائه طبيب المعبد، انحني الطبيب على جثة مساعد الكاهن الأعظم ووضع يده على عنقه، ثم وقف وقال في آسى :

ـ لقد مات سيدي الكاهن .

ـ رد الكاهن مفتعلا الدهشة .

ـ مات !!!

ـ نعم سيدي .

ـ واأسفاه، لم يرحم الوباء صغيرا أو كبيرا !

وقال وهو يخاطب الحارس :

ـ احضر من يستطيع حمل الجثة معك إلى غرفته، إنه يستحق منا الكثير، سوف نقيم له حفل تأبين يليق به وبأعماله تجاه البسطاء الذين يأتون للصلاة في المعبد، أسرع علينا الانتهاء صباح الغد من مراسم حفل التأبين، وسأقوم بنفسي بأداء هذه المراسم .

الجثة

قال كبير خدام المعبد مخاطبا الأمير «علاء» :

ـ أعتقد أنهما قد ابتعدا سمو الأمير الآن، علينا الخروج من هذا القبو وبسرعة .

ـ هل استطعت أن تميز، ما الذي كان يبحث عنه الكاهن الأعظم «خباء» والرجل الذي كان يبحث معه أسفل براميل النبيذ ؟

ـ أعتقد أنه أنبوب في حجم إصبع اليد، ولا أعرف مالذي يحويه .

ـ علينا إبلاغ الملك الأب بما حدث، قلبي يحدثني بشيء، أحسب أنها مؤامرة .

ـ ما الذي يدفع الكاهن الأعظم ومعه رجل أن يتسللا إلى قبو المعبد ويقومان بإخفاء شيء فيه، بالتأكيد هذا أمر غير طبيعي !



فتح كبير خدام المعبد باب القبو ونظر خارجه وعاد وقال للأمير «علاء» :

ـ الطريق خال، سأتحرك أنا أولا إلى غرفتي، ثم تأتي ورائي .

ـ حسنا، تحرك الآن .

أسرع كبير خدام المعبد الخطي متجها إلى غرفته، وترك الباب مواربا لدخول الأمير «علاء» ألقي بجسده النحيل على الفراش وأغمض عينيه قليلا وهو يسأل نفسه السؤال ذاته :

مالذي يدفع الكاهن الأعظم للمخاطرة في دخول قبو المعبد مرتين، الأولى لدس أنبوب أسفل براميل النبيذ والثانية لاستعادته، يبدو أن هذا الأنبوب يحتوي على شيء شديد الأهمية ويستحق المخاطرة، معروف عن الكاهن الأعظم «خباء» أنه شديد الحرص والدهاء، وعندما يخاطر، فبالتأكيد الأمر يستحق العناء .

سمع كبير خدام المعبد، بينما هو مستلقي على فراشه مغمض العينين يفكر في أمر الأنبوب والكاهن الأعظم ومساعده صوت صرير الباب وهو يُفتح فقال :

ـ علينا الاستعداد لما هو قادم .



ـ سمع صوت لا يشبه صوت الأمير «علاء» يرد عليه قائلا :

ـ هذا ما جئت من أجله .

فتح عينيه بسرعة ونظر ناحية الباب فوجد الكاهن الأعظم وهو يدفع الباب بيده استعدادا للدخول وهو يسأل :

ـ هل وصلك خبر وفاة مساعدي ؟

ـ من سيدي ؟

ـ ألم تسمع .... كبير مساعديَّ، تُوفِّي منذ قليل .

أذهلت مفاجأة دخول الكاهن الأعظم وكذلك خبر وفاة مساعده، كبير خدام المعبد وعقدت لسانه عن الرد، قام بسرعة من على فراشه ووقف مشدوها يفكر فيما قد يحدث إن دخل الأمير «علاء» في تلك اللحظة إلى الغرفة دون أن يدري أن الكاهن الأعظم موجود بها، وقال في نفسه :

ـ ماعساي أفعل، أشعر بأن قلبي سيتوقف، ربما ألقي حتفي أنا الآخر، عندئذ سيقف الكاهن الأعظم ليعلن للملك الأب أن اثنان من أفضل رجاله لقوا حتفهم في نفس الليلة .

أفقت من حالة الذهول التي أصابتني على صوت الكاهن الأعظم وهو يقول :



ـ سيقام حفل التأبين صباحا، عليك اتخاذ اللازم، وسوف أقوم بنفسي برئاسة مجلس الكهنوت في حفل التأبين، أنت تعلم جيدا مقدار اعتزازي بمساعديَّ .

ـ طبعا ......طبعا .

استدار الكاهن الأعظم متجها إلى باب الغرفة وهو يؤكد على كبير خدام المعبد الاستعداد جيدا لحفل تأبين المتوفى، بعد لحظات دخل الأمير «علاء » وأغلق الباب خلفه .

بادره كبير خدام المعبد قائلا :

ـ أحمد «الباري» أنك تأخرت قليلا سمو الأمير .

لم أتأخر، لقد سمعت صوتك وأنت تتحدث، أدركت أن هناك غريبا في غرفتك، لذلك انتظرت قليلا إلى أن خرج، رأيته من ظهره، جسده المفتول يشبه كثيرا الكاهن الأعظم .

ـ لا يشبهه سمو الأمير، إنه هو !

ـ وماذا كان يريد في هذا الوقت المتأخر ؟

ـ مفاجأة، لقد مات مساعده، أتدري سيدي، مات من كان معه في القبو منذ قليل .

ـ يخيل إليَّ أنه تخلص منه .

ـ يبدو هذا منطقيا سمو الأمير .



ـ أريد أن ألقي نظرة على جثة مساعد الكاهن الأعظم .

ـ كيف يتأتى هذا سمو الأمير، كفانا المغامرات التي مررنا بها اليوم، لقد كاد قلبي أن يتوقف لحظة دخول الكاهن الأعظم غرفتي وأنا مستلقي على الفراش وتحدثت معه على أنه أنت سمو الأمير، وأحمد «الباري» أنه لم يلقي بالا لما قلته .

ـ أريد أن ألقي نظرة سريعة على الجثمان لكي أرى بنفسي كيف مات ؟

ـ أظن أن الجثة موجودة حاليا في غرفته، لم يطلب الكاهن الأعظم مني أن أفتح له القبو ليضع فيه الجثة حتى موعد إجراء مراسم التأبين، ربما خشي أن يعبث أحد ما بها، وربما يكون القتيل مات مصابا، ويخشى الكاهن أن يرى الإصابة أحد ما .

ـ هذا ما يؤكد كلامي كبير خدام المعبد، عليَّ أن أفحص الجثة وبسرعة قبل أن يقوموا بحرقها وطمس دليل الاغتيال .

ـ سوف تقام مراسم التأبين في الصباح الباكر سمو الأمير، الأفضل أن تتسلل الآن إلى غرفته، سأنتظرك خارجها، كي أنبهك إن رأيت أحد ما قادما في اتجاهك .

فتح كبير خدام المعبد باب غرفته وخرج متوجها على مهل إلى غرفة مساعد الكاهن الأعظم والتي يفصلها عن غرفته غرف خدام المعبد والكهنة، وصل إليها ووضع يده

على المزلاج، فتح الباب بهدوء وتركه مواربا، ثم تجاوز الباب وانتقى مكانا لا يكاد نور المشاعل الموجودة على حوائط البهو تصل إليه، لحظات وظهر الأمير «علاء» خارجا من غرفة كبير خدام المعبد، دفع الباب بمجرد أن وصل إلى غرفة مساعد الكاهن الأعظم، دخل بخفة متوجها إلى الفراش، وجد الجثمان راقدا على ظهره ومغطي بملاءة بيضاء، رفعها بسرعة فلم تكن أمامه إلا دقائق معدودة لينجز مهمته، وعليه أن يجري عملية الفحص بسرعة، نظر إلى وجهه، وجد عيناه مفتوحتان، وضع يده على جبهته، فوجد جسده مازال دافئا، ما آثار اهتمامه هو أنه وجد فمه مفتوحا، كأنما كان يصرخ من الألم عندما مات، أخذ يتحسس أصابع يده وينظر إليها بإمعان، علّه يجد شيئا يقوده إلى معرفة الحقيقة . ورغم أنه على ثقة تامة أن الفاعل هو الكاهن الأعظم إلا أنه لا يستطيع أن يُلقي التهم جزافا ودون دليل .

سمع صوت كبير خدام المعبد وهو يسأله هامسا :

ـ هل انتهيت ؟

ـ ليس بعد !

ـ لقد مر أحد أعضاء مجلس الكهنة من أمام باب الغرفة، ولكنه لم يلحظ أنه مفتوح قليلا، إن استيقظ الكاهن



الأعظـم ومـر مـن البهـو، سـوف يـدرك أنـه يوجـد أحـد مـا في الغرفـة وربـما يفاجئـك بالدخـول .

ـ سـأخلع عنـه ردائـه، لأرى إن كانـت هنـاك آثـارا للاعتـداء عليـه .

ـ حسنا، ولكن أسرع سمو الأمير .

مـا إن بـدأ الأمـير «عـلاء» في فـك زر الـرداء بـدءًا مـن الرقبـة، اسـترعي انتباهـه وجـود ثقـب في الياقـة البيضـاء التـي تلتـف حـول الرقبـة، أزاح الياقـة برفـق ونظـر تحتهـا، وجـد أنـه يوجـد جـرح سـطحي عـلى الرقبـة أسـفل الثقـب الموجـود في الياقـة البيضـاء، أعـاد كل شيء كـما كان، ثـم قـام بتغطيـة الجثـمان بالمـلاءة البيضـاء، خـرج وأغلـق بـاب الغرفـة خلفـه .

مشـى عـلى أطـراف أصابعـه متجهـا إلى غرفـة كبـير خـدام المعبـد انتظـارا لقدومـه، جلسـا سـويا يتناقشـان فيـما حـدث في تلـك الليلـة، مـن عـودة الأمـير «عـلاء» مـن مملكـة «بـراء» إلى وصولـه إلى المعبـد، إلى رؤيتـه للكاهـن الأعظـم ومسـاعده في القبـو إلى مقتل مسـاعد الكاهـن الأعظم، إلى أن وصـل إلى الثقب الموجـود في الياقـة البيضـاء التـي تلتـف حـول الرقبـة وقـال :

ـ إن الثقـب صغـير للغايـة ولا يـكاد يكـون نافـذا في الرقبـة، إنـه أقـرب إلى الجـرح السـطحي ومـع ذلـك قـضي عـلى مسـاعد الكاهـن الأعظـم .



وقف الأمير «علاء»، ثم دار حول المنضدة التي يجلس عليها كبير خدام المعبد وقال :

ـ إلا إذا كان رأس السهم مسموما .

إذن لابد وأن يحتفظ القاتل بالسم في مكان ما، نعم .... نعم ..... أخذ يرددها كثيرا، إن السم موجود في هذا الأنبوب اللعين، لقد اكتملت الحلقة المفقودة الآن، ولكن لماذا قتل الكاهن الأعظم مساعده ؟

ـ بالتأكيد سمو الأمير ليقضي على الدليل الوحيد ضده، هو يخشى أن ينقلب عليه مساعده في يوم من الأيام، لذلك قرر التخلص منه .

ـ هذا تبرير منطقي للأحداث .

ـ سأنصرف الآن إلى القصر.

ـ يمكنك قضاء ما تبقي من الليل هنا سمو الأمير، وما إن تشرق شمس «الباري»، سيكون طبيعيا حضورك مراسم تأبين مساعد الكاهن الأعظم .

ـ لا، أريد أن أجلس مع الملك الأب قبل حضور مراسم التأبين لأوضح له بعض الأمور .

ـ فتح باب الغرفة بهدوء، ثم نظر خارجها ولما لم يجد أحدا في البهو، أشار للأمير «علاء» بالخروج، أسرع الأمير



إلى الخـارج وهـو يمـشي عـلى أطـراف أصابعـه، إلى أن وصـل إلى الأبـواب الداخليـة للمعبـد، تلفـت حولـه ثـم بـدأ في تسـلق الأسـوار، لم يـرَ الأمـير «عـلاء» سـتائر الغرفـة التـي تعلـو الأبـواب الداخليـة للمعبـد وهـى تتحـرك ببـطء كاشـفة عـن عيـون تتلصـص وتـراه وهـو يتسـلق الأسـوار ويمتطـي جـواده في خفـة وينطلـق عائـدا إلى القـصر الملكـي .

عـاد صاحـب العيـون خطـوة للخلـف بعـد أن أعاد السـتائر إلى مـا كانـت عليـه وقـال يحـدث نفسـه : ـ يبـدو أن ضيـوف المعبـد اليـوم مختلفـون، يرتـدون الملابـس الفضفاضـة السـوداء ويتسـلقون الأسـوار، ويغطـون وجوههـم بوشـاح أسـود، مـاذا كان يفعـل هـذا الفـارس في المعبـد في هـذا الوقـت المتأخـر مـن الليـل، لابـد وأن هنـاك سـببا قويـا لذلـك، يبـدو أن دفـة الأحـداث تتحـرك في اتجـاه عكـسي بشـكل سريـع .

الدليل

وصل الأمير «علاء» إلى القصر الملكي، صعد إلى جناح نومه وقال لخادمه وهو يفتح أبواب غرفته أن يوقظه قبل بدء مراسم تأبين مساعد الكاهن بوقت كافٍ .

ـ أمرك سمو الأمير .

ألقى بجسده المتعب على الفراش وهو يُمني نفسه بالراحة، لقد سافر هو والأميرة «ذات الرداء» صباحا إلى مملكة «براء» ثم عاد بعد مغيب شمس نفس اليوم إلى المعبد، ثم عاد ثانية إلى هنا، رغم أن الفترة الزمنية ليست طويلة إلا أن الأحداث فيها كثيرة للغاية، ابتداء من سفر الأميرة إلى مقتل مساعد الكاهن الأعظم .

خُيل إليه أنه سمع صوتا يناديه هامسا ......

سمو الأمير «علاء» .... سمو الأمير «علاء».......



فتح عينيه بصعوبة بالغة، يشعر أنه لم ينم إلا لحظات، يكاد يشك أنه أغمض عينيه فقط، ثم سمع صوت من يوقظه، هذا صوت يعرفه !

ـ من ؟

ـ أنا سيدي، مولاي الملك يتريض في حديقة القصر، وسوف ينتظرك في المكان المعتاد، لقد أبلغني خادمك بأنك ترغب في لقاء الملك الأب والجلوس معه .

ـ نعم وقبل أن يذهب إلى المعبد لحضور مراسم تأبين مساعد الكاهن الأعظم .

ـ ماذا سيدي، ماذا تقول..... هل مات مساعد الأعظم ؟

ـ بل قُتل مساء الأمس، قبل أن أصل إلى هنا .

ـ كيف عرفت بموته سيدي الأمير ؟

ـ سوف تسمع التفاصيل كاملة وأنا أحكي للملك الأب عما حدث بالأمس، هيا بنا، بالتأكيد، انتهى الملك الأب من ساعة التريض الصباحية، لا أريد أن أتأخر عليه .

هبطنا درجات السلم بسرعة، واتجهنا إلى المكان المعتاد الذي يجلس فيه أبي في الحديقة الرئيسية بمجرد أن يفرغ من تريضه .

لمحتـه مـن بعيـد وهـو جالـس، اقتربـت أنـا وخادمـه الأمـين، انحنينـا لتحيتـه، قبلـت يـده فابتسـم وهـو يربـت عـلى رأسي وقـال :

ـ يبدو أنك تحمل الكثير من الأخبار المهمة !

ـ نعـم أبتـي، أأمـل أن يكـون لديـك متسـع مـن الوقـت لسـماعها .

ـ أنـا عـلى موعـد مـع الكاهـن الأعظـم لحضـور مراسـم تأبـين مسـاعده .

ـ هـذا هـو الأمـر الـذي كنـت أريـد أن تسـمعه قبـل أن تحـضر هـذه المراسـم .

ـ ماذا تعني سمو الأمير ؟

جلسـت إلى جانبـه وحكيـت لـه عـلى مـا حـدث بالتفصيـل، بـدءًا مـن سـفري مـع الأمـيرة «ذات الـرداء» مصحوبـا بالهدايـا القيمـة والثمينـة إلى اعتـذاري لملـك «بـراء» لاضطـراري لقطـع الزيـارة والعـودة إلى الديـار، إلى نـزولي مـع كبـير خـدام المعبـد إلى القبـو، إلى مقتـل مسـاعد الكاهـن الأعظـم بسـهم مسـموم .

ـ لمـا لا تعتـذر أبتـي عـن حضـور مراسـم التأبـين عـلى أن أحـضر أنـا نيابـة عنـك .

رفض أبي بشدة هذا الاقتراح وقال :



ـ أبيـك لا يهـرب أبـدا يـا ولـدي مـن مواجهـة الغـادر، لا تخشـى شـيئا، سـيكون الكاهـن الأعظـم مشـغولا للغايـة في تأبـين مسـاعده، بالتأكيـد سـيبحث عـن أسـلوب جديـد للنيـل مـن أبيـك ولكنـه لن يفلـح، وسـوف يدفـع ثمن هـذا غاليـا !!!

ـ ولكن لما يا أبتي لا نلقي القبض عليه ؟

ـ خبرتـك في إدارة الحكـم مازالـت محـدودة يابنـي، إن ألقينـا القبـض عليـه الآن دون دليـل ملمـوس، فسـوف يتذمـر أعضـاء مجلـس الكهنـة، فهـو كبيرهـم، لابـد أن يدافعـوا عنـه، لأنهـم يتصـورون أنهـم يدافعـون عـن كيـان وليـس عـن شـخص الكاهـن الأعظـم، إن قمنـا بهـذه الخطـوة دون دليـل في أيدينـا فسـوف يحـدث الصـدام بيننـا وبينهـم، وسـوف يـرى بعضهـم أننـا بهـذا الفعـل نتغـول عليهـم، فينقلبـوا ضدنـا صراحـة ويأخـذ الـصراع بيننـا منحـىً علنيـا، وهـذا مـا أخشـاه، علـيَّ أن أفكـر أولا في مصالـح البسـطاء قبـل أن أتخذ أي خطـوة أو قرار .

ـ لمـاذا يـا أبتـي لا نسـير عـلى نهجـه ؟ ندبـر لـه مكيـدة ونقوم باغتيالـه، اليـوم قبـل الغـد، نحـن نثـق في أنـه يدبـر المكائـد في جنـح الظـلام للنيـل منـا ولكـن ينقصنـا الدليـل عـلى ما نقـول .

هـذا مـا أردت قولـه، أيـن الدليـل ؟ سياسـتي يـا ولـدي مـن سـنوات طـوال لم تنحـدر إلى هـذا الـدرك أقصـد مسـتوى اغتيـال المنافسـين، بـل كانـت عـلى العكـس دائـما، مواجهتهـم .



لقد اشترك الملك «ساموراء « الأول والكاهن الأعظم الراحل «خباء» في وضع قانون المملكة، فقد كان شعب «الساموراء» مجموعة من القبائل صفراء البشرة، أراد الملك توحيد تلك القبائل تحت لواء واحد، وضع قانون المملكة بحيادية خالية من الأهواء، لتنظم حياة ملوكها وحياة أفرادها من البسطاء، فقد نص قانون المملكة على أنه إن مات ملك «ساموراء» ولم يكن له أبناء، يصبح كبير الكهنة ملك الشعوب الصفراء دون نزاع أو رفض للقانون والقضاء .

بدلا من أن يقوم هذا القانون في توزيع السلطات بشكل عادل بين سلطة العرش وسلطة الكهنوت :

أدى إلى تدبير المكائد السوداء،

للتخلص من الملوك والأمراء والأبناء

تارة بوضع السم لهم في كؤوس الشراب وفي الغذاء،

وتارة ثانية بنصب الفخاخ للملوك في المتنزهات الخضراء،

وتارة ثالثة بوضع الثعابين السّامة في المضاجع البيضاء،

وتارة رابعة بسهم طائش يسقط من السماء،

ما أشبه اليوم بالبارحة يا بني، أنت الملك القادم، زوجتك لن تنجب وليا للعهد، لذلك سيتوقف نسل عائلة



«ساموراء» عنـدك، إن اسـتطاع الكاهـن «خبـاء» التخلـص منـي، سـتكون أنـت التـالي، لأنـه لا يوجـد مـن نسـلنا ولي عهـد يحفـظ لعائلتنـا العـرش، وبعدهـا سـيدين لـه الـكل بالـولاء . أمامـي خطـوات محـددة لحفـظ حـق عائلتنـا في البقـاء ملـوكا وأمـراء، تغيـير القانـون الـذي يمنـع الـزواج الثـاني للملـوك والأمـراء، ولـن يحـدث هـذا الآن دون الدخـول في مواجهـة مـع أعضـاء مجلـس الكهنـوت، أو بالعثـور عـلى دليـل إدانـة الكاهـن الأعظـم وتوجيـه تهمـة الخيانـة العظمـى لـه، سـيتيح لي ذلـك تغيـير القانـون دون الدخـول في مواجهـة مـع مجلـس الكهنـة، وقـف الملـك الأب وقـال :

سـأنصرف الآن إلى المعبـد لحضـور مراسـم تأبـين مسـاعد الكاهـن «خبـاء» .

المؤامرة

سمع الكاهن الأعظم طرقا خافتا علي باب غرفته، أشار لخادمه بفتح الباب .

دخل كبير المضيفين وهو يدفع عربة خشبية تجري على عجل أمامه وعليها إفطار الكاهن الأعظم، أشار الكاهن لخادمه بالخروج من الغرفة، دفع المضيف العربة الخشبية إلى مكان جلوس الكاهن، رفع غطاء كبيرا من على أحد الآنية، أمسك بملعقة صغيرة وضعها في الإناء، تناول منه قطعة ووضعها في فمه، قام برفع كوب صغير كان إلى جوار الإناء ثم ارتشف منه القليل، ثم أعاد كل شيء إلى ما كان عليه .

لقد ابتدع الكاهن «خباء» هذا التقليد بعد أن تولى رئاسة مجلس الكهنوت، لأنه كان دائم التشكك في سلوك من حوله وكان يتخيل أنهم سيغتالونه عن طريق وضع السم في مشربه أو مأكله، وقف كبير المضيفين واضعا يديه



إلى جانب خيط ردائه الجانبي في حالة انتباه استعدادا لتنفيذ أي أمر للكاهن «خباء» .

ـ هل كل شيء يسير في المسار الذي حددناه ؟

ـ نعم سيدي الكاهن، الطفل موجود في أمان، ولا يعلم أحد مكانه، ما إن ينفذ ما ستأمره به، سنعيد إليه طفله في الحال .

ـ لا حديث الآن في هذا الموضوع، إلى أن ألتقية، ننتهي أولا من مراسم تأبين مساعدي والتي ستقام اليوم، عندما يخبرنا حراس المعبد بقرب قدوم الملك لحضور المراسم .

لحظات وأطلق حراس الأبواب الخارجية النفير معلنين عن قرب وصول العربة الملكية إلى المعبد، نزل الكاهن الأعظم وبصحبته أعضاء مجلس الكهنوت درجات السلم بأرديتهم الحمراء وياقاتهم وأحزمتهم البيضاء في طابور إلى الأبواب الداخلية يتقدمهم الكاهن الأعظم «خباء» .

وقف الجميع في صف واحد انتظارا لعبور الملك البوابة الداخلية للوصول إلى مشارف قاعة مراسم التأبين، توقفت الخيول أمام القاعة، نزل الملك في هدوء وهو ينظر بعيون كالصقر في سرعة حوله محاولا ألا يلفت النظر إلى أنه يشعر ببعض الريبة من أن يتلقى سهما من هنا أو هناك .

بالغ الكاهن «خباء» في الترحيب الشديد بالملك الأب، ثم اصطحبه إلى القاعة الرئيسية والتي ستقام فيها مراسم التأبين .



قبل أن تبدأ المراسم فعليا كنت أجلس في المكان المخصص لولي العهد، لم أكن في حالة نفسية أو مزاجية عالية، لقد أثرت الأحداث التي مررت بها بالأمس في المعبد ومنها مقتل مساعد الكاهن الأعظم في إحساسي بالأمان، طوال مراسم التأبين وأنا أشعر بالتوتر، كنت أنظر إلى أعلى هنا وهناك إلى اليمين وإلى الشمال، فقد كنت أخشى أن يطلق أحدهم سهما مسموما فيصيب الملك الأب، كنت أتلفت كثيرا، أحاول أن أكتشف الخيانة قبل وقوعها .

تلا الكاهن الأعظم «خباء» بعض التراتيل، ثم أنهي المراسم بأن أشار للفرقة الموسيقية، فعزفت الموسيقي الحزينة بينما خدام المعبد يرفعون التابوت على أكتافهم متجهين ببطء إلى خارج القاعة .

لا شك في أن ما تعرضت له بالأمس من ضغوط في هذا المكان، وعدم حصولي على قدر كاف من الراحة قد أثر بالسلب على استيعابي لما يحدث حولي، في لحظة واحدة اختلطت الحقيقة بالخيال والواقع بالوهم، أحسست بأني أنفصل كلية عما يحدث في القاعة، وأرى خدام المعبد وهم يحملون التابوت على أكتافهم وقد اهتز بشدة، سمعت أحدهم وهو يقول أسمع طرقا يأتي من داخله، أشار الآخر للفرقة الموسيقية للتوقف عن العزف، وضعوا التابوت على الأرض، تحرك الغطاء وشاهدنا يد القتيل وهي



ترفعه لأعلى، عاد خدام المعبد الذين كانوا يحملون التابوت خطوات إلى الوراء وهم في حالة صدمة وذهول، ووقف الحاضرون في أماكنهم وقد تعالت صرخاتهم في القاعة، بعد أن أزاح القتيل غطاء التابوت وقف، ثم نظر حوله يبحث عن الكاهن الأعظم «خباء»، الذى ما إن رأى غطاء التابوت يتحرك لأعلى حتى أطلق لقدميه العنان، فجرى بسرعة ناحية أبواب القاعة، صاح القتيل وهو يشير إليه أمسكوه، قتلني بالأمس القريب واليوم يصفني بالحبيب .

قال الأمير وهو يحدث نفسه :

ـ آه ......لو حدث ذلك في القاعة بالفعل، لكنا انتهينا من مشقة البحث عن دليل يدين الكاهن الأعظم، نحن الآن نتحسب لاحتمالات أن يفاجئنا هو بضربة قوية، قد تقضي على أبي، أو يستميل أعضاء مجلس الكهنة إلى جانبه ويسطو على عرش الملك الأب، ويكون مصيري السجن إلى الأبد، هذا إن ترفق بي، وإن لم يترفق، فسوف يصدر أوامره بصلبي على أحد جذوع الأشجار الممتدة بطول الطريق المؤدي إلى المعبد، فتأكل الجوارح من لحمي حيا وميتا، أفقت من هذا الكابوس على صوت أحد الأمراء وهو يقول :

ـ لقد غادر مولاي الملك القاعة !

ـ ماذا ؟ ماذا تقول ؟



ـ لقد غادر مولاي الملك القاعة . فيما كنت تفكر ؟

ـ الكثير والكثير .....

صعد الكاهن الأعظم درجات السلم متجها إلى غرفته عبر البهو، ما إن لمح الخادم قدومه حتى فتح الباب على مصراعيه، بدأ خادمه الخاص في مساعدته في خلع ردائه ووضعه في خزينة ملابسه، سمع الكاهن الأعظم صوت طرق على باب غرفته، أشار لخادمه بفتح الباب عاد الخدم وقال :

ـ أحضر كبير المضيفين طعام الغداء سيدي .

ـ دعه يدخل، وانتظر بالخارج .

دخل كبير المضيفين الغرفة وهو يدفع عربة خشبية ذات أربع عجلات عليها آنية مختلفة الأحجام والأشكال، فعل ما يفعله في كل مرة يقدم فيها الطعام أو الشراب للكاهن الأعظم، رفع الأغطية واحدا وراء الآخر وتناول من كل إناء منها قطعة صغيرة ووضعها في فمه بعد أن انتهى، وقف انتظارا لتعليمات الكاهن الأعظم .

سأله بلهجة جادة :

ـ أين كبير الطهاة ؟

ـ إنه ينتظر بالخارج سيدي .



ـ هل علم شيئا عن سبب استدعائه ؟

ـ القليل سيدي .

ـ وما هو هذا القليل ؟

ـ أن سيدي الكاهن الأعظم سوف يساعده في البحث عن ولده المفقود

ـ حسنا، دعه يدخل الآن .

ـ أمر سيدي .

اتجه كبير المضيفين إلى الباب، فتحه ثم قال :

ـ تفضل، سيدي الكاهن الأعظم في انتظارك .

دخل كبير الطهاة على استحياء، غير مصدق لما يحدث له، فقد ابنه بالأمس، بحث عنه في كل مكان خارج الدار ولكنه لم يجده، ولما توجه بشكواه لصديقه كبير المضيفين، وعده بإبلاغ الكاهن الأعظم بما حدث وقال :

ـ سيساعدك في البحث عن ولدك فللكاهن الأعظم رجاله !!

دخل كبير الطهاة إلى غرفة الكاهن وقلبه مفعم بالأمل، ينظر إلى الأرض، لا يكاد يرفع رأسه أو عينيه في أعين الكاهن الأعظم الذي كان يجلس على مقعد وثير إلى جانب فراشه .



بينما يقف كبير الطهاة في سكون، منتظرا أن يفرغ الكاهن من قراءة الأوراق الموضوعة على منضدة صغيرة أمامه، كان الكاهن يختلس النظر إليه بين كل بضع لحظات، لم تكن نظرات عابرة، كل واحدة منها تتفحص شيئا من أخمص قدمه وحتى شعر رأسه، واسع العينان، شفاه غير مكتنزة، وجه مستدير عريض الجبهة دليل على رقة القلب، تقاسيم وجهه تدل على هدوء الطباع رغم ما يعتريه من حالة القلق على ولده المفقود .

قال الكاهن الأعظم وهو يحدث نفسه :

لاشك في أنه سينفذ الأمر الذي سيُلقى عليه ! ولكن السؤال المهم الآن هو هل ألقي عليه بالأمر دفعة واحدة مصحوبا بما سيحصل عليه بعد ذلك من جائزة، بمعني أنه عليك تنفيذ التالي :

أن تضع نقطة واحدة من هذا الأنبوب على الوجبة المفضلة للملك الأب، في مقابل أن أمنحك ضيعة على أطراف المملكة تعيش فيها أنت وأولادك .

أم أمهد له الطريق مثلا :

كأن أبدأ حديثي معه بما حدث مؤخرا في المملكة، أصبح الملك في أرذل العمر، لا يقوى على تحمل تبعات الحكم ومتاعبه، وولي العهد لاه عن شؤون المملكة بمطاردة



الأميرات، إلى درجة أن النبلاء والأمراء ضجوا بالشكوى من هذه التصرفات الصبيانية والتي يندى لها الجبين،

أم أبدأ بتهديده كأن أقول له :

من استطاع خطف ولدك سيقضي عليه إن لم تنفذ مطلبه، أن تضع نقطة واحدة من هذا الأنبوب على الطبق المفضل للملك الأب .

وأخيرا قررت أن أسير في كل طريق من الثلاث قدر ما أستطيع إلى أن أرى استجابته وردة فعله، لذلك قررت أن أبدأ بتمهيد الطريق أمام الأمر الذي سأطلبه منه، فقلت له :

لقد أبلغني كبير المضيفين بما حدث لولدك بالأمس القريب، أقصد اختفاءه من أمام الدار، حسنا أنك لجأت إليَّ لكي أساعدك في البحث عنه .

ـ أدعو «الباري» أن يوفقك سيدي الكاهن .

في تلك الأثناء قرر الكاهن الأعظم أن يسأل كبير الطهاة أسئلة تقليدية عن الطفل، حتى يبعد ذهنه عندما يطلب منه خيانة الملك الأب عن احتمال معرفة الكاهن الأعظم بأمر اختطاف الطفل .

ـ ما عمر الطفل ؟

ـ خمس سنوات سيدي .



ـ من أى مكان اختُطف ؟

ـ من خارج الدار سيدي .

هل بحثتم عنه ......؟

وقبل أن يكمل سؤاله قال :

ـ في كل مكان من المحتمل أن يذهب إليه .

ـ ماذا كان يفعل خارج الدار ؟ وهل كان معه أحد ؟

ـ نعم سيدي، كان يلهو خارج الدار مع أطفال في مثل سنه .

ـ ألم يتصل بكم أحد ما، أو يطلب شيئا ؟

ومالذي يمكن أن يطلبوه مني سيدي، أنا لست سوى طاه، أقوم بعملي، ثم أعود إلى دارى ليس لدي ما أستطيع أن أعطيه لأحد .

قال الكاهن في نفسه :

بل تستطيع أن تعطينا الكثير والكثير ...... أنت الوحيد الذي يستطيع أن تصل إلى جوف الملك الأب، أنت طاه الملك منذ سنوات طوال، وهذا في رأيي يكفي لتنفيذ المهمة .

ـ حسنا كبير الطهاة، سوف أدعوا رجال المعبد إلى بذل أقصى الجهد والبحث في كل مكان للعثور على ولدك، ولكن إن طلبوا منك القيام بشيء في المقابل، هذا



ليس سوى مجرد سؤال، هل ستنفذ ما سيطلبونه منك .

ـ نعم سيدي الكاهن، سأفعل كل ما يريدونه، حتى وإن طلبوا رأسي بدلا منه .

ـ حسنا ..... انصرف أنت الآن، لا أريد أن يعرف أحد ما بهذا الحديث، عليك العودة إلى عملك ولا تتحدث إلى أحد عما دار بيننا .

ـ سمعا وطاعة سيدي الكاهن .

خرج كبير الطهاة من غرفة الكاهن الأعظم ونظر إلى كبير المضيفين نظرة شديدة الامتنان وتوجه مباشرة إلى المبني الملحق بالقصر الملكي لرئاسة طاقم الطهاة الذين يعملون على إعداد الولائم والحفلات الملكية، على الفور طرق كبير المضيفين باب غرفة الكاهن الأعظم وما إن سمع الإجابة حتى دخل بخطوات ثابتة واثقة من نفسها يشعر بالفخر من الإنجاز الذي على وشك أن يتحقق، فهو الذي أشار على الكاهن الأعظم باختيار كبير الطهاة لوضع السم في طعام الملك الأب ؛ لأنه يرى فيه سمات كثيرة سوف تجعل الأمر يبدو سهلا، وهو الذي أشار أيضا على الكاهن الأعظم باختطاف طفل كبير الطهاة ليكون أداة للضغط عليه لقبول تنفيذ المهمة دون إبطاء أو تأجيل أو التعلل بحجج أو الخوف من تنفيذها وهو أيضا



الـذي اختـار الرجـال الذيـن قامـوا باختطـاف الطفـل ووضـع لهـم الخطـة المحكمـة، لمـاذا لا يدخـل واثـق الخطـى وقـد أصبـح السـاعد الأيمـن للكاهـن الأعظـم لشـؤون العمليـات القـذرة، بالتأكيـد سـتكون جائزتـه ....

بينـما كان يفكـر في حجـم جائزتـه وهـو يقـف في انتظـار أن يلتفـت إليـه الكاهـن الأعظـم، انتبـه عـلى لهجتـه الآمـرة :

ـ عليـك وأعوانـك مراقبتـه جيـدا، إن تحـدث لثمـة أحـد بـأي شيء، تخلصـوا مـن الطفـل في التـو، وإن التـزم الصمـت، إإتنـي بـه بعـد غـد لكـي أحـدد موعـد تنفيـذ العمليـة .

ـ سـمعا وطاعـة سـيدي الكاهـن، منـذ أن خـرج كبـير الطهاة مـن هنـا والعديـد مـن الرجـال يقتفـون أثـره ويراقبونـه جيـدا، وهنـاك مـن يراقبـه داخـل المبنـي المخصـص لإقامـة الحفـلات الملكيـة اطمئـن سـيدي الكاهـن، نحـن نتحكـم جيـدا في توجيـه كبـير الطهـاة إلى الطريـق الـذي نريـد منـه أن يسـلكه .

بعـد أن أشرف كبـير الطهـاة عـلى مسـاعديه وهـم يقومـون بإعـداد المأكـولات المختلفـة اسـتعدادا للمأدبـة التـي يقيمهـا الأمـير «عـلاء» لأحـد أصدقائـه مـن الأمـراء، أسرع عائـدا إلى داره، وجلـس يفكـر، هـل يصـارح زوجتـه بالحديـث الـذي دار بينـه وبـين الكاهـن الأعظـم أم يرضـخ لمشـيئته وينفـذ مـا طلبـه منـه، ولا يتحـدث لأحـد أيـا كان



في هـذا الشـأن عـلى أمـل أن يعـود إليـه طفلـه سـليما معـافى .

أخيرا استقر رأيه على ألا يتحدث لأحد بما حدث .

في اليـوم التـالى كانـت عيـون كبـير المضيفـين ترصـد كل حركـة أو التفاتـة أو نظـرة مـن كبـير الطهـاة، اقـترب منـه كبـير المضيفـين وقـال :

لدى الكاهن الأعظم أخبارا طيبة عن ولدك .

تهلل وجه الرجل فرحا وقال :

ـ هل ولدى بخير ؟

ـ نعـم، لقـد توصـل الرجـال الذيـن أوكل إليهـم البحـث عنـه إلى مكانـه، غـير أن لمـن بحوزتهـم الطفـل طلبـا واحـدا عليـك تنفيـذه، وإلا لـن تـراه ثانيـة،

ـ أنا علي استعداد لتنفيذ كل ما يطلبونه !

الأمـر ليـس سـهلا، مطلبهـم يحتـاج إلى شـجاعة نـادرة، والجائـزة كبـيرة، عـودة ولـدك سـالما وإحـدى الضيـاع عـلى أطـراف المملكـة، هـل سـتتراجع أم أبلـغ الكاهـن الأعظـم بموافقتـك عـلى تنفيـذ مطلبهـم ؟

ـ ولكنني لا أعرف إلى الآن مطلبهم .

ـ أيا كان، فحياة ولدك في المقابل .



ـ رد وهو يتلعثم نعم ...... نعم .....

ـ غدا سيأتيك رسول من قبل الكاهن الأعظم .

ـ وأين سألقاه ؟

ـ ستعرف غدا موعد ومكان اللقاء .

انصرف كبير المضيفين بسرعة محاولا ألا يثير انتباه أحد من مساعدي كبير الطهاة .

عاد كبير الطهاة إلى داره وهو يفكر فيما يمكن أن يطلبه خاطفوا ولده !!!

ما دخل كبير المضيفين بذلك، وما هي الصلة التي تربط بين الكاهن الأعظم وبين خاطفوا ولده حتى يكون وسيطا بينه وبينهم بل الأكثر من هذا أن يبلغوه بمطالبهم، مازالت وفاة مساعد الكاهن الأعظم منذ أيام تلقى بظلال كثيفة على المعبد، لقد سمع بعض أعضاء مجلس الكهنة وهو يؤكد على أن الصراعات الموجودة بين الكاهن الأعظم وبين مجلس الكهنوت قد بلغت ذروتها .

في صباح اليوم التالي اقترب كبير المضيفين من كبير الطهاة وقال :

ـ سيأتيك رسول الكاهن الأعظم الليلة، ومعه مطلب خاطفوا الطفل، عليك الإنصات جيدا لم سيقوله، واحذر أن يعلم أحد بهذا اللقاء .



ـ ولكن أين ؟

ـ خلف المبنى المخصص لإعداد الحفلات والولائم، في الثلث الأخير من الليل .

ـ سأكون هناك، ولكن متى سيعود ولدي ؟

ـ ما إن تنفذ المطلوب منك .

ـ سمعا وطاعة .

انصرف كبير الطهاة إلى عمله، لقد أزف الوقت وبدأت الترتيبات النهائية للمأدبة التي سيقيمها الأمير «علاء» لأحد أصدقائه .

عندما اقترب النصف الثاني من نهايته، ارتدى كبير الطهاة رداءً أسود وخرج من المبني متجها إلى المكان المتفق عليه لاستلام الرسالة المطلوب تنفيذ ما بها .

بعد أن وصل إلى المكان اختبأ خلف إحدى الأشجار العملاقة، ما إن سمع صوت خطوات تقترب حتى رأى رجلا يرتدي وشاحا أسود على وجهه ورداءً فضفاضا أسود يقترب منه وهو يتلفت ناحية اليمين وناحية الشمال .

ما إن رآه الرجل حتى اقترب منه، أخرج أنبوبا من جيب ردائه وقدمه له وهو يقول :



ـ نقطـة واحـدة مـن هـذا الأنبـوب عـلى الطبـق المفضـل للملـك الأب وينتهـي كل شيء، ويعـود إليـك ولـدك .

ـ سمعا وطاعة سيدي .

انـصرف الرجـل مسرعـا مـن المكان شـاقا طريقـه إلى المعبـد وبالتحديـد إلى الغرفـة الثالثـة فـوق البوابـة الداخليـة، لم يكـن الرجـل يـدرك أنـه وكبـير الطهـاة وحدهـم في هـذا المـكان المنعـزل والمظلـم، هنـاك رجـل آخـر كان يقـف خلـف أحـد الأشـجار ينصـت جيـدا للصـوت الـذي قـال كلـمات مقتضبـة، هـذا الصـوت يعرفـه جيـدا .

ـ إنه صوت الكاهن الأعظم «خباء» !!!

انتظـر كبـير الطهـاة قليـلا في مكانـه، حتـى جـاءه الرجـل وقـال :

ـ لقـد اكتملـت أركان الخيانـة، وهـذا هـو الدليـل الـذي كنـت في حاجـة إليـه، عليـك بالعـودة إلى عملـك وكأن شـيئا لم يكـن، لا نريـد إثـارة ريبتهـم أو شـكوكهم، حتـى لا يأخـذوا حذرهـم .

ـ سمعا وطاعة سيدي.



المحاكمة

جلس الملك الأب في حديقة القصر، بعد أن قضى وقتا طويلا في التريض على الحشائش الخضراء، وبصحبته كلبه الأبيض ذو البقع السوداء، يجري بعيدا عنه وما إن يطلق صفيره يعود إليه كسهم هبط بقوة من علياء .

ملأ الأب رئتيه بشهيق من الهواء المنعش وقال في صوت خافت :

ـ أحتاج لفترة من الهدوء والراحة، لقد تسارعت وتيرة الأحداث مؤخرا وأصبحنا قاب قوسين أو أدني من حدث جلل قد يطيح بمملكة «ساموراء» وليس فقط بي ولا بالأمير «علاء»، ثم أخذ يسترجع ما حدث في الأيام الأخيرة .

لقد زوجت أخيرا ولي العهد علي غير رغبة منه، وبعد أن أظهر مقاومة شديدة للفكرة خضع أخيرا لرغبتي، لا يهم إن كانت بقليل من الإقناع وبكثير من الإجبار ولي



الـذراع، ولكـن يـا لسـخرية القـدر، زوجتـه مريضـة بمـرض يمنعهـا مـن حمـل جنـين في أحشـائها، وسـواء حـدث هـذا الأمـر بتدبـير مكيـدة مـن أبيهـا ملـك «بـراء» وزوجتـه أو بـدون تدبـير، الحقيقـة تقـول أن هـذه الزوجـة لا تصلـح أن تكـون الملكـة القادمـة، وأم ولي العهـد القـادم، وقانـون المملكـة لا لبس فيـه ولا إبهـام، يحظـر الـزواج الثـاني عـلى الملـوك والأمـراء والكاهـن الأعظـم «خبـاء» يسـتعد للانقضـاض عـلى عـرش «سـاموراء» ولـن يرحـم كبـيرًا أو صغـيرًا مـن العائلـة الملكيـة، يحتـم عـليَّ هـذا الوضـع الشـائك أن أكـون أنـا الفعـل وليـس رد الفعـل .

كانـت تعليـمات الملـك الأب واضحـة، ما إن يجلـس في المكان المفضـل لـه في الحديقـة الرئيسـية للقـصر، بعـد أن يقـضي فـترة مـن التريـض في صبـاح ذلـك اليـوم أن ينقـض رجـال الحـرس التابعـين للقـصر الملكـى عـلى الخونـة ويعتقلونهـم جميعـا، وعـلى رأسـهم الكاهـن الأعظـم «خبـاء»، وكبـير المضيفـين، وخمسـة مـن مسـاعديه، وثلاثـة أمـراء، وأربعـة نبـلاء، واثنـي عـشر دوقـا بتهمـة الخيانـة العظمـى، عـلى ألا يتعـرض رجـال الحـرس الملكـي بـأي شـكل مـن الأشـكال لكبـير الطهـاة .

أودع الحـرس الملكـي الخونـة سـجن المملكـة تمهيـدا لمحاكمتهـم أمـام رجـال القضـاء، وبعـد أيـام قلائـل طـاف المنـادون أزقـة وحـواري المملكـة يؤكـدون بصـوت جهـوري



عـلى العامـة والبسـطاء الحضـور في يـوم الثلاثـاء ليشـهدوا بأنفسـهم عدالـة الملـك الأب ورجـال القضـاء، خـلال محاكمـة الكاهـن الأعظـم «خبـاء» ، والخونـة مـن النبـلاء والأمـراء في أكـبر ميادين «سـاموراء» .

جلـس الملـك عـلى كـرسي العـرش في كبريـاء، وعـلى يمينـه خمسـة مـن رجـال القضـاء، وعـلى يسـاره ولى العهـد والنبـلاء، وجثـى الكاهـن الأعظـم عـلى ركبتيـه في منتصـف السـاحة البيضـاء .

حاني الرأس ذليلا يُعامل بازدراء ،

قال الملك :

ـ أردت أن أرفع من شأن القضاء

أن تكون محاكمة الخائن أمام الناس في العراء

خيانة كبير الكهنة فاقت أفعال الجبناء

لو أردت التخلص منه لفعلت في الخفاء

إنها حقوق إن لم أؤدها لما كنت سليل العظماء

حقه علينا أن يحظى بمحاكمة عادلة أمام القضاء

وحقي عليه أن أقتص منه بسبب فعل الجبناء

وحقوق الناس في مملكة «ساموراء»

أن تشهد محاكمة الخائن قبل الجزاء .



بعد أن ألقى الملك الأب بصوت جهورى هذه الكلمات الرّنانة، تعالت صيحات الوقوف من العامة والبسطاء، تهتف للملك العادل وتنظر بازدراء للكاهن الأعظم الجاثي على ركبتيه داخل قفص حديدي .

قطع أصوات الهتاف التي تعالت، صوت أحد الكهنة وهو يسأل :

ـ أين دليل خيانة الكاهن الأعظم ؟

أشار الملك الأب لكبير الطهاة، قام من مكانه، ثم اتجه إلى منصة القضاة، رفع يده اليمنى لأعلى ثم قال :

ـ أقسم ب«الباري»أن لا أحيد عن الحق في إجابتي عن حالي .

نظر إليه قاضي القضاة وسأله :

ـ أين دليل الخيانة ؟

وضع كبير الطهاة يده في جيب ردائه ثم أخرج أنبوب به سائل أحمر وقال :

ـ هذا هو سيدي القاضي !

ـ وماذا يحوي هذا الأنبوب ؟

ـ الكثير والكثير من سم الحية الرقطاء



ـ قص علينا إذن ما حدث !!!

ـ كان ولـدي يلهـو مـع أقرانـه خـارج الـدار، ومـا إن مالـت الشـمس للغـروب نـادت عليـه أمـه، لم يجيبهـا، أعـادت النـداء عليـه، لم تسـمع إجابتـه، ولم تره يدخـل الدار، أسرعـت إلى الخارج فلـم تجـده، بحثـت في كل الديار المجـاورة، فلـم تعثر له عـلى أثر .

في صبـاح اليـوم التـالي، بينـما أنـا أشـكو بثـي وحـالي لأحـد مسـاعديَّ، اقـترب مني كبـير المضيفـين وقـال :

ـ لمـا لا تبـث شـكواك للكاهـن الأعظـم «خبـاء» فـإن لـه رجالــه الذيــن يســتطيعون العثــور عــلى ولــدك اصطحبنــي كبـير المضيفـين إلى غرفـة الكاهـن الأعظـم، حدثتـه عـما ألم بي وبولـدي، وعـدني بـأن يـوكل بعضـا مـن رجالـه للبحـث عنـه، ظننـت حتـى هـذه اللحظـة سـيدي القـاضي الكاهـن الأعظـم سـيفعل ذلـك بدافـع رفـع المظـالم وكشـف الغمـة .

عاد كبير المضيفين في اليوم التالي وقال :

ـ هنـاك أخبـارا طيبـة لـدى الكاهـن الأعظـم، بينـما كان ينقل لي هـذه البـشرى ظـل يتلفـت حولـه وهـو يؤكـد عـليَّ ألا أخـبر أحـدا بـشيء، الأمـر الـذي جعلني أتسـاءل لمـا كل هـذا الخوف .

ولّمــا ذهبــت إلى الكاهــن الأعظــم، أخــذ يراوغنــي وفي النهايـة أعلـن عـن نوايـاه بشـكل ملتـوٍ وغامـض، فقـد كان شــديد الحــرص في حديثــه .



ـ وماذا قال ؟

ـ إن للرجال الذين اختطفوا الطفل مطلبا واحدا في مقابل عودته سالما وسيزيد هو على ذلك بضيعة يمتلكها في طرف المملكة، أي أن الجائزة على تنفيذ مطلبهم ستكون جائزتين، لم تكن أمامي طرقا عدة أسلكها، إما أن أرفض طلبهم ـ والذي لم أكن أعلمه حتى هذه اللحظة ـ ولكنه بلا شك سيكون مطلبا عزيزا لا يقوى عليه غيري ـ جائزتين مقابل تنفيذ طلب واحد يثير كثيرا من الشك والريبة في محتوى هذا الطلب ـ وهذا سيدي القاضي ما جعلني أتأكد أني قد دخلت إلى منتصف دائرة صراع ما رغما عن أنفي، سيدي القاضي لقد ألقت وفاة مساعد الكاهن الأعظم بظلال ....

ـ وقف كبير خدام المعبد في مكانه مقاطعا كبير الطهاة وقال :

سيدي القاضي، أريد أن أصحح معلومة للجميع وهي أن مساعد الكاهن الأعظم مات بفعل فاعل وعن عمد .

علت صيحات الحضور بهمهمات وأخذ الناس ينظرون لبعضهم البعض في دهشة كبيرة .

أشار قاضي القضاة لكبير خدام المعبد، تعني التزام الصمت وقال :



ـ الكلمـة الآن لكبـير الطهـاة، وبعـد أن ينتهـي مـن سرد شـهادته في هـذه المحاكمـة، سـوف تـدلي بشـهادتك .

ـ عفـوا سـيدي قـاضي القضـاة، لم أسـتطع أن أتمالـك نفـسي وكبـير الطهـاة يقول تُـوفِّي مسـاعد الكاهـن الأعظم، فـأردت أن أبـين الفـارق اللفظي بـين الموت قدريـا وبين الموت بفعـل فاعل .

ابتسـم الملـك الأب ابتسـامة المنتـصر، بالتأكيـد سـوف ينـال مـن هـذا الخائـن، ولـن يسـتطيع أحـد مـن مجلـس الكهنـة الوقـوف إلى جانبـه حتـى لـو أراد، بـل عـلى العكـس سـوف يطالبـون هـم بالقصـاص منـه لكـي ينفضـوا أيديهـم مـن تـراب خيانتـه، لأنهـم حتـى وإن كانـوا متعاطفـون معـه إلا أنهـم سـيكونون مطالبـون بنبـذه وإلا سـيطالهم إثـم أفعالـه .

نظر قاضي القضاة لكبير الطهاة وقال :

ـ أكمل شهادتك ......

ـ لم يكـن أمامـي سـيدي القـاضي حل سـوي أن ألجـأ إلى أحد أثـق في أنـه ينـير لي الطريـق وأن يمـد لي يـد المسـاعدة إن حـدث شيء ، لم يكـن في الحسـبان وبخاصـة لأننـي كنـت أشـعر بـأن الأيـام القادمـة تحمـل الكثـير مـن المخاطـر سـواء عـليَّ أو عـلى ولـدي المختطـف، وهنـاك مـن يحسـب عليَّ ليـس فقـط خطواتي بـل أنفـاسي، كـما أننـي لمحـت في كلـمات كبـير المضيفـين شـيئا مريـب وأحسسـت بـأن الكاهـن الأعظـم يضغـط عـليَّ بورقـة



ولـدي المختطـف، لذلـك كان اختيـاري لكبـير خـدام المعبـد، فأنـا أعـرف أنـه رجـل تقـي وورع وصديـق حميـم لـولي العهـد «عـلاء»، مـا كان يشـغلني سـيدي القـاضي هـو كيـف أصـل إليـه دون أن يشـعر بي أحـد ممـن يراقبوننـي ليـل نهـار

لذلـك تفتـق ذهنـي عـن حيلـة، عـليَّ أن أدفعـه هـو لطلـب لقائـي

ـ لدينـا سـيدي القـاضي التعليـمات الخاصـة بمواعيـد الوجبـات لـكل مـن أعضـاء مجلـس الكهنـة بمـن فيهـم الكاهـن الأعظـم «خبـاء»، وأعضـاء مجلـس خـدام المعبـد بمـن فيهـم كبيرهـم ، وكذلـك رغباتهـم فيـما سـيقدم لهـم وكذلـك المحظـورات، حتـى نتجنبهـا أثنـاء إعـداد الوجبـات .

مـن بـين المحظـورات التـي شـدد عليهـا كبـير خـدام المعبـد هـي عـدم وضـع توابـل حـارة بالمـرة في أي طعـام يُقـدم لـه، لأنهـا تؤثـر سـلبا عـلى صحتـه، لذلـك فكـرت في أن أضـع كميـة لا بـأس بهـا في طعامـه وقـد كان، بعـد أن قمـت بهـذه الحيلـة وجـدت أحـد المضيفـين يـأتي إليَّ مسرعـا وهـو يقـول :

ـ مـاذا فعلـت ؟ كبـير خـدام المعبـد في حالـة ثـورة عارمـة! يتهمـك بالإهمـال والتقصـير واللامبالاة، ينتظـرك الآن في غرفته، إنـه يشـعر بالاسـتياء الشـديد بسـبب التوابـل الحـارة التـي أضفتهـا إلى طعامـه، رغـم أنه شـدّد على عـدم إضافتها مـن قبل .



قادني المضيف إلى غرفته ثم طرق الباب وانصرف .

فتح كبير خدام المعبد الباب على غير العادة، أعطاني ظهره ودخل إلى غرفته، اتبعته وأنا أعتذر بشدة عن سوء تقديري وهو يتوعدني بالجزاءات .

ـ عفوا سيدي، لجأت عامدا إلى هذا الفعل كي أتحدث إليك في أمر مهم، ولكني خشيت أن يفتضح أمري ويدفع ولدي الثمن .

توقف عن السير، استدار إليَّ وعلامات الاهتمام تبدو على وجهه، صمت لحظات، انتهزت لحظات الصمت هذه كي أحكي له بسرعة عما حدث وعما أشعر به من وجود مؤامرة في الطريق لا أعرف ضد من ؟ ولا ما هي التفاصيل، وما أريده هو أن يساعدني في التخلص من هذا المأزق .

ـ ماذا تقول يارجل ؟ وماذا تقصد بهذا الكلام ؟ أنت تسوق الحجج المختلفة كي لا تنال جزاء إهمالك !

ـ عفوا سيدي، لقد فعلت ذلك لكي أقص عليك ما حدث أنا أريد أن تساعدني في استعادة ولدي !!!

التفت كبير خدام المعبد ناحية باب غرفته ثم ناحيتي ثم وضع يده على فمي وقال :



ـ سوف أرفع صوتي بالتأنيب، أشعر بأن أحدا ما يقف خلف هذا الباب يرهف السمع .

ـ ألم أقل لك سيدي، أن هناك من يتبعني !

قلت لكبير خدام المعبد باختصار شديد عن حديث الكاهن الأعظم معي وعن الأحاديث التي دارت بيني وبين كبير المضيفين، وبعد أن رأى أن الفترة التي يجب أن يعاتبني فيها قد زادت، قال هامسا :

ـ استمر في مجاراتهم، وسأقوم أنا باللازم .

رفع صوته ثانية وقال :

ـ سيتم خصم خمسة أيام من راتبك، جزاء إهمالك في عملك .

خرجت من الغرفة مدّعيا أني أشعر بالإحباط نتيجة هذا التعنيف، فوجدت كبير المضيفين في وجهي، سار إلى جانبي ونحن في طريقنا إلى المبني المخصص لنا ثم قال :

ـ لا يهم ما حدث، عما قريب سينتهي كل شيء .

ـ أريد أن أطمئن على ولدي !!!

ـ سيدي الكاهن الأعظم أكد لي أن صحته جيدة .

ـ ما هو مطلبكم ؟



ـ بل قل ما هو مطلب الكاهن الأعظم ؟

ـ حسنا ما هو مطلبه ؟

ـ ستعرف كل شيء في موعده لكن الآن علينا أن نتوجه إلى غرفة الكاهن الأعظم، أرسلني لاستدعائك .

بدأ الكاهن الحديث عن الخدمة التي سوف أؤديها للبسطاء في المملكة والذين لا يشعر بهم أحد سواء الملك وحاشيته ، أو ولي العهد والنبلاء والأمراء وغيرهم، وطلب مني أن أشاركه في خلاصهم من هذا العذاب، وفي نهاية المقابلة قال :

ـ موعدنا الليلة واحْذر أن يتبعك أحد !

خرجت من غرفة الكاهن الأعظم وتوجهت مباشرة إلى عملي، وأنا أبحث عن طريقة كي أبعث برسالة لكبير خدام المعبد، أمسكت ورقة صغيرة وكتبت فيها موعد وزمان اللقاء ثم لففتها جيدا وغرستها في طبق الأرز المفضل لكبير خدام المعبد .

وفي الزمان والمكان المحدد رأيت رجلا يلبس رداءً أسود وقد غطى وجهه بوشاح لا يظهر إلا عينيه، يقف بفرسه ثم ينزل من عليه بهدوء ويقترب مني، ظننته رسول من الكاهن الأعظم، وضع يده في جيب صغير في

جانب ردائه، أخرج هذا الأنبوب ـ رفعه الطاه لأعلى ليره كل حضور المحاكمة ـ وقال :

ـ نقطة واحدة مما فيه كفيلة بقتل ثلاثة دببة بيضاء، عليك وضعها في الوجبة المفضلة للملك الأب، وإلا لن ترى ولدك ثانية .

امتطي الرجل فرسه ثم انطلق مسرعا .

وقف أحد أعضاء مجلس الكهنوت وقال مخاطبا قاضي القضاة :

ـ سيدي القاضي ليس هذا دليلا على تورط الكاهن الأعظم في خيانة مولاي الملك الأب، ثم وجه كلامه لكبير الطهاة وسأله :

ـ وكيف عرفت أنه الكاهن الأعظم ؟

ـ من صوته سيدي .

ـ هذا ليس بدليل من الممكن أن يدفعنا للتشكيك في ولاء الكاهن الأعظم سيدي القاضي .

أشار قاضي القضاة لكبير خدام المعبد لكي يقف في منتصف الساحة ويدلي بشهادته .

قام من مكانه وتوجه إلى حيث المنصة التي يجلس عليها القضاة، ثم أشار بيده إشارة لم يفهم مغزاها أحد من



الحضـور إلا واحـدا قام مـن مكانه وانـصرف من قاعـة المحاكمة متجهـا إلى المعبـد وبالتحديـد إلى غرفـة الكاهـن الأعظـم .

رفـع كبـير خُـدام المعبـد يـده معلنـا عـن قـول الحـق دون تضليـل أو مواربـة ثـم قـال :

ـ سـيدي القـاضي، قبـل أن أخـوض في سرد وقائـع شـهادتي أريـد أولا أن أؤكـد عـلى أن مسـاعد الكاهـن الأعظـم قـد قتـل عمـدا، لقـد شـهدت ذلـك بنفـسي، وجـدت جرحـا سـطحيا في رقبتـه ...... وقبـل أن يكمـل حديثـه، وقـف أحـد أعضـاء مجلـس الكهنـوت وقـال :

ـ نحـن نعـرف سـيدي القـاضي أن الإصابـة البسـيطة لا يمكــن أن تــؤدي إلى الوفــاة !!!

قاطعـه كبـير خُـدام المعبـد قائـلا إلا إذا كانـت أداة القتـل مسـمومة سـيدي القـاضي .

بينـما كان كبـير خُـدام المعبـد يـدلي بشـهادته، وأعضـاء مجلـس الكهنـوت يحاورونـه لإبطـال شـهادته ضـد الكاهـن الأعظـم، كان الرجـل الـذي أشـار إليـه كبـير خـدام المعبـد قبـل الإدلاء بشـهادته يبحـث هـو ورجالـه في غرفـة الكاهـن الأعظـم عـن دليـل إدانـة واضـح لا لبـس فيـه ولا غمـوض، بينـما هـم يبحثـون بسرعـة عـن الدليـل في كل ركـن في الغرفـة، صـاح أحدهـم بعـد أن فتـح خزينـة ملابـس الكاهـن الأعظـم :



ـ سيدي، هناك سهم صغير موجود هنا، يصلح كأداة قتل !!!

التفت إليه وقال بسرعة :

ـ إياك أن تلمسه ربما يكون مسموما .

اقترب منه ثم التقط السهم ووضعه بحرص في جيب ردائه وأسرع يشق طريقه إلى ساحة المحاكمة .

كان السِّجال قد وصل إلى أشده في الحوار الدائر بين قاضي القضاة وأعضاء مجلس الكهنوت من جهة ، وبين كبير خُدام المعبد من جهة أخرى، وكان الملك الأب يجلس في وسط المنصة الرئيسية ويبتسم في هدوء كلما رأى كفة كبير خُدام المعبد هي الأرجح، كان الملك الأب يرى أن أعضاء مجلس الكهنوت يتبارون في الدفاع عن كبيرهم لأسباب عدة وعلى رأسها، أن هذه هي المرة الأولى في تاريخ المملكة التي يتهم فيها الكاهن الأعظم بالخيانة، وأن عليهم مساعدة كبيرهم في الخروج من هذا المأزق حتى لا تتزعزع مكانتهم بين أوساط العامة ، وينفرد الملك الأب وولي عهده بالسلطة ، ومن ثم يتغول عليهم ويصبحون تابعين للملك وليسوا ندا له كما جاء في قانون المملكة .

انتبه الحاضرون حينما عاد الرجال الذين كانوا يبحثون عن دليل يدين الكاهن الأعظم، حينئذ قال كبير خُدام المعبد :



ـ سيدي قاضي القضاة، لقد أرسل «الباري» الدليل على خيانة الكاهن الأعظم لمولاي الملك الأب وللمملكة وأشار لعامة البسطاء الذين كانوا يحضرون المحاكمة وأيضا لهؤلاء .

عاد كبير خُدام المعبد إلى مكانه ما إن فرغ من شهادته .

نظر قاضي القضاة إلى الأنبوب والسهم الموضوعان أمامه على المنصة وسأل :

ـ أين كبير الأطباء ؟

وقف رجل كان يجلس على منصة الشهود وقال :

ـ أنا سيدي القاضي .

ـ ماذا يوجد في هذا الأنبوب ؟

ـ توجه كبير الأطباء إلى منصة القضاء

وقال نعم الأنبوب يحوى سما قاتلا لحية رقطاء

تعيش في بحيرات خط الاستواء

قطرة واحدة منه في الشراب أو الغذاء

تحيل الضحية إلى أشلاء

ما إن تلمس جوف الضحية تصاب بالإعياء

وتسقط على الأرض تنزف الدماء

قطرة واحدة منه حوّلت الجمل إلى فناء

ولم نتوصل بعد لدواء





الحكم

نظر قاضي القضاة إلى منصة الشهود وسأل مخاطبا كبير الطهاة :

ـ هل لك من كلمة أخيرة ؟

ـ نعم سيدي القاضي .

ـ كانت أيامي الأخيرة بالغة السوء وسوداء

إن لم أطع الخائن، دفع ولدي الجزاء

وإن أطعته، ضاع من نفسي الوفاء

أصر كبير رجال المعبد من الخدماء

أن ألتقي الملك الأب في الخفاء

ليتأكد بنفسه من صدق الكلام أم هو إدّعاء

ولما حدثته عما جرى، أعرب عن بالغ الاستياء



وأصر على أن يشهد بنفسه اللقاء

ولما دعاني كبير الكهنة «خباء»

للقائه بعيدا عن الأعين ذات مساء

شهد الملك اللقاء حيث كان يقف في الخفاء .

شعر الوقوف بصدق كلمات كبير الطهاة وبعدالة الملك الأب الذي لم يصدر أمره بالقبض على الكاهن الأعظم بتهمة الخيانة العظمى وإنما تحقق بنفسه مما قاله كبير الطهاة فصاحوا عاليا الموت حتما للخيانة جزاء .

أشار قاضي منصة القضاء للوقوف في تزاحم دون استثناء، بالتزام الصمت أو الانصراف من الساحة البيضاء، ثم استشار زملاءه على منصة القضاء وقال في صوت جهوري :

يتم تجريد الكاهن الأعظم من ألقاب مملكة « ساموراء»، ثم دعاه للوقوف والتوقف عن البكاء قائلا :

ـ لك كلمة أخيرة قبل النطق بحكم القضاء .

نظر الكاهن الأعظم «خباء» لقاضي القضاة وقال يحدث نفسه :

لم يكن أمامي من سبيل، فوجود السهم الذي قتل به مساعدي في خزينة ملابسي، إن لم يؤكد أنني القاتل، فهو على الأقل لا يبعد شبهة القتل عني، وهذا الأنبوب الذي



يحـوي السـم القاتـل هـو دليـل عـلى أنني لم أخطـط فقـط لاغتيـال الملـك الأب، بـل سـعيت لذلـك في خطـوات فعليـة واتفقـت مـع مـن ينفـذ، لقـد حـاول أعضـاء مجلس الكهنـوت إبعـاد تهمـة الخيانـة عنـي، لم يكـن هدفهـم شـخصي أنـا وإنـما كانـوا يدفعـون التهمـة عـن ذلـك المركـز الديني، فكيـف يتأتـى للكاهـن الأعظـم أن يقـود خيانـة ضـد الملـك الأب، هـذه سُـبة في جبينـي وجبـين مجلـس الكهنـوت .

الأمـر الـذي لاشـك فيـه هـو أن أعضـاء مجلس الكهنـوت سـوف يتخلـون عنـي عاجـلا أم آجـلا وسـوف يتـبرءون ممـا فعلتـه كـي يبرئـون سـاحتهم وسـاحة المعبـد مـن هذه الـشرور .

حتـى هـذه اللحظـة ـ أي قبـل نطـق حكـم قـاضي القضـاة ـ يسـتطيعون تقديـم التـماس للملـك الأب بالعفـو عنـي والاكتفـاء بتجريـدي مـن لقـب الكاهـن الأعظـم، بـل أبعـد مـن ذلـك، فهـم يستطيعون التدخـل بعـد النطـق بالحكـم ؛ لأن الأمـر سـيكون في يـد الملـك الأب وفي أيديهـم، إن شـاءوا أن ينقـذوني فسيناشـدون الملـك العفـو عنـي وإن اكتفـوا بـما فعلـوه في المحاكمـة فسـتكون هـذه هـي النهايـة .

لا ..... لا.... هنـاك سـبيل آخـر مـن الممكـن أن أسـلكه أنـا بنفـسي !!! .....أن أسـتعطف أنـا الملـك، وإنهـا لكبـيرة عـليَّ، بـدلا مـن أن أصبـح أنـا الكاهـن الأعظـم شريـكا للملـك الأب



ونـدا لـه، ملكتـه بفعلتـي هـذه، ليـس أمـري فقـط بـل رقبتـي أيضـا، وأنـا الآن أنتظـر عفـوه وعطفـه عـليَّ، بإشـارة واحـدة مـن إصبعـه سـينفذون الحكـم ـ ووضـع رأسي في المقصلـة التـي سـتفصل رأسي هـذا عـن جسـدي ـ إن تجريـدي مـن ألقـابي الكهنوتيـة تعنـي أني أقـرب الآن إلى المقصلـة مـن أي وقـت آخـر مـضي، عـليَّ الآن أن أبـذل قصـارى جهـدي في أن أسـتدر عطـف الملـك، كـي يعفـو عـما فعلتـه، وعـما كنـت أنـوي فعلـه، فقلـت بنـبرة مليئـة بالـذل والهـوان :

ـ مولاي الملك، لن أطلب عفوا بل أطلب الجزاء

أعماني الطمع وفقدت البصيرة وكفاني ازدراء

أنا أخطأت وأنت بالغ العطاء

جُبلنا على الخطأ وأنت على الكرم والسخاء

كانـت هـذه آخـر كلـمات قلتهـا قبـل أن ينطـق الملـك الأب بـما يـراه، لقـد دانـت لـه السـيطرة ونحـن الآن جميعـا في قبضتـه إن شـاء أفلتنـا وإن شـاء أحكمهـا علينـا .

تعالـت همهـمات النـاس وهـم يروننـي أذرف دمـع النـدم أمـام الملـك الأب، وأكاد أزعـم أننـي اسـتطعت أن أؤثـر فيهـم بشـكل أو بآخـر، حتـى القضـاة انقسـموا عـلى أنفسـهم، بعضهـم رأى أن جـزاء الخيانـة هـو المـوت، والبعـض رأى أنـه يجـب الترفـق في الحكـم عـلى الكاهـن



الأعظم، وأخيرا حسم الملك الأب الحكم في القضية .

أشار بيده فصمت الكل بلا استثناء

وقال : يطرد كبير الكهنة «خباء»

خارج مملكة «ساموراء»

على أن يترك في تابوت في العراء

دون سلاح أو ماء أو غذاء

إن أكلته الضواري فهذا حكم القضاء

وإن عاش فتلك مشيئة رب السماء

لقد استطاع الملك الأب أن يخدع كل من شهد المحاكمة، فقد أوهم البسطاء والعامة بأنه قد عفا عني بعد أن ذرفت الدمع وأعلنت عن ندمي الشديد على ما فعلته، وفي نفس الوقت استطاع بهذا الحكم أن يستحوذ على مشاعرهم .

برغم أن الأدلة كلها كانت ضدي إلا أنه في الظاهر وأمام الناس عفا عني، ولكن في جوهر حكمه، لقد حكم عليَّ بالموت البطيء والذي لا يتسم بأي رحمة، لقد استطاع الملك الأب أن يفوز بالجولة الثانية وينتصر عليَّ وعلى سلطة الكهنوت، لقد استطاع بحكمه هذا أن يستحوذ على مشاعر الناس في المملكة وأن يجعلهم ظهيرا له .

قانون ساموراء

في اليوم التالي، جلس الملك الأب في حديقة القصر بعد أن قضي ساعة في التريض على الحشائش الخضراء كعادته، كان يسترجع الأحداث التي مرت خلال اليومين الماضيين، لولا وفاء كبير الطهاة لما كان يجلس في هذا المكان وإلى جانبه يقبع كلبه الوفي، لقد تخلص الآن من أكبر عقبة كان من الممكن أن تقف في طريق تحقيق حلمه في الحفاظ على ملك الآباء، نعم لقد تخلص من ذلك الكاهن الخائن، وسوف تمر فترة طويلة قبل أن تسول لأحد من أعضاء مجلس الكهنوت نفسه لخيانته، عليه الآن أن يسرع الخطى لكي يضمن لابنه الأمير «علاء» الاستمرار على عرش هذه المملكة .

لقد ظننت أنه باختياري الأميرة «ذات الرداء» زوجة للأمير «علاء» أكون قد قطعت شوطا كبيرا في الوصول



لهـدفي وهـو الحفـاظ عـلى ملـك الآبـاء والأجـداد، ولكـن الأحـداث الأخـيرة أثبتـت أن الأيـام تحمـل الكثـير مـن المفاجـآت، عـليَّ الاسـتعداد جيـدا لمـا قـد يحـدث مـن مفاجـآت غـير سـارة، ربـما أجـد مقاومـة مـن أعضـاء مجلـس الكهنـوت، ولا أحصـل عـلى موافقتهـم عـلى تغيـير هـذا القانـون الـذي يقـف عقبـة ضـد اسـتمرار حكـم عائلـة «سـاموراء» عـلى عـرش المملكـة، ولكـن مـاذا لم يوافـق أعضـاء مجلـس الكهنوت بالإجمـاع عـلى تغيـير هـذا القانـون، أو حتـى الموافقـة بالأغلبيـة عليـه، يجـب البحـث عـن حلـول بديلـة لإقناعهـم بالموافقـة قبـل أن ألجـأ لحلـول بديلـة قـد تتسـم بالعنـف أو لي الأذرع .

ـ هـل أبـدأ مـن الآن الضغـط عـلى أعضـاء مجلـس الكهنوت، لكـى أنتـزع موافقتهـم، أم أقـوم باسـترضائهم أولا، ولكـن لمـاذا أحـاول ذلـك الآن، فأنـا أشـعر بـأني أقـوى مـن أوقـات كثـيرة مضـت، لقـد حـان وقـت قطـف الثـمار بهـدوء، هـذا هـو مـا أميـل إليـه .

أشار لخادمه الخاص، فاقترب مسرعا من مجلسه .

ـ أمر مولاي

ـ أين الأمير «علاء» ؟

ـ في جناحه الخاص مولاي .

ـ أرسل في استدعائه .

ـ سمعا وطاعة مولاي .

ما إن غادر خادم الملك المكان حتي سأل نفسه :

ولكن متى سنعيد الأميرة «ذات الرداء»، هل أطلب من الأمير «علاء» إعادتها الآن ؟ أم بعد أن نحصل على موافقة أعضاء مجلس الكهنوت على تغيير القانون، أم بعد تغيير القانون فعليًا ويصبح هذا أمر واقع وعليها وعلى أبيها تقبله ؟

وما سيكون رد فعل أبيها على زواج الأمير «علاء» من غير ابنته، حتما سيدرك أن ابنته لن تكون الملكة الأم في يوم من الأيام، وسيحسب ذلك صفعة على وجهه ...... بالتأكيد هي صفعة، ردا على خداعنا جميعا، لم يصارحنا بحقيقة مرض ابنته والذى سيمنعها من حمل جنين في أحشائها .

تحرك الأب قليلا وهو يجلس في مقعده ثم فرد ذراعيه وأخذ نفسا عميقا من الهواء العليل وقال محدثا نفسه :

ـ لم أشعر منذ فترة بالسعادة والغبطة كما أشعر بها الآن، سأستطيع أن أحقق أهدافي كلها بضربة واحدة وأرجوا ألا تكون للباري مشيئة أخرى تتعارض مع مشيئتي، أو تقف حجر عثرة في سبيل تحقيق أحلامي !!!



انتبه الملك الأب على صوت الأمير «علاء» .

ـ عمت صباحا يا أبتي .

ـ اجلس يا بني، أريد أن أتحدث معك فيما هو قادم، لأنه سيكون الأخطر بكثير مما مضى، الخطر الماضي كان يستهدفني أنا على الأخص، محاولات وضع السم في الغذاء أو الشراب لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة، لقد تعرض العديد من الملوك للمكائد السوداء، تارة بنصب الفخاخ في المتنزهات الخضراء، وتارة بوضع الثعابين السامة في المضاجع البيضاء، وتارة ثالثة بسهم طائش يسقط من علياء .

ـ ربما ياولدي ستتعدد هذه المحاولات في الأيام القادمة لأسباب كثيرة ، وعلى رأسها ستكون محاولتي الجادة لتغيير قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء، أعتزم الانتهاء من هذا القانون في أسرع وقت، وسيتحقق ذلك عن طريق انتزاع موافقة مجلس الكهنوت اليوم قبل الغد، حتي لا يعيدوا ترتيب أوراقهم مرة أخرى ويقفون مجتمعين ويدا واحدة ضد تغييره، لأنه سيحد من سلطات أعضاء مجلس الكهنة، وفي نفس الوقت سيقضي على أحلامهم وطموحاتهم في الجلوس على عرش مملكة «ساموراء» .

لذلك علينا الاستعداد جيدا للدخول في صراع خفي معهم، إن اختيار التوقيت كان حتى وقت قريب رفاهية لم



تكـن متاحـة للجميـع، ولكـن حينـما حدثـت خيانـة الكاهـن الأعظـم أصبـح التوقيـت ضرورة وليـس ترفـا أو رفاهيـة .

ألا تـرى يـا أبتـي أن الدخـول في صراع جديـد الآن لـن يكـون في صالحنـا ؟

ـ ياولـدي أعضـاء مجلـس الكهنـوت في أضعـف حالاتهـم الآن، لقـد انتهينـا في التـو مـن محاكمـة كبيرهـم بتهمـة الخيانـة العظمـي، وهـذه الجريمـة لوثـت ليـس فقـط مكانتـه هـو بـل طالـت جميـع أعضـاء مجلـس الكهنـوت، وجعلـت العامـة والبسـطاء يدركـون الحقيقـة المهمـة وهـي أن الكاهـن في النهاية، ليـس مـلاكا، وليـس نصـف إلـه، إنـه إنسـان .

في الفـترة الأخـيرة يـا ولـدي تغولـت سـلطة الكهنـة وحصلـوا عـلى مكانـة أرفـع بكثـير ممـا يسـتحقونه، أصبحـوا نـدا للملـك، وفي أحيـان كثـيرة كانـوا يعارضـون أراءه جهـرا وهـذا الأمـر، كان يحـط مـن قـدره ومكانتـه بـين أبنـاء شـعبه، لقـد اسـتغلوا ضعـف بعـض الملـوك مـن عائلـة «سـاموراء» لبسـط سـيطرتهم عـلى البسـطاء .

ـ الـذي لاشـك فيـه الآن أن جريمـة الخيانـة العظمـى المنسـوبة لكبيرهـم سـتجعل النـاس يفصلـون بـين الـرداء أو قـل العبـاءة التـي يرتديهـا الكاهـن خـلال أداء الصلـوات وقـراءة التراتيـل في المعبـد، وبـين نوازعـه الداخليـة مـن الطمـع



والجشـع واسـتعداده أحيانـا للقتـل مـن أجـل الحصـول عـلى مـا يريـد .

ـ علينـا إذن الدخـول مبـاشرة في الأمـر التـالي، حتـى لا نفقـد مـا اسـتطعنا الحصـول عليـه مـن مكاسـب .

ـ هل ترى أن هذا سيفيدنا فيما نصبوا إليه ؟

ـ بـلا شـك يـا أبتـي، هنـاك أمـر آخـر، أفضـل ألا أتوجـه الآن إلى مملكــة «بــراء»، ســأبعث رســولا إلى الأمــيرة «ذات الــرداء» لإبلاغهـا بـأن الأمـور لا تسـير عـلى مـا يـرام، وأن الأوضـاع في توتـر مسـتمر ولذلـك سـوف أمكـث هنـا بضعـة أيـام، حتـى ننتهـي مـن تعديـل هـذا القانـون .

ـ حسنا فعلت يا بني، ثم استدار لخادمه الخاص وقال :

أرسـل في اسـتدعاء كبـير خُـدام المعبـد، ثـم التفـت إلى الأمير «عــلاء» وقال :

ـ نحتـاج الآن يـا ولـدي إلى دعمـه المبـاشر والغـير مبـاشر كـي نصـل إلى نقطـة النهايـة .

نعـم يـا أبتـي، فهـو شـديد الـولاء لنـا، هـو أيضـا عـين العــرش داخـل المعبـد .

ـ سـأطلب منـه عقـد اجتـماع مـع مجلـس الكهنـوت مسـاء اليـوم، لمناقشـتهم في أمـور كثـيرة ومـن بينهـا تداعيـات خيانـة



الكاهن الأعظم على مستقبل المملكة، وأطلب منهم البدء في تغيير قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء .

ـ ولكن يا أبتي لماذا لا نجعلها مشكلة عامة، إن لم نعالجها سيتدهور الحال في المملكة، ومن واقع سلطتهم الدينية عليهم إيجاد الحلول المناسبة قبل أن تقترح عليهم أنت الحل وهو: ـ تغيير قانون الزواج الثاني للأمراء ـ .

نظر الملك الأب للأمير «علاء» نظرة إعجاب برأيه وقال :

ـ حسنا يا ولدي هذا أفضل .

سأصعد الآن لمباشرة بعض الأمور .

بينما الملك الأب يراجع بعض الأوراق في جناحه الخاص، دخل خادمه الخاص وأدى التحية له بانحناءة ثم قال :

ـ مولاي الملك، كبير خُدام المعبد ينتظر تفضلك بالسماح له بالدخول .

ـ دعه يدخل الآن .

دخل كبير خُدام المعبد ثم أدى التحية للملك وقال :

ـ أمر مولاي .

أريد أن أجتمع بأعضاء مجلس الكهنة هذا المساء .



ـ موعد لقاءك الأسبوعي بهم مولاي يحين في الغد .

ـ لا سيكون هذا الاجتماع استثنائيا، لبحث تعديل قانون الزواج الثاني للأمراء والملوك، كم كاهن منهم سوف يكون إلى جانبنا .

ـ على الأقل نصف عدد المجلس .

ـ أريد أن يكون صوتي هو المرجح في النهاية .

ـ سأبذل قصارى جهدي مولاي الملك .

ولا أريد أن يبدو الأمر هزليا، أريد أن يكون على الأقل سبعة كهنة في جبهة الرفض، وبعد مناقشات حامية الوطيس، أن يتراجع اثنان من السبعة وينضموا إلى الجبهة المؤيدة لتعديل القانون ، مع الأخذ في الاعتبار أن الجائزة التي سيحصل عليها الكهنة المؤيدين سوف تتجاوز طموحاتهم .

ـ سمعا وطاعة يا مولاي .

هناك أمر آخر، كيف يرى الكهنة ما حدث من الكاهن الأعظم ؟

ـ يتبرؤون مما فعله ، ولكنهم في ذات الوقت كانوا يريدون من مولاي الملك الاكتفاء بتجريده من الألقاب الكهنوتية ومن ضياعه وأملاكه، مع تركه يعيش في المعبد، لا يغادره إلا في تابوت إلى القبر .

ـ دعني أفكر في الأمر

أدى كبير خُدام المعبد التحية للملك الأب من خلال انحناءة ورَفع اليدين في مستوى الكتف قريبا من الأذن، ثم عاد إلى الخلف خطوات إلى أن أصبح قريبا من باب جناح الملك، خرج متوجها إلى المعبد لإبلاغ أعضاء مجلس الكهنوت برغبة الملك الأب في لقائهم مساء اليوم، ما إن خرج كبير خُدام المعبد من جناح الملك الأب، لمعت عينا الملك من النشوة والإحساس بقرب الحصول على الجائزة والوصول إلى الهدف المنشود، لقد جاءه الحل على طبق ليس من الفضة بل من الذهب الخالص، سوف يناور أعضاء مجلس الكهنة بورقة الكاهن الأعظم، أي أنهم إن أبدوا اعتراضا على ما سيطلبه منهم أو تذمرا سيقترح عليهم في المقابل ألا يصدر أمره الملكي بتنفيذ حكم وضع الكاهن الأعظم في تابوت وإلقائه في الأحراش للضواري .

وسوف ينقل إليهم هذا الأمر على أنه تلبية لرغبة ملحة نقلها إليه كبير خُدام المعبد، وأنه استجاب لهذه الرغبة إكراما لمكانتهم عنده .

بعد أن استعرض الملك الأب هذه الفكرة في رأسه، أخذ يستعرض مواقف الكهنة معه منذ أن تولى زمام الأمور في المملكة، فهو لم يثق على الإطلاق في كبير الكهنة السابق «خباء»، كان لديه إحساس دفين بأنه يكرهه ويتمنى قدوم

اليـوم الـذي يمكنـه أن يتخلـص فيـه منـه، ولكـن الملـك الأب لم يـدرك حجـم هـذه الكراهيـة إلا عندمـا رآه وهـو يسـلم كبـير الطهـاة أنبـوب بـه سـم زعـاف وطلـب منـه أن يضـع نقطـة واحـدة عـلى وجبـة الملـك المفضلـة .

قـال الملـك الأب في نفسـه، لـن أنكـر وأنـا أحـدث نفـسي، أننـي كنـت أتمنـي ألا يرتقـي الكاهـن الخائـن «خبـاء» سـلم الكهنـوت إلى أن يصـل إلى درجـة الكاهـن الأعظـم، ولكـن مشـيئة «البـاري» أرادت أن يُتـوفي الكاهـن الأعظـم في الوبـاء الـذي اجتـاح المملكـة وأن يخلفـه طبقا للطقـوس الكهنوتيـة نائبه «خبـاء»، أمـا مشـاعري تجـاه أعضـاء مجلـس الكهنـوت واحـدة، فهـم رجـال ديـن متفرغـون للعبـادة، وليسـت لهـم أي مطامـع في العـرش، ولكـن ليـس معنـى ذلـك أنهـم سـوف يوافقـون بـلا أدنـى مقاومـة عـلى تعديـل قانـون الـزواج الثـاني للملـوك والأمـراء . وقـف الملـك الأب، ثـم عقـد يديـه خلـف ظهـره وتوجـه إلى الشرفـة الرئيسـية لجناحـه، ثـم عـاد ثانيـة، وبـدأ في جـذب شـعيرات شـاربه برفـق وهـو يقـول بصـوت خافـت :

لا بـد أن أجـد صيغـة مناسـبة لإقناعهـم بالموافقـة عـلى مـا سـأطلبه منهـم، أولا عـليَّ اسـتغلال حادثـة خيانـة الكاهـن الأعظـم بشـقيها المعنـوي والمـادي، عـليَّ أن أؤكـد عـلى أعضـاء مجلـس الكهنـوت ضرورة تغيـير القانـون حتـي لا تتكـرر مأسـاة خيانـة أي عضـو مـن مجلـس الكهنـوت أو مـن خُـدام المعبـد



للملـك المُتـوج عـلى العـرش، وأن أضغـط عليهـم بورقـة العفـو عـن الكاهـن الأعظـم في مقابـل الموافقـة الجماعيـة عـلى تغيـير القانـون .

تتبقـى بعـد ذلـك الصيغـة التـي سـوف أمليهـا عليهـم وهـي (يحـق لـولي العهـد أو للملـك المُتـوج عـلى عـرش مملكـة «سـاموراء» أن يتـزوج للمـرة الثانيـة مـن إحـدى الأمـيرات والتـي تجـرى في عروقهـن الدمـاء الملكيـة، وذلـك في حالـة عـدم إنجـاب زوجتـه الأولى ولي العهـد، أو في حالـة إنجابهـا ولي عهـد غـير آهـل ليكـون ملـكا لمملكـة «سـاموراء» في المسـتقبل، كأن يكـون مريضـا بمـرض عضـال لا شـفاء منـه أو ذو عاهـة تمنعـه مـن إدراك مكانتـه الملكيـة) .

اطمـأن الملـك الأب لهـذه الصيغـة ؛ لأنـه اعتبرهـا صيغـة مرنـة، مـن الممكـن اسـتخدامها للوصـول للهـدف المنشـود مرحليـا .

المواجهة

وقف الملك الأب في جناحه الملكي وإلى جانبه خادمه الخاص يساعده على ارتداء ملابسه، ومن فوقها الإزار الملكي المرصع بالأحجار الكريمة، ما إن فرغ حتى ناوله تاج العرش المزين باللؤلؤ والألماس، فجأة التفت لخادمه وسأله :

ـ ماذا لو لم يوافق أعضاء مجلس الكهنوت على تغيير القانون بهدوء ودون ضجة ؟ بالطبع سوف أمارس ضغوطا أخرى، أقصد سوف أستخدم ورقة الكاهن الخائن، ولكن ماذا لو لم يرضخوا أيضا لرغبتي واستمروا في عنادهم وضحوا به ؟ لابد من إيجاد وسيلة !!

ـ قال خادمه الخاص، رأي مولاي الملك سيكون هو الرأي المرجح في النهاية .



ـ أعلـم ذلـك، ولكـن متـى ؟ يحـدث ذلـك في حـال تسـاوت أصـوات الكهنـة الخمسـة المؤيديـن مـع أصـوات الخمسـة المعارضـين، حينئـذ سـيكون رأي الملـك هـو الفيصـل، ولكـن مـاذا لـو كان المعارضـون هـم الأكثـر عـددا ؟ لـن يجـدي صوتي بـشيء بـل عـلى العكـس سـوف يؤثـر عـلى مكانتـي كملـك لهـذه المملكـة كيـف أرغـب في تحقيـق شيء ولا أسـتطيع تحقيقـه لمجـرد أن مجلـس الكهنـوت يعـارض هـذه الرغبـة، وسـتقوى ثانيـة شـوكة الكهنـة، وسـيعرفون أنهـم بتكتلهـم ووقوفهـم يـدا واحـدة سـوف يعيـد إليهـم قوتهـم التـي ضعفـت بعـد اتهـام الكاهـن الأعظـم بالخيانـة العظمـي، لابـد مـن حسـم هـذا الأمـر مـن جولـة واحـدة، لـن أنتظـر جـولات أخـرى، ولـن أعطيهـم الفرصـة لإعـادة ترتيـب أوراقهـم مـن جديـد .

فـرغ الخـادم الخـاص بالملـك الأب مـن ضبـط هندامـه، تراجـع خطوتـين للـوراء وهـو ينحنـي ويرفـع يديـه لأعـلى قليـلا ويقـول :

ـ أوامـر مـولاي الملـك، ثـم تحـرك في اتجـاه بـاب الجنـاح الملكـي بعـد أن سـمع طرقـا خفيفـا عليـه، ثـم عـاد وقـال :

ـ الكل في انتظار نزول مولاي الملك .

تحـرك الملـك الأب خارجـا مـن جناحـه، متجهـا إلى العربـة الملكيـة عـبر نزولـه درجـات سـلم القـصر .



ما إن ركب العربة الملكية حتى انطلقت تتهادى في طريقها إلى المعبد، ومن أمامها مجموعة من الفرسان يركبون الخيول البيضاء .

طوال الطريق إلى المعبد والملك الأب في حالة تحفز من احتمال أن يَلقى معارضة من أعضاء مجلس الكهنوت، ما إن رأى حراس المعبد الموكب قادما من بعيد حتى فتحوا الأبواب على مصراعيها، دخلت العربة الملكية إلى الساحة الداخلية وتوقفت، نزل منها الملك وهو ينظر للشرفات التي تعلوا البوابة الداخلية، وجه سؤاله لأعضاء مجلس الكهنوت الذين كانوا في استقباله بعد أن صافحهم، أين غرفة الكاهن الخائن ؟

عكس هذا السؤال الغريب والمفاجئ الحالة المزاجية للملك الأب، ووضع مؤشرات كثيرة في أذهان الكهنة أن الأجواء ستكون خلال اجتماعهم بالملك الأب مشحونة بالتوتر الشديد، الملك الأب يعرف جيدا الغرفة التي كان يقطنها الكاهن الأعظم الراحل والذي توفي في الوباء الذي اجتاح المملكة، وكان يقطنها أيضا الكاهن السابق والذي اتهم بالخيانة «خباء» ويقطنها حاليا أيضا الكاهن الأكبر سنا بين أعضاء مجلس الكهنوت إلى أن يتم تنصيبه كاهنا أعظم، هذه الغرفة يقطنها دائما كبير الكهنة، والملك الأب يعرف ذلك، وقد سبق وزار الكاهن الأعظم فيها عندما



كان مريضا بمرض الموت، إذن لماذا يسأل الآن عنها ؟

أجاب أكبر الكهنة سنا في تواضع جم :

ـ إنها الثالثة فوق الأبواب الداخلية مولاي !

أطال الملك الأب النظر إلى الشرفة، كأنما أراد أن يذكر أعضاء مجلس الكهنة بما فعله كبيرهم، ثم تقدم يخطو على السجادة الحمراء وإلى جانبه أكبر الأعضاء سنا وخلفهم أعضاء مجلس الكهنوت متجهين إلى قاعة الاجتماعات .

أراد أكبر الأعضاء سنا أن يخفف من حدة التوتر الموجود في الأجواء فقال :

شرفنا بلقاء جلالتكم في رحاب هذا المعبد من قبل، ونحن الآن على عتبة مرحلة جديدة من تاريخ هذه المملكة ....

لم يكن يقصد بهذه الكلمات القليلة إلا الترحيب بالملك الأب، ولكن الملك قاطعه، والتقط الكلمات الأخيرة وقال :

ـ نعم، هي مرحلة جديدة ! ثم بدأ في الاسترسال قائلا :

ـ سوف تحفرون أسماءكم بحروف من الذهب على جدران هذا المعبد، وسوف يذكركم البسطاء إلى الأبد لما قدمتموه لهم ولما سوف تقدمونه .

صمت الملك لحظات، فاعتقد الكهنة أنها مجرد كلمات ترحيب أراد الملك بها أن يخفف من التوتر الذي سببه سؤاله

عـن شرفـة الكاهـن الخائـن رغـم أنـه يعرفهـا جيـدا، في لحظات صمتـه هـذه كان الملـك ينظـر إليهـم واحـدا واحـدا يحـاول أن يستشـف ردود أفعالهـم المسـتقبلية قبـل أن يلقـي عليهـم برغبتـه في تغيـير قانـون الـزواج الثـاني للملـوك والأمـراء، ثـم عـاد لاسـتكمال حديثـه بنـبرة أقـل حـدة وقـال :

ـ مـرت المملكـة بأحـداث جسـام، كان مـن الممكـن أن تعصـف بهـا وبمـن فيهـا بـما في ذلـك أعضـاء مجلس الكهنـوت وخُـدام المعبـد وغيرهـم كثـيرون مـن البسـطاء مـن أبناء شـعبنا، لقـد إنتـشرت في الآونـة الأخـيرة الدسـائس والمؤامـرات ضـدي وضـد النبـلاء والأمـراء بعضهـم البعـض، وأصـدق دليـل عـلى ذلـك مـا فعلـه الكاهـن الخائـن، عليكـم البحـث عـن وسـيلة مـا ليـس للقضـاء عـلى الدسـائس والمؤامـرات ضـد العـرش وضـد مـن يجلـس عليـه، ربـما يكـون مسـتحيلا القضـاء نهائيـا عليهـا ، ولكـن عليكـم البحـث عـن وسـائل لحمايـة العـرش والملـك ممـا يحـاك ضدهـم .

ـ أجتمـع بكـم اليـوم للبحـث عـن حلـول للمشـاكل التـي تفاقمـت مؤخـرا، وكانـت سـببا رئيسـيا في دفـع الكاهـن الخائن لمحاولـة التخلـص منـي ومـن ولي العهـد والاسـتيلاء عـلى العـرش، توقـف الملـك عـن الحديـث لحظـات لكـي يسـمع آراءهـم فيـما يخـص حمايـة الأسرة الملكيـة .



قال أكبر الأعضاء سنا :

ـ علينـا إذن تغليـظ العقوبـة في القوانـين المعمـول بهـا ! لكـي تكـون رادعـة وتدفـع كل مـن تسـول لـه نفسـه بالخيانـة للتفكير مـرات ومـرات قبـل الإقـدام عـلى فعلتـه .

رد الملك بتهكم :

ـ هـل هنـاك عقوبـة أقسـى مـن عقوبـة الوضـع في تابـوت وإلقائـه في الأحـراش يـا كبـير الكهنـة !!! ألم يكـن الكاهـن الخائـن يعلـم بـما ينتظـره مـن عقوبـة في حـال فشـل مؤامرتـه ؟

ـ عفوا مولاي

بلهجة حادة لا تخلوا من صيغة الأمر :

ـ أجيبـوا عـن سـؤالي هـذا قبـل أن يسـوق أحدكـم المـبررات أو الحجـج .

رد جميع أعضاء مجلس الكهنوت في آن واحد :

ـ بـل كان يعلـم ! فالعقوبـة معروفـة في القانـون ولا يسـتطيع أحـد مـا التدخـل فيهـا سـواء بالإلغـاء أو التخفيـف إلا جلالتكـم .

ـ إذن مالـذي دفعـه لفعـل ذلـك، رغـم أنـه يعلـم عقوبـة الخيانـة ؟



ـ إنها آفة الطمع وشهوة السلطة مولاي .

ـ إذن فتغليظ العقوبة لن يؤتي بأي نتيجة نرجوها دون معالجة المشكلة نفسها، ولكن كيف سنعالج مشكلة آفة الطمع وشهوة السلطة . إنها أصيلة في النفس البشرية، والقانون الذي نصوغه يهدف للسيطرة على جموح تلك الشهوات والآفات في النفس البشرية، ولكن الوضع مختلف بالنسبة لرجل الدين فهو الذي يحث الناس على الفضيلة .

نظر أعضاء المجلس الكهنوتي لبعضهم البعض في دهشة، لم يعتقدوا أن طلب الملك الأب الاجتماع بهم، هدفه الحديث عن شهوة السلطة وآفة الطمع والفضيلة .

كان الجميع في حالة دهشة من حديث الملك إلا واحدا، هو كبير خُدام الملك . لقد طلب الملك حضوره استثناءً .

البروتوكول المعمول به في المعبد هو حضور أعضاء مجلس الكهنوت فقط، إذا طلب الملك الاجتماع بهم، وحضور أعضاء خُدام المعبد دون غيرهم في حالة طلب الملك الاجتماع بهم

ولكن في هذا الاجتماع استثنى الملك الأب كبير خُدام المعبد لحضور هذا الاجتماع مع أعضاء مجلس الكهنوت على غير المعمول به في البروتوكول، ولقد أثار هذا الأمر العديد من التساؤلات في أذهان أعضاء مجلس الكهنوت



عـن سـبب حضـوره إلى جانبهـم، ولكـن أحـدا منهـم لم يفصـح عـما يـدور في ذهنـه .

لقــد أدرك كبــير خُــدام المعبــد أن ســؤال الملــك لــه قبــل ســاعات عــن رؤيــة أعضــاء مجلــس الكهنــوت لمــا حــدث مــن الكاهــن الأعظــم، لم يكــن ســؤالا عفويــا، إن الملــك يرتــب لــشيء مــا لم يفصــح عنــه بعــد، بــل هــو في ذهنــه وأنــه عــلى وشــك أن يتخــذ قــرارات مهمــة، ولكــن مــا ينقصــه لاتخــاذ القــرار الصحيــح هــو معرفــة حقيقــة مشــاعر أعضــاء مجلــس الكهنــوت تجــاه مــا فعلــه كبيرهــم .

كانــت ابتســامة كبــير خُــدام المعبــد هادئــة للغايــة، لم يلحظهــا أحــد ســوى كاهــن عجــوز كان يجلــس بجانبــه، نظــر إليــه بطــرف عينــه ثــم عــاد ينظــر للملــك الأب الــذي أطنــب في المقدمــة التــي تســبق جوهــر مــا يعنيــه، ثــم ســألهم :

ـ هل لأحدكم رأي آخر ؟

رد كبيرهــم بصــوت يــكاد لا يكــون مســموعا في محاولــة لإعــادة جــو الــود إلى قاعــة الاجتماعــات قائــلا :

ـ عفــوا مــولاي الملــك، رجــل الديــن في النهايــة هــو بــشر، حتــى ولــو كان الكاهــن الأعظــم، هــو ليــس بإلــه، وليــس معنــي أنــه أخطــأ أن ينعكــس ذلــك بالســلب عــلى جميــع أعضــاء مجلــس الكهنــوت



ضحك الملك الأب ضحكة سخرية من حديث الكاهن وقال منفعلا وبصوت مرتفع :

ـ هل تسمي ما فعله كاهنكم الأعظم خطيئة، إنها جريمة بكل ما تعنيه الكلمة .

ـ عفوا جلالة الملك، لقد فهمنا من حديث كبير خُدام المعبد ومن الرسالة التي نقلها لنا، أن جلالتكم، تفكر في تخفيف العقوبة على الكاهن الأعظم .....

قاطعه الملك، تقصد الخائن ؟

ـ أقصد هذا يا مولاي .

ـ لقد ناشدني كبير خُدام المعبد باسمكم وباسم خُدام المعبد أن أعفو عن الكاهن الأعظم ولقد وعدته بدراسة هذا الأمر، ولكن قبل أن أحسم هذا الأمر عليَّ أن أحسم أمورا أخرى، لقد سألت نفسي كثيرا ما الذي شجع الكاهن الخائن على الاستمرار في مؤامرته، بالتأكيد القصور الموجود في القانون، علينا أن نعي الحقيقة المهمة، وهي أنه ليس في صالح العرش ولا المملكة كلها بما في ذلك أعضاء مجلس الكهنوت، وخُدام المعبد أن نجد عوارا في أحد القوانين ثم نتركه ، أو نتعامل معه على أنه إرث لا ينبغي الاقتراب منه أو تعديله، بما أن القانون المعمول به حاليا لم يضع حدا فاصلا بين الملوك



والكهنة، علينا أن نقوم نحن بوضع هذه الحدود الفاصلة .

ـ ولكن مولاي الملك هذه القوانين معمول بها منذ عشرات .... لا بل منذ مئات السنين .

ـ لن أعيد ما قلته آنفا، لابد من تغيير بعض النصوص .

أدرك الحاضرون في القاعة ما يعنيه الملك، طلب أحد الكهنة الحديث، ولما أذن له قال :

ـ جلالة الملك، المكانة الدينية للكاهن هي من أرفع المراتب، ليس معنى أن الكاهن الأعظم السابق قد تعامل بدونية مع مكانته وانساق وراء مطامعه وشهواته أن ينعكس ذلك بالضرورة على أعضاء مجلس الكهنوت بالكامل، ولكي نتجنب ذلك القصور علينا أن نغير قانون معمول به منذ قام الملك «ساموراء الأول» بوضعه جنبا إلى جنب الكاهن الأعظم آنذاك

قال الملك بنبرة حادة :

ـ تغيير القانون أمر حتمي .

ـ أي قانون يقصد مولاي تغييره، هناك قوانين كثيرة تحكم العلاقات بين الناس في المملكة .

ـ إنه قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء .



ـ ولكن ما دخل هذا القانون بجريمة الكاهن الأعظم؟

ـ أرى أنــه الــذي دفــع الكاهــن الأعظــم للاســتمرار في جريمتــه، الكاهــن الخائــن كان يســعى للتخلــص منــي عــن طريــق وضــع الســم في الغــذاء، ثــم التخلــص مــن الأمــير «عــلاء» وبعــد ذلــك تنتقــل ســلطة العــرش إليــه بشــكل تلقائــي، ألا تــرون أن تعديــل المــادة التــي اعتمــد عليهــا الكاهــن الخائــن في الوصــول لهدفــه الــدنيء هــو أمــر في غايــة الأهميــة .

ـ معنــى ذلــك مــولاي الملــك أن نحــرم أعضــاء مجلــس الكهنــوت مــن حــق أصيــل لهــم نــص عليــه قانــون تأســيس المملكــة ؟

تجاهــل الملــك الــرد عــلى ســؤال أحــد الكهنــة، وقــرر أن يبــدأ هــو بالهجــوم دون هــوادة فوجــه إليهــم ســؤالا بصــورة مفاجــأة بعــد أن أتــم حديثــه عــن تغيــير القانــون وقــال :

ـ من يعارض هذا التغيير ؟

ـ رفــع ســبعة أعضــاء مــن عــشرة أيديهــم لأعــلى، علامــة عــلى الرفــض

تدخل بسرعة كبير الكهنة سنا وقال :

ـ هــل يســمح لنــا جلالــة الملــك بفســحة مــن الوقــت لكــي نتناقــش في بعــض التفاصيــل ؟



ـ قبل أن أسمح بذلك سوف أعيد تذكيركم بما حدث وبما دفع الكاهن الخائن إلى القيام بما فعله.

ـ علينا أن نعي الحقيقة المهمة وهي أنه ليس في صالح العرش ولا المملكة كلها أن نجد عوارا في أحد القوانين ثم نتركه، أو نتعامل معه على أنه إرث لا ينبغي الاقتراب منه أو تعديله، بما أن القانون المعمول به حاليا قد وضع حدا فاصلا بين سلطة الملك وسلطة الكاهن، إذن لماذا يتطلع الكاهن الأعظم لأن يتخطي سلطته .

بعد أن أنهى الملك الأب حديثه قام واقفا وقال :

ـ أحتاج لبعض الراحة على أن تستكملوا مناقشاتكم، وسأعود بعد قليل !

بعد أن خرج الملك الأب من القاعة قال الكاهن الأكبر سنا :

ـ أرى تشبث الملك الأب بإنجاز هذا التغيير، ولما لا...... ولكن بمقابل، مثلا زيادة المخصصات المالية والعينية المقدمة من الملك للمعبد، وأيضا العفو عن الكاهن الأعظم «خباء»؛ لأنه إن أصر على وضعه في تابوت ورماه في الأحراش للضواري فسوف يمس هذا الوضع المزري مكانتنا الدينية ......



قاطعه نائبه قائلا :

ـ أعضـاء مجلـس الكهنـوت الأجـلاء، إن موافقتكـم اليـوم عـلى تعديـل قانـون الـزواج الثـاني للملـوك والأمـراء سـوف يقـضي نهائيـا عـلى فرصكـم في الوصـول إلى كـرسي العـرش إذا حـدث مثـلا مكـروه مـا للملـك الأب، ولم يكـن لـه ولي عهـد أو كانـت لـه مـن نسـله أمـيرات فقـط .

ـ سـأرفض هـذا التعديـل وسـأعلنها صريحـة، لقـد كفـل قانـون «سـاموراء» الأول هـذا الحـق وأنـا أعلـن رفـضي إدخـال أي تعديـل عليـه،

رد آخر قائلا :

ـ وأنـا أيضـا أعلـن تضامنـي معـه، إن إدخـال تعديـل عـلى هـذا القانـون يعنـي صراحـة إنفـراد الملـوك ـ حتـي ولـو كانـوا ضعفـاء ـ بالأمـر والنهـي وبقـاء سـلطة الكهنـوت محصـورة داخـل جـدران هـذا المعبـد وسـيؤدي هـذا عـلى المـدى البعيـد إلى إضعافنـا وفي النهايـة سـيصبح الكهنـة مجـرد أدوات في أيـدي الملـوك أو قـل دُمـي .

وقال ثالث :

ـ تعودنـا عـلى أن نتناقـش في هـذا المـكان بحريـة شـديدة، سـواء كنـا مؤيديـن أو معارضـين لأي قـرار، ولكـن الوضـع مختلـف الآن، واضـح لـكل منـا أن الملـك الأب عـازم عـلى



إجـراء هـذا التعديـل، في سـابقة لم تحـدث مـن قبـل، لقد اسـتغل الملـك الأب مـا حـدث مـن الكاهـن «خبـاء» لكـي يغـير مـن قانـون اللعـب، والفرصـة الآن متاحـة وإن لم يسـتغلها الآن، قـد لا تتـاح لـه بعـد ذلـك، وهـذا في حـد ذاتـه أمـر مخيـف، لذلـك أعلـن انضمامـي لجبهـة الرفـض .

وقال كاهن رابع :

ـ أنـا أنضـم إلى جبهـة الرفـض لأسـباب أخـرى منفصلـة عما قلتمـوه، إن العبـث بالقوانـين المؤسِسـة لهـذه المملكـة سـوف يفتـح البـاب أمـام الملـوك القادمـون لإمـلاء رغباتهـم ولـو حتى كانـت جائـرة، إلى الآن لم يحدثنـا الملـك الأب عن أسـباب منطقية لتعديـل، أو لتغيـير قانـون الـزواج الثـاني للملـوك والأمـراء، إنــه يقــول إن تغيـير القانــون ســيضع حــدا لجمــوح رغبـات الكهنـة، ومعنـي هـذا أن التعديـل الـذي يريـده الملـك سـيكون عقابـا لنـا عـلى مـا فعلـه الكاهـن الأعظـم، ولكـن إذا ارتكـب الملــك خطــأ مــا ســواء ســهوا أو عــن عمــد، هــل ســيطلب مجلـس الكهنـوت تغيـير القانـون بحيـث يحـد مـن سـلطات الملـك ؟ أتـرك لكـم الإجابـة عـن هـذا السـؤال، لأن الإجابـة عنـه سـوف تضـع أرجلنـا جميعـا عـلى الطريـق الصحيـح .

بينـما كان الكهنـة يتحـاورون ويتناقشـون ويسـتعرضون آراء بعضهـم البعـض، ويفنـدون الحجـج والبراهـين، كان الملـك الأب يجتمـع مـع كبـير خُـدام المعبـد .



ـ مولاي الملك سيكون كل شيء على ما يرام !

ـ ألا تخشى أن يحنث الكهنة بوعودهم لك ؟

ـ لا يا مولاي، بعد أن أعلنت رغبة جلالتكم في تعديل قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء، تحدثت مع كل منهم على انفراد، استطعت أن أستشف ردود أفعالهم، وقلت لهم صراحة :

ـ الملك الأب سيجتمع بكم مساء اليوم، لاتخاذ قرارات مهمة، وجائزة المؤيدين ستتجاوز المدى، البعض وافق دون تحايل أو حتى معرفة ما ستطلبه جلالتكم، والبعض الآخر رفض الإدلاء برأيه قبل معرفة ما ستطلبه منهم، والبعض الآخر رفض، المهم مولاي الملك أن صوت جلالتكم هو الذي سوف يحسم الأمر بعد أن تتعادل الأصوات المؤيدة والرافضة، هذا هو ما تأكدت منه جلالتكم، لقد طلبت من المؤيدين ألا يبدءوا الحديث بالموافقة خلال النقاش مع جلالتكم بل بالرفض أولا ثم العدول عن ذلك وإعلان الموافقة، حتى يبدو الأمر أنهم قد غيروا رأيهم بعد أن استمعوا لآراء أعضاء مجلس الكهنوت .

ابتسم الملك الأب ابتسامة عريضة عكست رضاءه الكامل عما فعله كبير خُدام المعبد وقال :



ـ كنت أعلم أنك أهل لها، وأنك سوف تنجح في مهمتك .

بينما هما يتحدثان، دخل أكبر الكهنة سنا إلى القاعة وقال :

ـ أعضاء مجلس الكهنوت في انتظار جلالتكم .

ـ وهل توصلتم لقرار ؟

ـ نعم جلالتكم، لقد عدل كاهنان عن قرارهما وأعلنا عن تأييدهما تعديل قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء، وبذلك تعادلت الكفتان، وصوت جلالتكم هو الذي سيحسم الأمر .

ـ حسنا ...... حسنا ......، وقف في مكانه وتقدمهم في اتجاه القاعة التي يجتمع فيها الكهنة وقفوا جميعا حينما رأوه يدخل عليهم وهو يرفع يديه محييا إياهم، أشار لهم بالجلوس وهو يبتسم ابتسامة رضاء كامل .

بدأ أكبر الكهنة سنا مخاطبا الأعضاء قائلا :

ـ وافق جلالة الملك على زيادة المخصصات الممنوحة من الملك للمعبد بمقدار الضعف، وسوف يصدر عفوا مشروطا عن الكاهن الأعظم «خباء» خلال أيام على ألا يبرح هذا المعبد إلا في تابوت إلى القبر !!!



ابتسم الملك وهو يستمع إلى كلمات الكاهن الأكبر سنا عن عطايا وهبات الملك للمعبد وعن رحمته وعفوه عن الكاهن الخائن .

كانت هناك جوائز وعطايا وهبات أخرى لم يعلن عنها أكبر الكهنة سنا ! مهداه من الملك الأب إلى الكهنة الذين وعدوا كبير خُدام المعبد بالانضمام للجبهة المؤيدة لتغيير قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء، لم يشأ أكبر الكهنة سنا أن يعلن عنها صراحة ؛ لأنه كان أحد المؤيدين لتغيير هذا القانون وأحد الموعودون بها.

أخيرا ابتسم الملك ابتسامة نشوة وانتصار، لقد حصل الآن على الجائزة الكبرى، لقد استطاع شراء نصف أصوات مجلس الكهنوت، لا ليس أصواتهم ..... لقد اشتراهم هم أنفسهم ببعض الضياع هنا وهناك ولم يخسر شيئا، لقد وضع يده على ضياع وأملاك الكاهن الخائن، ثم سيقوم بتوزيعها على الكهنة الذين أيدوه، لقد حصل هو على ما يريد وسيحصلون هم في المقابل على جائزتهم، هناك شيء أخير، على الملك الأب أن يلقي كلمة أخيرة قبل أن يغادر القاعة إلى القصر الملكي، أن يشكر أعضاء مجلس الكهنوت وأن يثني على تعاونهم معه من أجل صالح البسطاء من أبناء مملكة «ساموراء» .



استدار الملك الأب وهو يشعر بالسعادة الغامرة، لن يستطيع أحد ما أن يقف في طريقه، سار على السجادة الحمراء، عن يمينه الكاهن الأكبر سنا، وعن يساره كبير خُدام المعبد ومن ورائهم أعضاء مجلس الكهنوت المؤيدين ثم المعارضين .

قبل أن يركب العربة الملكية مغادرا الساحة الداخلية للمعبد، صافح أعضاء مجلس الكهنوت، ثم ربت على كتف أكبر الكهنة سنا وقال :

ـ لن تشهد مراسم تنصيبك كاهنا أعظم أي مفاجآت من أي نوع، أعرف أن لك منافسون أقوياء، ولكننا نعرف كيف نكافئ المخلصين لنا، ابتسم ثم ركب العربة الملكية، لم يطلب من سائقها الإسراع كما كان يطلب في كل مرة، بل يريد أن تتهادى وهي في طريقها للقصر الملكي .

لم يكن لكلام الملك مع الكاهن الأكبر سنا سوى معني واحد، هو أنه سيعطي أمرا مباشرا للكهنة الذين استطاع شراءهم وشراء ولاءهم، بانتخابه كاهنا أعظم، خلفا للكاهن الخائن . سوف يدير الملك الأب الدفة كما يشاء، وفي الوقت الذي سيحدده .

كان شريط الأحداث يمر ببطء على ذاكرة الملك كما تتهادى العربة الملكية التي يركبها على الطريق المؤدي



إلى القصر الملكي، لقد حصل الآن على ما كان يخطط له وبنجاح منقطع النظير، تخلص من الكاهن الخائن نهائيا، وعقد معاهدة صلح مع مملكة «براء» وسيضمن عدم دخول مملكة «ساموراء» في حرب معها لسنوات طويلة قادمة، طالما أن الأميرة «ذات الرداء» زوجة للأمير «علاء»، وأخيرا سيرد لأبيها صاع خداعه له صاعين، وسوف يقوم بعرض جميلات المملكة من الأميرات على الأمير «علاء» ليختار منهن ما يشاء لتكون الملكة الأم .

قال الملك الأب يحدث نفسه بصوت خافت :

ـ لن أتدخل هذه المرة في اختيار عروسه، تدخلي في المرة السابقة كان لأسباب كثيرة على رأسها إبرام معاهدة صلح مع مملكة «براء» ؛ لتجنيب المملكة ويلات الحروب والمنازعات، أما الآن فاختيار زوجة للأمير «علاء» لن يكون إلا لسبب واحد هو إنجاب ولي العهد .



العروس

وصلت العربة الملكية التي يستقلها الملك الأب إلى القصر الملكي، نزل بسرعة منها وصعد درجات سلم القصر ثم الدرجات الداخلية المؤدية إلى جناحه، ما إن دخل حتى سأل خادمه الأمين :

ـ أين الأمير «علاء» ؟

ـ في جناحه الخاص مولاي .

ـ استدعيه في الحال .

ـ سمعا وطاعة مولاي

أسرع خادم الملك إلى الحاجب الذي يقف على الأبواب وقال بلهجة آمرة :

ـ أسرع باستدعاء الأمير «علاء»



عـاد إلى حيـث يقـف الملـك وهـو ينظـر ناحيـة شرفـة غرفتـه وقـال ملاطفـا .

ـ أجد علامات السعادة بادية بوضوح على وجه مولاي الملك

ـ نعـم لم يكـن الأمـر سـهلا ولكنـه لم يكـن شـاقا بالدرجـة التـي كنـت أظنهـا .

بينـما يقـوم خـادم الملـك بمسـاعدته عـلى اسـتبدال ملابسـه، دخـل الأمـير «عـلاء» ومـا إن وقعـت عينـاه عـلى وجـه الملـك الأب حتـى ابتسـم وقـال :

ـ أرى أن الأمور قد سارت على ما يرام .

ـ نعـم يـا ولـدي، أعـدت ترتيـب الأوراق مـن جديـد بـما يخـدم مصالحنـا وأهدافنـا، سـوف يـأتي كبـير خُـدام المعبـد في الصبـاح ومعـه الصيغـة النهائيـة لتعديـل القانـون وعليهـا توقيعـات الكهنـة، وبمجـرد ختمهـا بالشـعار الملكـي سـيكون مـن حقـك أن تنعـم بالـزواج الثـاني مـرة أخـرى، ولكـن قبـل أن تقـدم عـلى هـذه الخطـوة عليـك أولا أن تخطـط جيـدا لتصـل إلى مـا تريـد، عليـك أن تحـدد هدفـا تريـد الوصـول إليـه، ليـس بالطبـع هدفـا يكـون خسيسـا أو وضيعـا في حـد ذاتـه ـ كالانتقـام مـن الأمـيرة «ذات الـرداء» بسـبب خديعتهـا لـك ـ فالانتقـام منهـا سـيأتي بالتبعيـة بمجـرد أن تصـل إلى هدفـك الأرقـى ....هدفنـا الآن هـو أن تتـزوج مـن



إحـدى الأمـيرات صاحبـات الدمـاء الذكيـة لتتجـب لـك ولي العهـد، هـذا الـزواج في حـد ذاتـه هـو انتقـام مـن الأمـيرة «ذات الـرداء» ؛ لأنـك سـتحرمها مـن أمنيـة عزيـزة عليهـا وهـي أن تكـون الملكـة الأم في يـوم مـن الأيـام .

ـ أشـعر يـا أبتـي أحيانـا بالإشـفاق عليهـا، بسـبب مـا رأيتـه يحـدث لهـا خـلال نوبـات المـرض اللعـين، ولكـن أعـود فأتذكـر خداعهـم لنـا فتذهـب مـن نفـسي الشـفقة عليهـا، عمومـا أنـا أفكـر في الرحيـل قبـل شروق الشـمس إلى مملكـة «بـراء» وسـأعود بالأمـيرة بعـد عـدة أيـام !!

ـ الأفضـل يـا ولـدي أن تكـون هنـا مسـاءً الغـد، سـنبدأ في إقامـة الحفـلات لكـي تختـار عـروس المسـتقبل.

ـ ألا ترى يا أبتي أننا بهذه الخطوة نتعجل الأمور ؟

ـ هـذا أمـر لابـد منـه، عليـك أن تضـع قدمـك الثانيـة حيثـما وضعـت الأولى !!! لقـد انتهينـا مـن تعديـل قانـون الـزواج الثـاني للأمـراء، علينـا إذن أن نضـع القـدم الثانيـة، أعنـي اختيـار عـروس الغـد.

تطابقـت آراءنـا ، لذلـك تنازلـت طواعيـة عـن فكـرة السـفر إلى مملكـة «بـراء» في الوقـت الحـالي.



في صباح اليوم التالي، فتح خادم أبي الأمين باب جناحه بعد أن أبلغه الحاجب بأن كبير خُدام المعبد ينتظر السماح له بالدخول لمقابلة الملك.

ولما أذن له دخل بخطوات واثقة وابتسامة عريضة تملأ وجهه، وعندما اقترب من مكان مجلس الملك انحنى ورفع يديه في مستوى أذنيه وهو يقول :

ـ عمت صباحا مولاي الملك.

ـ أراك مبتسمًا ! هل انتهى كل شيء ؟

ـ نعم جلالتكم، كل شيء علي ما يرام .

ثم مد يده بلفافة .

تناولها الملك ثم فردها أمامه وأخذ يستعرض أسماء الكهنة الذين وقعوا بالموافقة على قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء.

خلع الملك الخاتم من إصبعه، وناوله لخادمه الأمين الذي ختم به اللفافة، ثم قال محدثا

خادمه :

ـ أحضر لفافة العفو المشروط عن الكاهن الخائن وقال :



ـ لا يغـادر المعبـد نهائيـا إلا في تابـوت إلى قـبره، ثـم أشـار لخادمـه وقـال :

ـ أحـضر اللفافـات الخاصـة بأعضـاء مجلـس الكهنـوت وبكبـير خُـدام المعبـد.

أسرع خـادم الملـك وأحـضر اللفافـات وقدمهـا للملـك الأب الـذي قدمهـا بـدوره لكبـير خـدام المعبـد وهـو يهنئـه قائـلا :

ـ هـذه هديتنـا للرجـال المخلصـين لنـا، عـلى طـرف كل واحـدة منهـا اسـم الكاهـن المهـداة إليـه الضيعـة .

ابتسم كبير خدام المعبد للملك وقال:

ـ سـنظل دائـما خداما وكهنـة رهـن إشـارة مـولاي الملـك الأب.

رفـع يديـه مـع انحنـاءة بسـيطة علامـة عـلى الخضـوع الكامـل، ثـم عـاد خطـوات للخلـف إلى أن وصـل إلى بـاب جنـاح الملـك ثـم خـرج متجهـا إلى المعبـد لكـي يسـلم هدايـا الملـك الأب إلى الكهنـة .

حتـى هـذه اللحظـة، لم يكـن الملـك الأب يشـعر إلا بالذنـب نحـوي، لأنـه هـو الـذي دفعنـي دفعـا لكـي أتـزوج مـن الأمـيرة «ذات الـرداء»، لذلـك ظـل يبحـث عـما يعوضنـي بـه،



وفي نفس الوقت لم يبرح من أمام ناظريه الحفاظ على ملك الأجداد والآباء .

لم ينتظر طويلا، ما إن جاءته موافقة الكهنة مكتوبة على قانون الزواج الثاني للملوك والأمراء حتى أرسل في طلبي، وبمجرد أن دخلت إلى جناحه حتى قال :

ـ سوف أقيم الليلة حفلا كبيرا احتفاءً بمن تختارها زوجة لك .

ـ لم أحدد بعد أبتي من ستكون الملكة الأم .

ـ نريد أن ننتهي من هذا بأسرع وقت ممكن حتى أقطع خط الرجعة على الجميع، الكهنة الخمسة الذين كانوا يشكلون جبهة رفض للقانون سوف يصرحون بذلك علنا وسوف يدعون أن الملك مارس ضغوطه عليهم، ورغم ذلك رفضوا الامتثال لأوامر الملك الأب، سيحاولون لملمة أشلائهم وتحسين صورتهم أمام العامة من البسطاء، بعدما نال منها ما فعله كبيرهم الخائن، ولن يجدوا أفضل من هذا الحديث لتحقيق أغراضهم، وفي نفس الوقت، إذا بلغ ملك «براء» إقدامك على الزواج من غير ابنته، ربما نجد مقاومة ما لذلك، علينا أن نسرع الخطى في الاتجاه الآخر، حتى يصبح الجميع أمام أمر قد حدث، حينئذ لن يكون أمام الجميع مفر سوى القبول به .



كان أبي شـديد المنطقيـة والواقعيـة وهـو يحدثنـي عـن رأيـه بالنسـبة لزواجـي الثـاني، لذلـك أعلنـت موافقتـي الصريحـة والواضحـة في التـو .

لم يضيع أبي الفرصة كعادته، بل استغلها بسرعة .

ـ ما رأيك في الأميرة «شيماء» ابنة قائد الحرس ؟

ـ ليست هذه ما أتمناها .

ـ والأميرة «سناء» ابنة قاضي القضاة ؟

ـ لا تبدو مناسبة لي أبتي .

ظـل أبي يسـتعرض أمامـي الأمـيرات والأمـراء واحـدة تلـو الأخـرى، وأنـا أقـول رأيـي بصراحـة ووضـوح ودون مواربـة، لأننـي كنـت عـلى يقـين أنـه لـن يفـرض عـليَّ رأيـه كما حـدث في المـرة الأولى، الوضـع الآن مختلـف، لقـد تلاقـت رؤانـا وأهدافنـا العـرش ..... ثـم العـرش ...... ثـم العـرش.....

بينما أنا أفكر فيما سيعرض عليَّ أبي من أميرات قال :

ـ وما رأيك في الأميرة «إسراء» ؟

ـ حسنا أبتي .... أراها جميلة المحيا ورقيقة .

لم يتـوان أبي عـن اسـتغلال الفرصـة مخافـة أن تذهـب أدراج الريـاح، أشـار لخادمـه الأمـين



وقال :

ـ أرسل لأبيها دعوة رسمية لحضور عشاء في القصر الملكي هذا المساء .

ـ سمعا وطاعة مولاي .

ـ حسنا يا أبتي سوف ألتقي الأميرة «إسراء» ثم أشد الرحال إلى مملكة «براء» ولن أتحدث إلى الأميرة «ذات الرداء» فيما يخص ما عقدنا العزم عليه، إلا بعد عودتنا إلى القصر .

ـ حسنا تفعل يا ولدي، فلن تأمن شرهم، الحيطة والحذر مطلوبان .

أقيم حفل العشاء في هذا المساء، ولقد رأيت بأعين أخرى الأميرة «إسراء» غير التي كنت أراها بها في السابق، الليلة لم أكن أبحث عن أنثى بل كنت أبحث عن ملكة، أو عمن تصلح لأن تكون ملكة المستقبل، وأم للملك القادم، الملك الذي نسعى أنا وأبي لأن نراه، لقد اختلفت رؤيتي كما قال لي أبي وهو يعنفني في السابق، على سلوكي اللاه والمعوج، كان يقول دائما سترى فارقا كبيرا بين ما تفعله وتفكر فيه الآن وبين ماستفعله وتفكر فيه بعد أن تبلغ الرشد وتتنازل طواعية عن لهوك هذا، كان أبي محقا، في الماضي كنت أبحث فقط عن المتعة، لا أنظر



لأي أميرة إلا على أنها الأنثى، ولا شئ فيها غير الأنثى .

لم أدري مالذي تغير، هل أثقلتني التجارب ؟ أو ما مررت به من أحداث ؟ أقصد محاولة قتل أبي الملك الأب واحتمال ضياع العرش، المحاكمة المدوية للكاهن الخائن واستعادة الهيبة من جديد، ووضع حد لكل طامع في عرش الأجداد .

أيقنت من تلك اللحظة أنه إن تغيرت نظرتي من الداخل سوف يتغير كل شئ من حولي، لن أنتظر أن يتغير مَن حولي أولا، بل سأتغير أنا أولا ، ثم أرى مَن حولي بشكل يختلف عما رأيته في السابق .

كانت كل التفاتة للأميرة «إسراء» تثير اهتمامي، أحاول أن أقيمها التقييم الذي تستحقه، الأمور تختلف كثيرا عن السابق، أريد زوجة وملكة وأم، وأسأل نفسي السؤال ذاته وأنا جالس إلى جانبها، هل الأميرة «إسراء» تصلح زوجة وملكة وأم ؟ أم سأدخل في دوامة أخرى من المشاكل تؤثر سلبا على العرش وعلى من حولي .

أخيرا أصدرت الحكم النهائي على الأميرة «إسراء» .

نعم تصلح، إن لم تكن هذه فمن تصلح ......



موقــف واحــد جعلنــي أصــدر هــذا الحكــم النهائــي، بســاطتها وحلمهــا ووداعتهــا .

قبـل بدايـة الحفـل طلبـت مـن المسؤل عـن إعـداده أن يكون جلـوس الأمـيرة «إسراء» إلى جانبـي خـلال حفـل العشـاء وقـد كان، جلسـنا عـلى المائـدة دون أن يتحـدث أحدنـا إلى الآخـر، أو يقـل كلمـة واحـدة، لقـد أدركـت الأمـيرة «إسراء» أن في الأمـر شـيئا، الدعـوة التـي وصلتهـم كانـت مقتضبـة للغايـة، مكتـوب فيهـا، رغبـة ملكيـة في حضـور الأسرة عشـاء الليلـة بالقـصر الملكـي، عندمـا حـضرت الأسرة في الموعـد المحـدد، لاحظـوا أنـه لا يوجـد مدعـوون غيرهـم، كانـت هـذه الإشـارة تعنـي أن الحفـل خـاص، وبـما أن الأمـيرة جلسـت إلى جانبـي، إذن فالأمـر يعنينـي أنـا وهـي عـلى وجـه الخصـوص .

أردت أن أفعـل معهـا، مـا فعلتـه مـع الأمـيرة «ذات الـرداء» لأرى ردة فعلهـا عـلى مـا أفعلـه، بطـرف حذائـي ضغطـت عـلى طـرف حذائهـا، ابتسـمت في خجـل ثـم سـحبت قدمهـا مـن أسـفل قدمـي وأبعـدت قدمهـا قليـلا عـن قدمـي، وهـذا لم يحـدث مـن جانـب الأمـيرة «ذات الـرداء»، أذكـر جيـدا مـا فعلتـه، لقـد وكزتنـي بكوعهـا في جانبـي فسـقط الحسـاء الـذي كنـت أتناولـه عـلى ملابـسي وسـقط البعـض منـه عـلى ملابـس الملكـة الأم، التـي نظـرت لي بدهشـة، رغـم اعتـذاري لهـا عـما حـدث إلا أنهـا لم تعـر اعتـذاري أدنـى اهتـمام، رغـم أن ابنتهـا



كانت هي السبب في سقوط الحساء، بعد مأدبة العشاء عزفت الفرقة الموسيقية، تقدمت منها كما يقضي بذلك البروتوكول ومددت يدي، وضعت راحة يدها على يدي، قامت بخفة ودلال، اتجهنا إلى منتصف القاعة، أمسكت يدها ورفعت يدي أعلى قليلا من كتفها، وضعت يدي الأخرى على خصرها، بدأنا نتمايل قليلا مع الموسيقى ضغطت برفق على خصرها، نظرت في عيني، لم أعر نظرتها اهتماما كبيرا، وضغطت بشكل أشد على خصرها، نظرت إليَّ ثانية، ثم وضعت راحة يدها على يدي ثم ربتت عليها برفق ثم نظرت إلى الفرقة الموسيقية، نظرة ذات معنى، لحظات وأنهت الفرقة عزفها، صفقت الأميرة ورسمت ابتسامة هادئة على شفتيها، ثم اتجهنا سويا إلى المكان المحدد لجلوسنا، بينما نحن نمشي إلى القاعة الرئيسية لمشاهدة الأكروبات، كان أحد المضيفين يدفع عربة صغيرة عليها كؤوس الشراب، لم تلحظها الأميرة وهي قادمة في الاتجاه العكسي، استطاع المضيف أن يتفادى قدم الأميرة وهو يدفع العربة فاختل التوازن وسقطت كؤوس الشراب على الأرض، شعرت الأميرة أن الخطأ كان خطأها ؛ لأنها لم تلحظ قدوم المضيف، لذلك انحنت تجمع كؤوس الشراب التي وقعت على الأرض، حضر بسرعة كبير المضيفين ونظر إليه نظرة حادة تنبئ بعقاب قاسٍ، التفتت إليه وقالت :

ـ أنا التي أخطأت لم ألحظه وهو يتقدم نحونا أنا والأمير «علاء» .

أدركت من هذه اللحظة، مكنون المشاعر الرقيقة للأميرة، لم تتعامل مع المضيف بكبرياء ولم تتهمه بالرعونة، لم تصرخ في وجهه ولم تسبه، تعاملت ببساطة شديدة مع الموقف ولم تتعالى، اعترفت ببساطة بأن الخطأ خطأها، بل وساعدت المضيف في تجاوز الموقف حدث أيضا موقف مشابه لهذا مع الأميرة «ذات الرداء»، فما كان منها إلا أن تعاملت بعصبية شديدة مع إحدى الوصيفات ونهرتها بعنف وظلت توبخها طوال الليل، رغم أن الوصيفة لم تكن مخطئة، بل لقد طلبت رئيسة الوصيفات وطلبت منها أن تعاقب الوصيفة التي في ظنها أخطأت في حقها خطأً لا يُغتفر .

شتان ما بين تصرف الحكيم للأميرة «إسراء» والتصرف الطائش الأرعن للأميرة «ذات الرداء» وهذا الفارق هو ما دفعني لأن أختارها لأن تكون الملكة المتوجة على عرش مملكتنا وأم ولي العهد القادم .



الحقيقة العارية

في صباح اليوم التالي شددت الرحال إلى الأميرة «ذات الرداء»، وكما توقعت خادمتها أقصد الساحرة الصماء لا تفارقها البتة وتضع من حولها سياجا لحمايتها من السحر الأسود كما يدّعون .

مكثت في مملكة «براء» بضعة أيام، لم أنعم فيهم بالراحة بسبب مرض الأميرة، في يوم وصولي سقطت على الأرض وظلت تؤتي بحركات تشنجية عنيفة، تتأوه وتصرخ وتحرك يديها وقدميها بعصبية شديدة، استطاعت الساحرة الصماء السيطرة عليها، بعد أن رأتني أقف مشدوها لا أحرك ساكنا، حتى أنني لم أستطع أن أفعل كما تفعل الساحرة الصماء وأثبت يديها كل في اتجاه، حتى بعد أن تكرر هذا في اليوم التالي والذي بعده بشكل أشد عنفا وقوة، لم أستطع الاقتراب من الأميرة خلال نوبات مرضها، كان السؤال



الـذي يشـغلني هـو إلى متـى يسـتمر هـذا الوضـع ؟ لذلـك طلبـت لقـاء أبيهـا لكـي يسـاعدني عـلى حـل هـذا اللغـز .

سـمعت طرقـا عـلى بـاب غرفتـي، وعندمـا فتـح الخـادم، عـاد وقـال :

ـ مولاي الملك ينتظرك في حديقة القصر سمو الأمير .

ـ حسنا سآتي في الحال .

وأنـا أرتـدي ملابـسي كنـت أفكـر في كيفيـة إدارة الحديـث مـع أبيهـا، بعيـدا عـن العتـاب أو مـا شـابه بـل أردت أن يكـون الحديـث أكثـر ودا، كأن أقـول أننـي أريـد أن أعـرف المزيـد عـن مـرض الأمـيرة لخـوفي الشـديد عليهـا .

التقيـت الملـك في حديقـة القـصر، كنـت أريـد أن أسـمع إجابـة عـن سـؤال واحـد وهـو، هـل مـا يحـدث للأمـيرة دخـل بأعـمال سـحر أسـود ؟ ومـن الـذي يسـعي لإيذائهـا ؟ ومـا الفائـدة التـي سـتعود عليـه ؟

كانت إجابات أبيها أكثر غموضا مما كنت أعتقد .

قال في وضوح :

لا أسـتطيع الإجابـة عـلى أسـئلة كثـيرة تـدور في ذهنـك، سـوى أنهـا سـقطت في بئـر وهي لم تتجـاوز عامهـا الرابـع، وكان ذلـك أثنـاء لهوهـا مـع خادمتهـا في الحديقـة الملحقـة بالقـصر .



تخفت الأميرة «ذات الرداء» من خادمتها وظلت تجري دون أن تأخذ حذرها وخادمتها تلاحقها، ذلت قدم الأميرة ووقعت في إحدى الآبار المنتشرة في الحدائق الخلفية للقصر، ظلت تصرخ على أمل أن تسمعها خادمتها أو أحد ما، ولكن لا حياة لمن ينادي، أسرعت الخادمة بعد فترة من البحث إلى القصر تطلب النجدة وهي ترتجف من الخوف، كان الظلام قد أسدل ستائره، تجمع الحرس وأشعلوا النار في المشاعل وبدءوا البحث في كل شبر من الحديقة المترامية الأطراف، طوال ذلك الوقت كانت الأميرة تصرخ بشدة من الخوف، وأخيرا استطاع الحراس العثور عليها وهي في حالة مزرية .

ومنذ ذلك الحين ونوبات الصراخ تنتابها على فترات، أحيانا متقاربة وأحيانا متباعدة، ورغم أني عرضتها على الأطباء في المملكة، ورصدت الجوائز لمن يستطيع المساهمة في شفائها ولكن باءت كل المحاولات بالفشل، حتى الأعشاب التي وصفها الأطباء لم تجدي في شفائها نهائيا، إنها فقط تهدئ قليلا من حالتها، لذلك استدعيت كل السحرة في المملكة المعروفون ببأسهم الشديد، لكنهم فشلوا جميعا في السيطرة على نوبات الصراخ والبكاء التي تنتاب الأميرة إلا ساحرة صغيرة السن صماء استطاعت أن تحظى بثقة الأميرة، لذلك لم تفارقها منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا .



خـلال هـذا الحديـث مـع أبيهـا أدركـت حقيقـة مهمـة وهـي أن حديـث كبـير أطبـاء القـصر معـي عـن أنهـم لم يتوصلـوا بعـد لعـلاج حـالات تشـبه الحالـة التـي تنتـاب الأمـيرة كان مؤكـدا وأن النقـوش عـلى حوائـط المعابـد تثبـت ذلـك .

بعـد أن قـص عـليَّ أبيهـا قصـة مرضهـا أخـذ يحـاورني محاولا أن يستشـف منـي مـا أعتـزم القـدوم عليـه أو مـا سـأفعله في القريـب، ولكـن محاولاتـه بـاءت بالفشـل ؛ لأننـي لم أكـن حتـى ذلـك الوقـت قـررت أن أفعـل شـيئا محـددا، كل مـا كنـت أفكـر فيـه هـو إنجـاب ولي العهـد لإنقـاذ عـرش الآبـاء والأجـداد مـن الضيـاع .

في يـوم عودتنـا إلى مملكـة «سـاموراء»، اسـتيقظت مبكـرا، اصطحبـت الأمـيرة «ذات الـرداء»

وخادمتهـا وركبنـا العربـة الملكيـة التـي تجرهـا الخيـول، وطـوال الطريـق وأنـا أنظـر إليهـا وإلى خادمتهـا السـاحرة الصـماء بالريبـة فيـما قـد يفعلنـه مـا أن يعرفـا بأننـي مقـدم عـلى الـزواج مـن غيرهـا، شـغلني التفكـير فيـما أفعلـه بعـد أن نصـل إلى القـصر، هـل سـأفاتحها فيـما أنـوى عملـه الآن أم أنتظـر قليـلا ؟ وإن فاتحتهـا اليـوم هـل أبـدأ بالتمهيـد قبـل أن ألقـي عليهـا بقـراري أم أبلغهـا بـما سـأفعله دون الدخـول في تفاصيـل أو مقدمـات طويلـة أو قصـيرة ؟



وصلــت العربــة الملكيــة إلى أبــواب القــصر الداخليــة، صعدنـا إلى جناحنـا الخـاص، وقبـل أن يفتـح لهـا الحاجـب بـاب جناحهـا، قلـت لهـا :

ـ هناك أمر أود أن نتحدث فيه !

ـ حسنا سمو الأمير .... هل هو بالأمر الضروري ؟

ـ نعم هو أمر في غاية الأهمية .

ـ ألا نسـتطيع أن نؤجلـه للمسـاء، أشـعر بتعـب وإرهـاق شـديدين، كانـت رحلـة العـودة شـاقة للغايـة

ـ سأنتظرك في جناحي الخاص بعد أن تستبدلي ملابسك .

ـ حســنا ســمو الأمــير، ولكنــي كنــت أفضــل أن نتركــه لوقــت آخــر .

ـ الأمــر مهــم ويخــص العــرش، وعلينــا الانتهــاء في أسرع وقــت .

بــدت علامــات الدهشــة عــلى وجــه الأمــيرة ، وقالــت في نفســها مــا الــذي يمكــن أن يحدثنــي فيــه عــن العــرش ؟

أشــارت الأمــيرة للحاجــب ففتــح البــاب عــلى مصراعيــه، دخلــت الأمــيرة ومــن ورائهــا خادمتهــا الســاحرة الصــماء .



توجهـت مبـاشرة إلى جناحـي، لحظـات واتبعتنـي الأمـيرة ومـن ورائهـا خادمتهـا .

طلبـت مـن خادمتهـا الخـروج والانتظـار في جنـاح الأمـيرة، وقفـت لحظـة تنظـر للأمـيرة، تنتظـر إشـارتها، أومـأت الأمـيرة لهـا .

جلسـت الأمـيرة وأخـذت تحـدق في عينـي انتظـارا لمـا سـأقول، كأنـما تريـد أن تستشـف أهميـة الموضـوع الـذي سـأحادثها فيـه .

قـررت قبـل دخولهـا إلى غرفتـي أن لا أمهـد الطريـق أمـام مـا سـأقول أو سـأفعل مسـتقبلا، بـل سـأحدثها دون مقدمـات عـما سـأفعله، ولكنـي تراجعـت خطـوة للـوراء، فضلـت أن أبـدأ بالتمهيـد المقتضـب عـلى أن أنتهـي مـن هـذا الموضـوع اليـوم......لا بـل الآن، فقلـت لهـا :

ـ أبلغنـي كبـير الأطبـاء، بـأن ظـروف مرضـك سـوف تمنعـك مـن حمـل جنـين، أو لنقـل صراحـة، لـن يكـون لـك طفـل بسـبب هـذا المـرض .....

صمـتُ قليـلا لأسـمع ردهـا الـذي كان مفاجأة سـارة لي !!!

ـ أعلـم ذلـك، لقـد أبلـغ الأطبـاء أبتـي أن الحالـة التـي أكون عليهـا وقـت نوبـة المـرض سـتمنعني مـن حمـل جنين .

قمت من مكاني وأنا أقول لنفسي، قالت ـ أعلم ذلك ـ لقد اكتملت الآن خيوط المؤامرة، كانوا يعلمون كل شئ عن هذه الحالة، ومع ذلك استمروا في خداعنا . كان للكلمات المقتضبة والتي قالتها الأميرة تأثير شديد عليَّ، فقد نزع من قلبي أي إحساس بالشفقة عليها، طوال طريق العودة وأنا أحاول التماس عذر لها عما حدث، ومن هذه الأعذار، ربما لم يكونوا على علم بتداعيات هذا المرض، وأنه سيكون عائقا أمام حملها جنينا في الأحشاء، ولكن الحقيقة ظهرت واضحة الآن، ستعيش الأميرة «ذات الرداء» فقط كنصف امرأة .

بعدما لاحظت الأميرة التغيرات السلبية على وجهي حاولت تدارك الخطأ الذي وقعت فيه والتراجع عن ذلة اللسان التي أظهرت الحقائق واضحة أمامي فقالت وهي مترددة :

أقصد أن حملي لجنين يحتاج لعناية مفرطة وخاصة، قد لا تكون متوفرة الآن !

بعد أن سمعت كلامها، اتخذت قراري بشكل حاسم، وهو أن أدخل في الموضوع مباشرة لذلك قلت في لهجة حادة :



ـ لقد عقدت العزم على الزواج من إحدى الأميرات، الحاجة الآن لوجود ولي العهد أصبحت أكثر إلحاحا من ذي قبل، آمال والدي وآمالي أصبحت متعلقة بوجود ولي العهد !!!

وبما أن تجربتي معك قد فشلت ولم يعد هناك أدنى أمل في أنك ستحققين هذا الحلم لنا، قررت أن أخوض تجربة الزواج للمرة الثانية .

ـ ماذا تقول سمو الأمير ؟

ـ ما سمعته الأميرة

ـ هل تعني ما تقول ؟

ـ نعم وسأبدأ خلال أيام التجهيزات النهائية لحفل الزفاف .

أردت بهذه الكلمات المقتضبة أن أنهي الحديث في هذا الموضوع، لذلك وجهت سؤالي لها :

هل ترغب الأميرة في البقاء هنا خلال الأيام القادمة، أم ترغب في العودة إلى ديار أبيها على نحو مؤقت حتى ينتهي ا لحفل ؟

ما إن انتهيت من كلامي، أحسست كأنني ألقيت الأميرة من أعلي مكان في القصر، وضعت يديها على وجنتيها،



قامت من مكانها، أسرعت تعدو في اتجاه باب جناح نومي، كانت نوبة المرض أسرع منها، قبل أن تصل إلى باب الجناح سقطت على الأرض وهي في حالة يُرثى لها، نوبة المرض هذه المرة أشد وأعنف كثيرا من المرات السابقة، تتقلب تارة ناحية اليمين وتارة أخرى ناحية الشمال، كانت تبدو وكأنها تحاول أن تتنفس ولكن لا تستطيع، أصدرت أصوات حشرجة وكأنها تحتضر ونزل ماء من فمها يشبه زبد البحر، عندما سمعت صوت حشرجتها، أسرعت إليها، فعلتُ ما تفعله الساحرة الصماء، دفعتني بعيدا عنها، لا أدري إن كانت تتعمد ذلك أم إن الأمر كان عفويا، أظهرت حركات يديها وقدميها في هذه اللحظات أنها تعيش في عالم آخر غير عالمنا، لم يمر وقت طويل حتى دخلت خادمتها الصماء ـ ولم أعي إلى الآن كيف عرفت بأن الأميرة في خطر ـ جثت على صدر الأميرة، وضعت اللفافة البلاستيكية في فمها، أبعدت يديها عن بعضهما، الغريب في الأمر أن الأميرة أحست بأن خادمتها تحاول إنقاذها فاستجابت لها ولم تدفعها بعيدا عنها كما فعلت معي .....

وقفت مشدوها وأنا أرى ما يحدث للأميرة، مرت فترة صغيرة ثم عاد كل شئ كما كان، قامت الأميرة من على الأرض وعلامات الإرهاق الشديد تبدو على وجهها، استندت على كتف خادمتها الصماء واتجهوا إلى غرفتها .

أكاد أجزم أن علاقة الأميرة «ذات الرداء» بي قد انتهت إلى الأبد منذ حدثتها عن استعدادي للزواج من امرأة غيرها، كما انتهت علاقتي بها منذ أن اكتشفت حقيقة مرضها، وأنها كانت شريكة لأبويها في خداعي أنا والملك الأب .

استبدلت ملابسي بسرعة ثم اتجهت إلى جناح نوم أبي، أول ما وقعت عيناه عليَّ قال :

وجهك ينطق بما يعتمل داخلك يا بني !

ـ نعم أبتي، لقد صارحت الأميرة «ذات الرداء» بما أنا مقدم عليه، فما كان منها إلا أن انهارت وسقطت على الأرض وأصابها ما أصابها من نوبة هذا المرض، ولم أستطع أن أفعل شيئا إلى أن حضرت خادمتها الصماء وقامت بعمل اللازم وأنقذتها من الموت خنقا .

ـ سوف تهدأ وتخف حدة ما في هذه النوبات بمرور الأيام يا ولدي، عليك ألا تلقى بالا بما يحدث الآن، انظر فقط لما هو قادم، إياك أن تنظر خلفك .

كان لكلمات أبي أثر كبير في أن أخطو بسرعة في الاتجاه الذي أراه صحيحا، عدت إلى جناحي، بينما أنا مستلقي على فراشي سمعت طرقا قويا وسريعا على باب جناح نومي، أسرع خادمي بفتح الباب ثم عاد وهو يقول :

ـ وصيفة سمو الأميرة «ذات الرداء» .

قمت فزعا من مكاني، أسرعت الخطى فوجدت الوصيفة الصماء وقد أحمرت وجنتاها وعلا صراخها كأنما تحاول أن تستنجد بي، كانت تشير إلى غرفة الأميرة، كل ما فهمته منها أن شيئا ما قد حدث للأميرة، أسرعت أجري في اتجاه جناح الأميرة، دفعت الباب فوجدتها ملقاة على الأرض إلى جانب فراشها ورأسها ينزف دما بغزارة، أسرعت إلى الحاجب وأمرته بإحضار كبير الأطباء، حملتها ووضعتها في الفراش .

لحظات وجاء كبير الأطباء وما إن رأى الدماء تسيل من رأسها حتى وضع ضمادات على الجرح ثم ربطه بإحكام وسأل الأمير «علاء» :

هل فاجأتها نوبة المرض سمو الأمير ؟

نظر الأمير إلى الوصيفة الصماء، فأشارت برأسها علامة على الإيجاب .

ـ كل هذا كان متوقعا سمو الأمير .

لقد فاجأتها نوبة المرض منذ قليل في جناحي بينما كنا نتحدث، وبعد قليل قامت واتكأت على كتف وصيفتها ثم دخلا إلى جناحها، لحظات ثم عادت تستنجد بي وصيفتها، ولما حضرت، وجدتها ملقاة على الأرض ورأسها ينزف.



ـ هـذا الأمـر ليـس بالشـئ المريـح سـمو الأمـير، حالـة الأمـيرة تبـدو مركبـة .

مـن وحشـية هـذا المـرض أنـه يهاجـم المريـض دون سـابق إنـذار، والشـئ الغريـب أنـه هاجـم الأمـيرة مرتـين لا تفصـل بينهـما إلا فـترة زمنيـة قليلـة .

انـصرف كبـير الأطبـاء بعـد أن قـام بعمله عـلى أكمـل وجه .

أصبحـت الأمـور واضحـة الآن، لذلـك لـن أنظـر خلفـي ثانيـة، بـل سـأندفع بـكل قـوة للأمـام ولـن أتوقـف قبـل أن أبلـغ الهـدف، لاشـك أن الأمـيرة «ذات الـرداء» سـوف تفضـل الرحيـل إلى مملكـة أبيهـا، فهـي لـن تتحمـل الوجـود هنـا خلال الأيـام القادمـة، وإن أصرت عـلى أن تبقـى، سـوف أدفعهـا للرحيـل، لا أريـد مفاجـآت غـير سـارة، لقـد عقـدت العـزم عـلى الـزواج مـن الأمـيرة «إسراء» ولسـوف أبلـغ أبي برغبتـي هـذه اليـوم .

لم يعكـر صفـو الأيـام التـي سـبقت حفـل زفـافي عـلى الأميرة «إسراء» إلا نوبـات المـرض التـي كانـت تهاجـم الأمـيرة «ذات الـرداء»، ومحـاولات الكهنـة لتأليـب العامـة على الملـك الأب .

حقيقة أم خيال

في صباح أحد الأيام، حضر كبير خُدام المعبد وهو متجهم بشدة إلى القصر، بعد أنهى أبي تريضه وجلس في مكانه المعتاد، اقترب وهو منحنيا قليلا من مكان مجلس أبي وقال :

ـ عمت صباحا مولاي الملك

ـ عمت صباحا .

ـ أريد أن أطلع مولاي على بعض الأمور التي حدثت مؤخرا .

ـ وما هي ؟

ـ بدأ كهنة المعبد ـ الذين شكلوا جبهة رفض القانون الجديد في حشد العامة من البسطاء ضد القانون، وأخشى أن ينجحوا في ذلك مولاي !

ـ أترى أن الأمور قد تتشابك مرة أخرى

ـ نعم مولاي، لذا أرجو الإسراع بتحديد موعد زفاف الأمير «علاء»، تأجيل هذه الخطوة سوف يثير مطمع الكهنة، ويعطيهم الأمل في عرقلة الزفاف، وربما منعه نهائيا، لذلك علينا القضاء على هذا الأمل .

ـ لك كل الحق في عدم تأجيل هذه الخطوة

أشار الملك الأب لخادمه بالاقتراب

ـ سمعا وطاعة مولاي

ـ أبلغ الأمير «علاء» أني أنتظره في جناحي

انصرف خادم الملك

ما إن وصلني طلب أبي بالحضور، حتى أسرعت بالذهاب إلى جناحه، لم أجده، لم يكن قد انتهى بعد من لقاء كبير خُدام المعبد، لحظات ورأيته يدخل جناحه وتبدو علامات الحدة والعصبية على وجهه .

ـ خيرا أبتي

ـ عادت الأمور إلى التشابك ثانية يا بني، أخشى أن لا نستطيع أن نفعل ما قمنا به سابقا، أن نمسك بجميع الخيوط في أيدينا، حدث ما تنبأت به سابقا، الكهنة يؤلبون العامة علينا في الخفاء ويدّعون الوفاء لنا في العلن .



ـ هـل عقـدت العـزم عـلى الـزواج مـن الأمـيرة «إسراء»، أريـد أن ننتهـي بـأسرع مـا يمكننـا مـن هـذا الأمـر !!!

ـ نعم أبتي .

ـ وماذا ستفعل حيال الأميرة «ذات الرداء».

ـ خيرتها بـين البقـاء في المملكـة وبـين السـفر إلى مملكـة أبيهـا حتـى ننتهـي مـن حفـل الزفـاف، لكنهـا لا ترغـب في السـفر الآن وسـتلزم القـصر خـلال الأيـام المقبلـة .

ـ الأفضـل أن ترحـل إلى ديـار أبيهـا، لـن تأمـن ردة فعلهـا، ربـما تكـون خـارج السـيطرة .

ـ معـك كل الحـق يـا أبتـي، سـوف أدفعهـا للرحيـل اليـوم قبـل الغـد، كلـما اقـترب موعـد الحفـل كلـما شـعرت بـأن شـيئا مـا سـيحدث ويعكـر صفـو هـذه الليلـة .

ـ علينــا الإسراع إذن في خطواتنــا، ســوف أصــدر أمــرا بالاسـتعداد لحفـل الزفـاف، ثـم أشـار لخادمـه الأمـين وقـال :

ـ أريـد أن ننتهـي مـن حفـل زفـاف الأمـير «عـلاء» في أسرع وقـت ممكـن .

ـ نحـن عـلى أهبـة الاسـتعداد مـولاي، قمنـا بـكل الترتيبـات اللازمـة، لا ينقصنـا سـوى تحديـد الموعـد .



ـ ما يوافق يوم جلوسي على عرش المملكة، الذي يحل علينا بعد أيام .

ـ سمعا وطاعة مولاي

في مساء ذلك اليوم، توجهت إلى جناح الأميرة «ذات الرداء» لأتحدث معها بشأن رحيلها إلى مملكة أبيها لقضاء بضعة أيام للاستجمام، لم تلق فكرتي قبولا لديها في بادئ الأمر، ولكن بعد أن شرحت لها وجهة نظري استجابت ولكنها طلبت مني الانتظار يوم أو اثنين حتى تتأهب نفسيا وجسمانيا لذلك، إذ أنها مازالت تشعر بالإرهاق الشديد بسبب نوبات المرض التي فاجأتها عدة مرات خلال الأيام الماضية، أردت ألا أثقل عليها لذلك وافقت على طلبها .

بدأت من هذه الليلة في استعراض كل ما يتعلق بحفل جلوس أبي على عرش مملكة «ساموراء» وحفل زفافي، من إقامة مآدب الأكل للعامة والبسطاء، إلى حضور فرق الموسيقى من كل أنحاء المملكة إلى إقامة المسابقات الترفيهية، بل وأصدرت أمرا لحراس القصر بفتح الأبواب الخارجية المؤدية للحدائق لدخول العامة والبسطاء، واستعرضت أيضا مراسم دخول الأميرة «إسراء» إلى القصر الملكي وغير ذلك الكثير .



لم يتبـق عـلى موعد الزفـاف إلا يومين، والأمـيرة «ذات الرداء» لم تتحـدث معي بشـأن رحيلها إلى مملكة أبيهـا، إلى أن كانت الليلة التـي تسـبق حفـل الزفـاف، جاءتنـي وصيفـة الأمـيرة وقالـت :

ـ مولاتي الأميرة سترحل الآن .

توجهـت إلى جناحهـا وحملتهـا بالعديـد مـن الهدايـا، ودعتني وداعـا رتيبـا روتينيا .

اصطحبتهــا إلى العربــة الملكيــة كــما يقــضي البروتوكــول الملكــي، قبلـت يدهـا قبـل أن تصعـد درجـات سـلم العربـة، ثــم أشرت للحــراس بمرافقــة الأمــيرة حتــى ديــار أبيهــا .

اتجهـت العربـة الملكيـة إلى أبـواب الحديقـة الرئيسـية للقـصر ومنهـا إلى الطريـق الـذي ستسـلكه إلى مملكـة «بـراء» .

الغريــب في الأمــر أننــي لم ألحــظ غيــاب الســاحرة الصــماء وصيفــة الأمــيرة والتــي لا تفارقهــا عــلى الإطــلاق خشــية أن تهاجمهـا نوبـات المـرض، ولكنـي أوعـزت ذلـك إلى أنهـا ربـما تكــون قــد ســبقتها إلى العربــة الملكيــة .

بمجــرد أن رأيــت العربــة الملكيــة تبتعــد عــن الحديقــة الرئيسـية للقـصر حتـى اسـتدرت إلى خـادم أبي الأمـين والـذي كان يقـف إلى جانبـي وتنفسـت الصعـداء دون أن تنبـت شـفتاي بكلمـة، ولكنـه أدرك جيـدا مـاذا أعنـي بـما أفعـل !!!



صعدنا درجات سلم القصر، كان كل شئ يجرى على قدم وساق، اللمسات الأخيرة انتهت تقريبا .

التفت إليَّ خادم أبي وقال :

ـ أقترح عليك سمو الأمير أن تركن قليلا للراحة، حتى تكون مستعدا قبل الحفل بوقت كاف .

ـ أشعر فعلا بأني في حاجة إلى قسط من الراحة .

توجهت إلى جناحي لكي أراجع بعض الأشياء قبل أن أخلد إلى الراحة، ثم استلقيت على

الفراش على أمل أن أنام قليلا .

أغمضت عيني، سمعت صوت صرخة قوية، ثم صوت ارتطام شيء ما بالأرض بقوة،

أعقب ذلك أنين متواصل .

فتحت عيناي بسرعة، قفزت من فراشي، ما هذا ؟

نعم هذا صوت الأميرة «ذات الرداء» حينما تهاجمها نوبة المرض !!!

يا إلهي، هل عادت، أخذت أتلفت في جناحي ناحية اليمين وناحية اليسار، أريد أن أسمع بوضوح من أين يأتي هذا الصوت ؟ أسرعت إلى باب غرفة نومي، فتحته بسرعة، وجدت الحارس يقف بالباب فسألته :

ـ من أين يأتي هذا الصوت ؟

ـ أي صوت سمو الأمير ؟

ـ ألم تسمع شيئا ؟

ـ عفوا سيدي لم أسمع شيئا !

مشـيت في البهـو حتـى وصلـت إلى جنـاح نـوم الأمـيرة، فتحـت البـاب بسرعـة، لم أجـد أحـد بالغرفـة سـوى الوصيفات وهـن يقمـن بترتيـب الغرفـة، بـادرت بسـؤالهن :

ـ ألم تسمع إحداكن صوتا ما ؟

ـ أجابوا بصوت واحد :

ـ لا سمو الأمير .

تداركـت الأمـر بسرعـة وقلـت في نفـسي، بالتأكيـد أنهـا أضغـاث أحـلام، ربـما أثـر عـليَّ المجهـود الـذي بذلتـه في الأيـام الماضيـة والتـي سـبقت الحفـل .

عـدت للخلـف عدة خطـوات، خرجت مـن بـاب الغرفة، ثم أغلقتـه ورائـي بقـوة، وأنا أشـعر بأن شـيئا مـا يحـدث في الخفاء .

اتخـذت طريقـي إلى جنـاح نومـي، وأنـا أشـعر أننـي لم أكـن أحلـم، لا كان مـا سـمعته حقيقـة واقعـة، ولكـن لمـاذا لم يسـمعه أحـد غـيري ؟



استلقيت ثانية على الفراش، لحظات ودخل خادم أبي الأمين، ما إن رأيته حتى قلت له :

ـ أحمد «الباري»، لقد جئت في الوقت المناسب !

ـ لقد ظننت أني سأجدك نائما سمو الأمير .

ـ اجلس .

ما إن جلس، قصصت عليه بالتفصيل ما حدث، نظر إليَّ بتعجب ودهشة وقال :

ـ لا وقت لدينا سمو الأمير لنبحث في هذا الأمر، يبدو وأنك مُثقل بالهموم، لذلك هُيئ لك ما حدث، بدليل أن أحدا منا أو من الحراس والخدم سمع شيئا .

ـ لقد حضرت سمو الأمير لأوقظك، ظننت أنك مستغرق في النوم ! عليك أن تستعد من الآن، الوقت ليس في صالحنا، والآن سأعيد عليك الترتيبات الخاصة بالحفل .

بدأ خادم أبي الأمين في تلقيني كل شئ عن المراسم بما في ذلك استقبال الأميرة «إسراء» .

ثم انصرف خارجا إلى حيث حراس القصر، لمتابعة كل صغيرة وكبيرة، بعد ذلك شق طريقه

إلى حيث كبير الطهاة للاطمئنان على مأدبة العشاء .



قمت من الفراش، استدعيت خادمي الخاص وسألته :

ـ هـل قمـت بتجهيـز كل شـئ ؟ بـما في ذلـك الملابـس التـي سـأرتديها في الحفـل ؟

ـ نعم سمو الأمير،

ـ إذن أحضر أغراضي من خزينة الملابس، الوقت ضيق .

ـ سمعا وطاعة سمو الأمير .

لحظـات وعـاد الخـادم وهـو يتلعثـم ويـردد الـكلام بسرعـة، سـيدي لا أعـرف .....مـاذا حـدث..... هنـاك ..... أمـر...... غريب ......

ـ ماذا تقول ؟ لم أفهم شيئا ؟

ـ عفــوا سـيدي، لقــد وجــدت الإزار وقــد حدثــت بــه تهتــكات شــديدة، لم يعــد صالحــا للارتــداء في الحفــل

ـ من فعل ذلك ؟

ـ منـذ أن صنعـه الخيـاط لم يـره أحـد البتـة سـمو الأمـير، لقـد رأيتـه بالأمـس ولم يكـن بـه شـيئا البتـة، جهـزت بالأمـس الملابـس التـى كان مـن المفـترض أن ترتديهـا، وكان كل شـئ عـلى مـا يـرام .



اتهمته بالكذب والخداع والإهمال، رغم أنه أقسم ب«الباري» إلا أنني لم أصدقه .

وضع الإزار في خزينة الملابس، ثم أخرج واحدا آخر صنعه الخياط لهذه المناسبة، لأنه كان من المفترض أن يستمر الحفل طوال النهار، لذلك صنع الخياط إزارين، أحدهما للصباح والآخر للمساء .

ارتديت ملابسي وأنا أشعر أن الأمور لن تكون على ما يرام ولا أعرف لماذا انتابني هذا الشعور، أكاد أجزم أني رأيت خيال الساحرة الصماء وصيفة «ذات الرداء» وهي تراقبني وأنا أهبط درجات السلم، بعد أن هبطت عدة درجات، توقفت ثم نظرت ورائي بسرعة، لم أرى أحدا غريبا عن المكان، الخدم يروحون ويجيئون كما هو معتاد في هذه المناسبات، منهم من يحمل آنية الطعام متجهين إلى الموائد، وآخرين يحملون كؤوس الشراب ويطوفون بها على المدعوين، بدأت الهبوط ثانية ثم توقفت برهة، أشعر جيدا بأن أحد ما ينظر إليَّ، يراقبني، عيونه تحاصرني ولكني لم أجد أحدا، التفت أكثر من مرة ناحية اليمين وناحية اليسار، كان كل شئ على ما يرام، أزحت عن ذهني الأفكار السوداء وواصلت الهبوط حتى القاعة الرئيسية .

طبقا للبروتوكول المعمول به في هذه الحفلات، كان من المفترض أن يلقي الملك الأب كلمة قصيرة بمناسبة توليه العرش ولكنه أصيب في ذلك اليوم بوعكة صحية خفيفة، ففضل أن ألقيها نيابة عنه أمام الجمع الموجود في الحفل .

لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي لا يلقي فيها أبي كلمة في مناسبة توليه عرش مملكة «ساموراء» .

ألقيت كلمة قصيرة ثم اتجهت إلى البوابة المؤدية لحديقة القصر بعد أن أبلغني المسئول عن الحفل عن قرب قدوم الأميرة «إسراء»، لحظات وأطلق الحراس النفير معلنين دخول العربة الملكية إلى ساحة القصر الملكي .

توقفت العربة التي تجرها الخيول أمامي مباشرة، أسرع أحد الخدم بفتح باب العربة ثم وضع سلما ذو ثلاث درجات لتنزل عليه الأميرة، ما إن همت بالنزول حتي مددت لها يدي، وضعت عليها راحة يديها، ما إن وضعت قدميها على الأرض حتي انحنت في رقة لتحييني، انحنيت وقبلت يدها ثم اتجهنا مباشرة إلى داخل القصر، وعلى اليمين واليسار كان الأمراء والأميرات والنبلاء ينحنون كلما مررنا أمامهم إنحناءات رقيقة تحية لنا.

بينما نحن نسير جنبا إلى جنب على السجادة الحمراء التي تتوسط القاعة، تعثرت قدم الأميرة في طرف السجادة،

اختـل توازنهـا وكادت أن تقـع عـلى الأرض لـولا أني أمسـكت يدهـا بقـوة وأمسـكت بيـدي الأخـرى كتفهـا لأسـاعدها عـلى اسـتعادة توازنهـا، توقفنـا مكاننـا لحظـة لكـي تعيـد الوصيفـات فسـتانها الأبيـض إلى مـا كان عليـه .

اسـتكملنا سـيرنا عـلى السـجادة الحمـراء ومـن ورائنـا يسـير حشـد كبير من الأمـراء والأمـيرات، وصلنـا إلى القاعة الرئيسـية والتـي سـيقام فيهـا حفـل الزفـاف، كان يسـير خلفنـا فتيـات صغـار وهـن يحملـن الشـموع، ويتقدمنـا المسـئول عـن تنظيـم الحفـلات في القـصر الملكـي، لكـي يرشـدنا إلى المـكان الـذي سـنجلس فيـه، بالفعـل جلسـنا عـلى المقاعـد المخصصـة لنـا .

بدأ الحفل بعزف مقطوعات موسيقية متنوعة .

وعندمـا توجهنـا إلى أماكـن جلوسـنا لنشـاهد فقـرات الحفل المختلفـة، لم يفطـن أحـد إلى وجـود طفلـة صغـيرة كانـت ضمـن مجموعـة الأطفـال الذيـن يسـيرون خلفنـا وهـى تحمـل شـمعة وتقـف وراء الأمـيرة «إسراء» .

الفقـرة الثانيـة كانـت رقصـة والمهـرج، اندفـع بملابسـه الفضفاضـة والمزركشـة بألـوان صارخـة يقفـز في كل مـكان في حـركات دائريـة متنوعـة، صعـد عـلى أول درجـات السـلم المؤديـة إلى الـدور العلـوي، أراد أن ينزلـق مـن عـلى الدرابزيـن الجانبـي، اختـل توازنـه، فسـقط عـلى تمثـال كبـير مـن البرونـز



لطفـل يرفـع يديـه لأعـلى، وانحـرف عـلى درجـات السـلم وسـقط عـلى الأرض .

ارتفعـت آهـات الحضـور الذيـن كانـوا يتابعونـه وهـو يقفـز هنـا وهنـاك ويضحكـون .

كانـت سـقطة المهـرج قويـة، أخـذ يتـألم بصـوت مرتفـع، أسرع الحـاضرون إليـه، صرخـت الأمـيرة «إسراء» ثـم جذبتنـي مـن يـدي، أسرعنـا إليـه دون أن نـدري أن الطفلـة تركـت الشـمعة التـي تمسـك بهـا جانبـا ولم يلحـظ أحـد أن الشـمعة المشـتعلة قـد وقعـت عـلى الطـرف الخلفـي لفسـتان زفـاف الأمـيرة «إسراء» والـذي يبلـغ طولـه عـدة أمتـار ـ بسـبب انشـغالهم بـما حـدث للمهـرج ـ، اشـتعلت النـيران في طـرف الفسـتان، وفي لحظـات قليلـة كانـت النـيران قـد التهمـت جـزءًا كبـيرًا مـن الطـرف الخلفـي لفسـتان الزفـاف، كان الـكل مشـغول بـما حـدث للبهلـوان، نظـرت خلفـي لكـي أرى أيـن ذهـب طبيـب الملـك، لاحظـت النـيران المشـتعلة، نبهـت الأمـيرة إلى ذلـك وأسرعـت ومعـي بعـض حـراس القـصر محاولـين إطفـاء النـيران دون أن نـؤذي الأمـيرة، وقـد كان .

أفسـح الجميـع لطبيـب الملـك الـذي جـاء عـلى عجـل، نظـر للمهـرج الـذي كان ملقـى عـلى الأرض وهـو يتـأوه ويمسـك بظهـره، التفـت الطبيـب إليَّ وقـال :

ـ يبـدو سـمو الأمـير أن السـقطة كانـت عنيفـة، سـيحمله الخـدم برفـق إلى غرفتـي، يبـدو وأن سـاقه قـد كُـسر، سـيحتاج بالتأكيـد لأن نربـط القـدم ببعـض الأربطـة لفـترة طويلـة .

هـذه الأحـداث أثـرت بشـكل أو بآخـر عـلى المـزاج العـام، لذلـك فضلـت إنهـاء الحفـل قبـل موعـده بكثـير، واصطحبـت الأمـيرة «إسراء» لمـكان إقامتنـا في الـدور العلـوي مـن القـصر الملكي وسـط تهنئـة ومباركـة الملـك الأب والأمـراء والأميرات.

أسرتنـي الأمـيرة «إسراء» في أيـام قلائـل برقتهـا ووداعتهـا وشـفافية قلبهـا وصوتهـا الرقيـق الدافـئ وعيونهـا السـوداء، حتـى لقـد تمنيـت أن لا تعـود الأمـيرة «ذات الـرداء» مـن قـصر أبيهـا في مملكـة «بـراء» .

ولكـن وآه مـن كلمـة لكـن هـذه ...... حـدث مـا توقعتـه ولم أكـن أتمنـي أن يحـدث .

بعـد بضعـة أيـام حـضر رسـول مـن مملكـة «بـراء» وأبلغنـي أن الأمـيرة «ذات الـرداء» سـوف تصـل إلى قصرهـا خـلال يومـين، لقـد كان هـذا الخـبر كفيـلا بـأن يثـير حالـة مـن التوتـر والاسـتياء لـكل مـن في قـصر إقامتهـا أو في القـصر الملكـي .

أنـا الآن في موقف لا أحسـد عليـه، لي زوجتان مـن صاحبات الـدم الملكـي، إحداهـن حمقـاء، سـليطة اللسـان، بلهـاء، والأخـرى عطوفـة، رقيقـة، حنونـة، جميلـة، وغـير ذلـك الكثير .



الشـئ المذهـل والغريـب أن حريـة اختيـار من سـأعيش معها أصبحـت ترفـاً لـن أنالـه، فليسـت لي حريـة الاختيـار حتـي في أن أتخلـص ممـن أتهمهـا بالحمـق والغبـاء، لأننـي إن أقدمـت عـلى هـذه الخطـوة، ربـما تـأتي بتوابـع سـلبية كثـيرة عـلي العـرش وعـلى المملكـة، فأبيهـا ضيـق الأفـق، وربـما يقـدم هـو عـلى خطـوة أشـد عنفـا، لـذاك آثـرت السـلامة وقـررت الاحتفـاظ بهـا مـن بـاب اتقـاء الـشرور، فرغـم أنهـا لـن تصبـح الملكـة الأم في يـوم مـن الأيـام إلا أننـي لـن أسـتطيع التخلـص منهـا .

الفـرق كبـير بـين موقفـي الآن وبـين موقـف أبي، لم أكـن أفضـل أن أطبـق نظريتـه، ولكنـي مضطـر لأن أتبنهـا، أقصـد السـعي للحصـول عـلى كل شـئ .

لذلـك انحـصرت حسـاباتي في نقطـة واحـدة، الاحتفـاظ بالأمـيرة «ذات الـرداء» كزوجـة فقـط، والاحتفـاظ بالأمـيرة «إسراء» كحبيبـة، وزوجـة، وأم ولي العهـد .

نظريـة أبي في ظاهرهـا ممتعـة ـ السـعي للحصـول عـلى كل العصافـير التـي تقـف عـلى الشـجرة، بـدلا مـن الاكتفـاء بعصفـور واحـد في اليـد ـ فرغـم أن نظريـة أبي أثبتـت فشـلها عنـد التطبيـق عـلى الأرض، إلا أننـي أخـذت بهـا .

لقـد عـدت ثانيـة إلى نقطـة الصفـر، أو بكلـمات أوضـح ومحـددة، نقطـة مـا تحـت الصفـر .



الصفـر هنـا هـو عـدم زواجـي مـن الأصـل مـن الأمـيرة «ذات الـرداء»، ولكـن بـما أنهـا أصبحـت زوجتـي ولا أسـتطيع التخلـص منهـا الآن والاحتفـاظ بغيرهـا فقـد عـدت إلى نقطـة مـا تحـت الصفـر

كل الاحتـمالات كانــت تــدور بــرأسي ورســول الأمــيرة «ذات الــرداء» يقــف أمامــي .

أفقت علي سؤال الرسول :

ـ هل يأمر سمو الأمير بشئ ؟

رفعت رأسي وقلت بحدة :

ـ لا، انصرف أنت الآن

الخبر السعيد

كان الاتفـاق بيني وبـين الملـك الأب يقـضي بـأن تقيـم الأمـيرة «ذات الـرداء» في قصرهـا عـلى أطـراف مملكـة «سـاموراء» وأن تقيـم الأمـيرة «إسراء» في القـصر الملكـي الـذي يقيـم فيـه أبي، وأن أقيـم أنـا مـع الأمـيرة «إسراء» عـلى ألا أنسـى واجبـاتي الإنسـانية تجـاه الأمـيرة «ذات الـرداء»، ورغـم أن هـذا الاقـتراح لم يلـق الترحيـب الـكافي عندمـا عرضتـه عـلى الأمـيرة «ذات الـرداء» إلا أننـي نفذتـه بالفعـل .

عـادت الأمـيرة «ذات الـرداء» مـن رحلتهـا كـما قـال رسـولها بعـد يومـين، عندمـا وصلنـي خـبر عودتهـا اتجهـت إلى قصرهـا، كـما كنـت أتوقـع كان الاسـتقبال فاتـرا للغايـة، كلـمات مقتضبـة، إحسـاس دفـين بالغضـب، شـعور بالإهانـة، أعـرف جيـدا مـا تشـعر بـه الأمـيرة، هـي بـلا شـك تشـعر بجـرح غائـر بكرامتهـا، ولكـن مـاذا كان عـليَّ أن أفعـل ؟ هـل أتـرك أحلامي وأحـلام أبي تتكسر عـلى صخـور الواقـع ـ أن نـرضى جميعـا بـما سـتفرضه علينـا إرادة الأمـيرة وإرادة أبيهـا المخـادع ـ أعـرف

هـذه الأحاسـيس المتشـابكة المضطربـة والتـي قـد تنتـاب المـرء للانتقـام ، ولكـن لم أكـن أتخيـل أن يصـل الأمـر إلى هـذا الحـد مـن الـشر المكنـون .

بعـد أسـابيع مـن زواجـي مـن الأمـيرة «إسراء» جاءنـا الخـبر الـذي كنـا ننتظـره أنـا وأبي .

شـعرت الأمـيرة «إسراء» ببعـض الآلام في البطـن، اسـتدعينا كبـير الأطبـاء، لحظـات وخـرج مـن حجرتهـا ومـن ورائـه كبيرة وصيفاتهـا ووجهـه متهلـلا مـن الفـرح وقـال في سـعادة غامـرة :

ـ الأميرة تحمل جنينا سمو الأمير ....

وقبـل أن يكمـل كلامـه عـن العنايـة الخاصـة التـي سـوف يوليهـا هـو وكل مـن في القـصر لهـا، أسرعـت لغرفـة الأمـيرة، وهـو يمـشي ورائـي وهـو يتحدث عـن جرعـات من الأعشـاب يجـب أن تتناولهـا الأمـيرة «إسراء» حتـي تعـبر فـترة الحمـل لأن بنيانهـا ضعيـف، ثـم قـال موجهـا كلامـه لي وهـو يلاحقنـي :

ـ سـآتي بعـد أن أقـوم بتجهيـز الأعشـاب التـي تحتاجهـا الأمــيرة .

مــا إن رآني كل مــن في غرفــة الأمــيرة حتــى انصرفــوا خارجـين بسرعــة، اقتربــت مــن فــراش الأمــيرة وعلامــات النشـوة تبـدو واضحـة عـلى وجهـي، فقلـت لهـا وأنـا أقـترب منهـا وأنــا أنحنــي :



ـ أخيرا سمو الأميرة جاءت اللحظة التي انتظرتها طويلا، قبلت رأسها وجلست إلى جانبها وأنا أمسك بيدها .

ـ أحمد «الباري» أنني سأستطيع أن أحقق لك ما تتمناه سمو الأمير .

لم تكن حالة الأميرة الصحية في أحسن حال، كان الشحوب باديا على وجهها، استأذنتها في أن أبشر أبي بهذا الخبر السعيد والذي كان ينتظره بشوق شديد .

كان أبي يجلس كعادته في حديقة القصر وهو يستمع لمستشاريه وهم يتحدثون الواحد تلو الآخر عن حلول لمشكلات تواجه المملكة، ما إن رآني قادما من بعيد حتي أدرك أن هناك خطب ما، فلم أتعود أن آتيه في هذا التوقيت، إلا إذا كان هناك خطب جلل .

صرف مستشاريه ثم نظر إليَّ ثانية وأنا أتقدم نحوه في هدوء وأن أفتح ذراعي عن آخرهما

وقلت باسما :

ـ مولاي الملك، آن للملك أن يسعد الآن، الأميرة «إسراء» تحمل في أحشائها أحلامنا !!!

لم يتمالك الملك الأب نفسه من السعادة، بعد أن سمع هذا الخبر وقف في مكانه وقال :



هـذا مـا كنـت أنتظـره منـذ سـنوات، أخـيرا سـيتحقق مـا كنـت أسـعى إليـه، أن أحافـظ عـلى ملـك الآبـاء والأجـداد، وأشـار إلى خادمـه الخـاص فاقـترب منـه وقـال :

ـ أمر مولاي

ـ أعـدوا موائـد الطعـام في حديقـة القـصر الخلفية واسـمحوا لعامـة النـاس بالدخـول لمـدة سـبعة أيـام، أريـد أن يسـعد كل مـن في هـذه المملكـة بهـذا الخـبر .

ـ سمعا وطاعة مولاي الملك

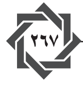
انـصرف خـادم الملـك بسرعـة لكـي ينفـذ الأمـر، جلسـت إلى جانـب أبي وتجاذبنـا أطـراف الحديـث والسـعادة لا تفـارق وجهينـا

ـ وكيف حال الأميرة الآن يا بني

ـ تشـعر بسـعادة غامـرة، مـا يقلقنـي هـو الوهـن الشـديد الـذي يبـدو عـلى وجههـا وجسـمها

اسـتمر الحديـث بينـي وبـين أبي فـترة طويلـة، لم يتطـرق أحدنـا إلى الأمـيرة «ذات الـرداء» إلا أن أبي قـال بضـع كلـمات مقتضبـة في نهايـة الحديـث لم تشـعرني بالارتيـاح لم هـو قـادم، بـل أثـارت في نفـسي الكثـير مـن القلـق .

لن أنسى ما قاله، رفع رأسه ونظر للسماء وقال :



ـ آمل أن تلتقي إرادة «الباري» مع إرادتنا !

اعتبرت هذه الكلمات دعوة بوصول ولي العهد إلى دنيانا بسلام .

مرت أيام وأيام وحالة الأميرة «إسراء» في تحسن مستمر،

عندما أعد الطهاة موائد الطعام في الحديقة الخلفية للقصر الملكي، اندفع العامة والبسطاء إليها كالنار في الهشيم يلتهمون منها ما لذ وطاب وهم يتضاحكون ويمرحون .

انتشر الخبر عن قرب وصول ولي العهد للأمير علاء بسرعة البرق، حتى وصل إلى أحد رجال الأميرة «ذات الرداء»، والذين استمالتهم واشترتهم ـ عن طريق خادمتها الساحرة الصماء ـ لكي ينقلوا لها ما يحدث في القصر الملكي .

دخلت الساحرة الصماء على الأميرة «ذات الرداء» وقامت بإشارات من يديها، تعني بها أن أحد رجالهم يطلب لقاء الأميرة .

نظرت إليها الأميرة بتعجب شديد وقالت في نفسها ما الذي أتى به الآن ؟ ترى هل حدث شيئا لا يستحق الانتظار !!



ـ أدخليه على الفور

دخل الرجل ثم انحني احتراما للأميرة وقال :

ـ سمو الأميرة طلبت مني أن أبلغها أولا بأول بأي جديد داخل القصر الملكي !!!

ـ نعم هذا حدث

ـ أحمل خبرا، أحسبه يستحق المكافأة مولاتي

ابتسمت الأميرة وأشارت إلى ساحرتها الصماء، التي فتحت ما يشبه صندوقا موضوعا في خزينة ملابس الأميرة والتي تحتفظ فيه الأميرة بحليها ومجوهراتها .

مدت الأميرة يدها فيه وأخرجت العديد من القطع الذهبية وألقت بها عند قدميها، انحنى الرجل يلتقط القطع الذهبية من على الأرض وهو يقول :

ـ الأميرة «إسراء» زوجة الأمير «علاء» تحمل جنينا في أحشائها، تأكدت من الخبر بنفسي، لقد أكد طبيب الملك ذلك، وأعدوا موائد الطعام للعامة في حديقة القصر ابتهاجا بهذا الخبر السعيد .

وضعت الأميرة يدها على جبينها وتراجعت خطوة للوراء .



عندمـا لاحظـت السـاحرة الصـماء بـأن نوبـة المـرض ستهاجم الأمـيرة، صرخـت في وجـه الرجـل وأشـارت لـه بالخـروج مـن غرفـة نـوم الأمـيرة، وقـف الرجـل بسرعـة بعدمـا التقـط آخـر عملـة ذهبيـة مـن عـلى الأرض وانـصرف مسرعـا وهـو يضعهـا في جيـب سـترته .

لم تسـتطع قـدم الأمـيرة حملهـا، فهـذا آخـر مـا كانـت تتمنى، حـدث مـا توقعتـه السـاحرة الصـماء، فـما إن سـقطت الأمـيرة عـلى ظهرهـا عـلى الفـراش حتـى بـدأت تتلـوى، كـما كان يحدث في كل مـرة تهاجمهـا نوبـة المـرض، تفـرد ذراعيهـا ثـم تضمهـما ثانيـة، تدفـع قدميهـا بعيـدا ثـم تعيـد ثنيهـما، تغلـق عينيهـا ثـم تفتحهـما حتـي كانـت تبـدو وكأن مقلتيهـا سـتخرجان مـن مكانيهـما، كانـت تهـز رأسـها تـارة ناحيـة اليمـين وتـارة أخـرى ناحيـة الشـمال وهـي تـصرخ بأعـلى صوتهـا .

أسرعـت السـاحرة الصغـيرة وفعلـت مـا كانـت تفعلـه في كل مـرة تنتـاب الأمـيرة نوبـة المـرض جثمـت عـلى صدرهـا ثـم وضعـت قطعـة مـن المطـاط في فمهـا وباعـدت بـين يديهـا حتـى لا تنـزع قطعـة المطـاط مـن فمهـا فتـؤذي نفسـها دون أن تدري .

بعـد فـترة مـن الوقـت هـدأ كل شـئ إلا إحسـاس الأمـيرة بالوهـن والضعـف والإرهـاق الشـديد .



نهضت الساحرة الصماء من فوق صدر الأميرة وجففت جبينها ، ثم وقفت في منتصف الغرفة وهى تشير للأميرة «ذات الرداء» إشارات ذات معني،...... فردت عليها الأميرة بالإيجاب .

خرجت الساحرة الصغيرة من غرفة الأميرة على عجل، واتجهت إلى الأحراش المحيطة بالقصر .

مكثت عدة ساعات ثم عادت إلى غرفة الأميرة، ما إن رأتها الساحرة حتى قامت بتحريك أصابع يديها بإشارات ذات معنى .

فهمت الأميرة ما تعنيه الساحرة الصغيرة وأن كل شئ على ما يرام .

ابتسمت الأميرة في خبث وشماتة

الأميرة الثكلى

وهـذا حـدث آخـر حُفـرت تفاصيلـه في ذاكـرتي، لـن أنسـى هـذا الحـدث مـا حييـت .

فقـد كنـت أجلـس في حديقـة القـصر مـع بعـض الأمـراء والنبـلاء، نتجـاذب أطـراف الحديـث في موضوعات شـتى، بينما يتكلـم أحدهـم عـن رغبتـه في تحديـد موعـد للخـروج للصيـد في الـبراري، أحسسـت بانقبـاض شـديد في صـدري، لم أهتـم كثـيرا بـما أشـعر بـه، حاولـت أن أتجاهـل ذلـك الإحسـاس القاتـم بداخـلي، بعـد أن انتهـى اللقـاء برحيـل الأصدقـاء كل إلى منزلـه، أسرعـت أنـا إلى الأمـيرة «إسراء» .

دخلـت غرفتهـا، وجدتهـا مسـتلقية عـلى فراشـها ومـن حولهـا الوصيفـات وهـن يعرضـن عليهـا ملابـس زاهيـة للطفـل القـادم .



حينـما وقعـت عينـاي عـلى ملابـس الطفـل ارتسـمت عـلى وجهــي ابتســامة أمــل وتفــاؤل مســحت جــزءا كبــيرا مــن إحسـاس الانقبـاض الـذي كان يجثـم عـلى صـدري منـذ قليـل .

اقتربــت منهــا، قبلتهــا في جبينهــا، دعتنــي للجلــوس إلى جانبهــا في الفــراش وهــي تمســك بيــدي وســألتني في رقــة متناهيــة وهــي تداعبنــي :

ـ هل يرغب سمو الأمير أن يكون أبا لطفل أم لطفلة ؟

أجبتها دون أن أتردد

ـ أريـد طفلـة تشـبه أمهـا كثـيرا، وأريـد طفـلا يكـون ملـكا ذا شــأن كبــير .

ـ قالت وهي تبتسم

ـ لقد خيرت سمو الأمير بين شيئين، فاختارهما معًا !!!

ـ ألم يكــن ســؤالي واضحــا ســمو الأمــير ؟ ثــم أمســكت الأمـيرة بـرداء صغـير أبيـض ورفعتـه أمـام عينـي وقالت أشـعر أننــي ســألد طفلــة في القريــب، أعــرف ســمو الأمــير الشــعور الجـارف الـذي يسـيطر عـلى مـولاي الملـك الأب في أن يكــون لــه ولي عهــد يحافـظ عـلى ملـك الآبـاء والأجـداد .



ـ لا تقلقـي بشـأن هـذا، لا حيلة لأحـد في ذلـك، ف«الباري» يختـار لنـا دائـما، وليـس لنـا أن نعـترض عـلى مشـيئته، ربـت عـلى كتـف الأمـيرة ثـم وقفـت وقلـت لهـا :

ـ سـأذهب الآن إلى قـصر الأمـيرة «ذات الـرداء» وسـأعود قبـل أن يسـدل الليـل سـتائره .

حسنا سمو الأمير سأنتظرك .

خرجـت مـن غرفـة الأمـيرة «إسراء» متوجهـا إلى جنـاح أبي لكـي نراجـع بعـض الأمـور الخاصـة بالمملكـة، طرقـت بـاب غرفتـه فلـم أسـمع ردا مـن الداخـل، قلـت ربـما مـازال الملـك نائـما لقـد عانـى كثـيرا في الفـترة الأخـيرة مـن أمـور شـتى ولم تعـد صحتـه تتحمـل كـما في السـابق، سـأذهب أولا إلى الأمـيرة «ذات الـرداء» والتـي لم أراهـا منـذ يومـين أو أكثـر .

اسـتدرت وأنـا عـازم عـلى أن أشـق طريقـي إلى قـصر الأميرة «ذات الـرداء»، ولكـن لا أعـرف مـا الـذي اسـتوقفني ، لقـد تـسرب إليَّ ثانيـة الشـعور بالانقبـاض، غالبـت نفسي وأكملـت سـيرى في البهـو، ثـم نزلـت بضـع درجـات عـلى السـلم المؤدي إلى القاعـة الرئيسـية في طريقـي إلى خـارج القـصر .

مازلـت أشـعر بـأن شـيئا مـا يحـدث في الجـوار، نفـس هـذا الإحسـاس انتابنـي ليلـة زفـافي، أشـعر بـأن أحـدا مـا يراقبنـي، عيـون تتلصـص هنـا مـرة وفي الأسـفل مـرة وفي البهـو مـرة، العيـون تحـصرني ولا أعـرف لمـاذا ؟



بعـد أن وصلـت إلى منتصـف السـلم، سـمعت صـوت صرخـة مدويـة، أعتقـد أنهـا هـزت حوائـط القـصر مـن شـدتها ـ أو هكـذا خُيـل إليَّ ـ، توقفـت ثـم نظـرت حـولي في كل اتجـاه، أريـد أن أعـرف مصـدر هـذا الصـوت، فهـو لا يشـبه صـوت الأمـيرة «ذات الـرداء» والـذي سـمعته مـرات ومـرات مـن قبـل عندمـا كانـت تنتابهـا نوبـات المـرض، التفـت ورائـي ثـم عـاودت الصعـود بسرعـة مـن حيـث جئـت .

لحظـات وسـمعت صرخـة أخـرى قويـة تماثـل سـابقتها، بالتأكيـد هـذه الصرخـات ليسـت خيـالا أو وهمـا .

أسرعـت أجـري في اتجـاه مصدرهـا، لـن أسـتطيع أن أُكـذب أذنـاي، مصـدر هـذه الصرخـات هـو غرفـة الأمـيرة «إسراء»، اقتربـت مـن البـاب بعـد أن هرولـت في البهـو المـؤدي لغرفتهـا، وضعـت يـدي عـلى المـزلاج ثـم فتحتـه بسرعـة .

يـا لهـول مـا رأيـت، الأمـيرة «إسراء» مسـجاة عـلى الأرض وقدماهـا غارقتـان في الدمـاء ومـن حولهـا الوصيفـات يحاولـن حملهـا مـن عـلى الأرض وهـن يصرخـن يطلبـن المسـاعدة .

انحنيـت بسرعـة، حملتهـا بيـدي، وضعتهـا عـلى الفـراش وهـي في حالـة إعيـاء شـديد، قلـت للوصيفـات بعـد أن وضعـت الأمـيرة برفـق عـلى فراشـها :

استدعوا كبير الأطباء، حالة الأميرة لا تحتمل الانتظار .



لحظات وفتح الملك الأب الباب ودخل وهو يتساءل في انزعاج :

ـ سمعت صوت صرخات آتية من هنا !!!

ـ يبدو يا أبتي أن جسد الأميرة قد لفظ الجنين الذي كانت تحمله في أحشائها .

لحظات ودخل كبير الأطباء وهو في حالة ذهول وقال :

ـ خيرا جلالة الملك

أشار الملك الأب للأميرة وعلامات خيبة الأمل بادية على وجهه .

اقترب كبير الأطباء بسرعة من فراش الأميرة وقال بعد أن رأى الدماء تغطي ردائها:

ـ لا أعرف كيف أعبر عن أسفي جلالة الملك .

استدار أبي خارجا من غرفة الأميرة وهو يشعر بإحباط شديد .

بادرني كبير الأطباء بسؤال :

ـ ماذا حدث للأميرة ؟ هل وقعت على الأرض ؟

نظرت لكبيرة الوصيفات أستحثها على الكلام، فاقتربت بسرعة منه وقالت :

شـعرت الأمـيرة بتسـارع في أنفاسـها وطلبـت الدخـول للشرفـة، ومـا إن قامـت مـن عـلى الفـراش ووقفـت إلى جانـب الفـراش وأنـا أسـاعدها عـلى ارتـداء ملابسـها أمسـكت ببطنهـا ثـم قالـت :

الآلام تـكاد تقطـع أمعائـي، ثـم سـقطت عـلى الأرض غارقة في الدمـاء .

نظرت إلى كبير الأطباء، وقلت :

ـ المهم الآن الحفاظ على حياة الأميرة .

ـ لقـد نزفـت الكثير مـن الدماء سـمو الأمـير، ويبـدو الإعياء الشـديد عـلى وجههـا، سـأبذل قصـارى جهـدي في رعايتهـا .

ربـت عـلى كتـف كبـير الأطبـاء وأنـا أخـرج مـن الغرفـة بعـد أن أشـار للوصيفـات بمسـاعدته في تغيـير ملابـس الأمـيرة الملوثـة بالدمـاء .

أسرعـت الخطـى إلى جنـاح أبي كـي أطمئـن عليـه، لقـد كانـت الصدمـة قويـة عليـه، إلى الدرجـة التـي أشـعرتني بأنهـا قـد تـودي بحياتـه .

طرقـت بـاب غرفتـه، لم يـرد، فتحـت البـاب بهـدوء فوجدتـه جالسـا في اتجـاه الشرفـة وهـو ينظـر إلى السـماء ويتمتـم ببعـض الكلـمات، اقتربـت منـه بهـدوء ثـم جلسـت إلى جانبـه وقلـت :



ـ سيعوضنا «الباري» حتما عما فقدناه وسيبدلنا غيره !!!

رد قائلا في حسرة :

ـ ألم أقل لك، آمل أن تلتقي إرادتنا مع إرادة «الباري» يا بني، للمرة الثانية لا تلتقي إرادة «الباري» مع إرادتنا، صمت قليلا، ثم استطرد يقول كأنما تذكر شيئا سيجعله يغير من رؤيته لما يحدث :

ـ أريد أن أعرف ماذا حدث بالتفصيل، ثم أشار لخادمه الخاص وقال :

ـ أريد كبير الأطباء فور أن ينتهي من مهمته

ـ سمعا وطاعة مولاي

التفت إليَّ وسألني :

ـ هل كنت مع الأميرة «إسراء» عندما لفظ جسدها الجنين ؟

ـ رددت على سؤال أبي بتأثر وحسرة كبيرة قائلا :

لا يا أبتي، حضرت بعد ذلك، عندما سمعت صراخا يأتي من جناحها، فوجدتها ملقاة على الأرض والدماء تغطي ملابسها والجنين بين قدميها وبشرته تبدو زرقاء اللون، الأرجح أنه مات في بطنها، فلفظه جسدها



ـ وما كان نوع الجنين ؟

أجبته والدموع تنهمر من عيناي

ـ كانت طفلة يا أبتي

ـ واأسفاه يا بني، رغم أني كنت أتمنى من «الباري» أن ينعم علينا بولي عهد ليحفظ ملك الآباء :

والأجداد، إلا أنني كنت أتمنى في داخلي أن أرى أميرة من نسلنا،

ثم قال بصوت خفيض أكاد لا أسمعه :

ـ أخذ مني «الباري»وديعتيه، وتركك لتحمل على كتفيك ميراث الآباء والأجداد، ولكن الطريق مازال طويلا لتحقق أحلامي وأحلام آبائي وأجدادي يا بني كلما اقتربنا من تحقيق الحلم نجد شيئا ما يقف حائلا بيننا وبين تحقيقه، كأنما «الباري»يعاقبنا على شئ ما !



أعمال سوداء

قبل أن يكمل أبي كلامه، سمعنا طرقا على باب جناحه، فتح خادمه الباب وقال :

ـ كبير الأطباء مولاي الملك يستأذن في الدخول

ـ دعه يدخل الآن

تقدم كبير الأطباء من مجلسنا، انحنى تحية للملك وقال :

ـ أمر مولاي

ـ كيف حال الأميرة «إسراء» الآن ؟

ـ يؤسفني أن أقول إنها في حال سيئة مولاي، ولكن أعتقد أنها ستتجاوز هذه المحنة خلال أيام قليلة، لقد فقد جسدها الكثير من الدماء، وسقوط الجنين تسبب في حالة هزال وإعياء شديدين، هي الآن في حالة إغماء، ربما تستمر طوال اليوم، وأتمنى أن تؤتي الأعشاب المقوية التي تناولتها المرجو منها، ولكن ما يثير القلق الآن مولاي الملك ليس



هو فقط حالة الأميرة الجسدية، بل حالتها النفسية، لم تتوقف الأميرة عن البكاء إلى أن غابت عن الوعي، وأحسب أن الأمر سوف يستغرق الكثير من الوقت حتى تبرأ

ـ ولكن ماذا حدث ؟ أريد أن أعرف بكل دقة ماذا حدث، كل صغيرة وكبيرة عن حالة الأميرة منذ أن بدأت تتابع حالتها

ـ لا شئ مولاي الملك، لقد تبدّلت الأمور من حال إلى حال، فقبل بضعة أشهر كنت آتي لأتابع حمل الأميرة، كان كل شئ على ما يرام، كانت حالتها الجسدية طيبة للغاية رغم الوهن الذي يصاحب حملها للجنين، وكلما كان يقترب موعد ولادتها كانت علامات السعادة تبدو واضحة عليها، الأمر الغريب مولاي الملك أن كل ذلك تحول فجأة وحتى دون سابق إنذار، بالأمس فقط كنت أتابع حالتها وكانت جيدة للغاية، لا أجد سوى تفسير واحد لذلك مولاي

قلنا أنا وأبي في لحظة واحدة :

وما هو ؟

ـ أعمال سوداء !

سألته في لهجة حادة :

ـ ماذا تقصد بأعمال سوداء ؟



أثـارت لهجتـي الحـادة وانفعـالي دهشـة كبـير الأطبـاء، ولكنـه أرجـع ذلـك إلى إحسـاسي بالحـزن الشـديد عـلى فقـدي لجنـين كنـت آمـل قدومـه لهـذه الحيـاة .

استشـف أبي مـا كان يـدور في ذهنـي عندمـا تحدثـت إلى كبـير الأطبـاء بهـذه اللهجـة الحـادة، نعـم مـا دار في ذهنـي يتلخص في كلمتـين، أراد كبـير الأطبـاء أن ينفـي عـن نفسـه تهمـة التقصـير في أداء مهمتـه في متابعـة حمـل الأمـيرة «إسراء» فقـال :

ـ أعمال سوداء !

أشار لي أبي بالتروي قليلا وقال :

ـ هل تعني ما قلت ؟

ـ نعـم مـولاي، لا شـبهة تقصـير عـلى الإطـلاق، كل الأمـور كانـت تسـير للأفضـل، هـذا هـو مـا أسـتطيع قولـه، لا تفسـير عنـدي لمـا حـدث سـوى أعـمال سـحر أسـود هـي التـي أسـقطت جنـين الأمـيرة «إسراء»

سـقطت كلـمات كبـير الأطبـاء الأخـيرة عـلى مسـامع أبي وعـلى مسـامعي ككـرات اللهـب التـي يطلقونهـا في الحـروب لتثـير الرعـب في النفـوس .

بينـما كان كبـير الأطبـاء يكمـل حديثـه، كنـت أنـا في مـكان آخـر رغـم أني لم أتحـرك مـن عـلى المقعـد الـذي أجلـس عليـه !



كان ذهني يعرض أمام عيني ما حدث بالضبط منذ ليلة زفافي من الأميرة «إسراء» وما قبلها بقليل .

هذه العيون التي أشعر بأنها تراقبني داخل القصر، تتلصص عليَّ وعلى الأميرة «إسراء»، وسقوط المهرج على الأرض في ليلة زفافي وما حدث له من إصابات جسيمة في ظهره، رغم أن هذه الفقرة قام بها عشرات المرات من قبل، وسقوط الشمعة التي كانت تمسك بها الطفلة على فستان الأميرة واحتراق جزء منه، بالتأكيد هناك أعمال سحر سوداء تجري في القصر، فكل الشواهد تؤكد ذلك .

أفقت على صوت أبي وهو يعطي تعليماته لكل الموجودين بجناحه .

كأننا في حالة حرب وهو يقود المعركة، ويوجه كل من حوله من مساعدين ومستشارين وقادة الجند، ولكن المعركة الآن ليست ضد عدو يقف أمامك يحاول أن يوقع بك الهزيمة بشرف، العدو الآن مجهول، لا نعرف عنه شيئا لا يسعي أن يهزمك إلا بخسة، يتحرك في الظلام، يسعي للنيل منك وممن حولك، يسعي لفرض إرادته عليك عن طريق كسر إرادتك أولا يريد أن يضعك أولا في دائرة من الحزن واليأس والإحباط قبل أن ينقض عليك .

قال أبي لكبير الأطباء :

ـ تابع حالة الأميرة «إسراء» بكل عناية ودقة

التفت إلى خادمه الخاص وقال :

ـ أريد أن تتم اليوم مراسم جنائزية كاملة لتأبين حفيدتي، ثم استدار إليَّ وقال :

ـ ما رأيك في أن ندعوها الأميرة «حسناء»

ـ حسنا يا أبتي، كما تشاء

انصرف كبير الأطباء إلى غرفة الأميرة «إسراء» لمتابعة حالتها، وانصرف خادم أبي

الخاص في طريقه إلى المعبد للإشراف على اقامة المراسم الجنائزية للأميرة «حسناء»

بعد أن أديا التحية للملك الأب قبل انصرافهما .

وجه أبي كلامه لي قائلا :

ـ ألا ترى أن في الأمر شيئا مريبا ؟

ـ بلي يا أبتي، مرضك في الفترة الأخيرة، ما حدث في ليلة زفافي وما سبقها من ليال، ثم ما حدث للأميرة «إسراء»، كل ذلك يدق ناقوس الخطر، هذه الأمور الغريبة لم تحدث من قبل .

ـ سنرى يا بني، ولكن من الذي يسعي للانتقام مني ومنك، هل هو كبير الكهنة «خباء» ؟



هـل هـم كهنـة المعبـد والذيـن رفضـوا تغيـير قانـون الـزواج للأمـراء والملـوك ؟ أم ....

وضع أبي يده على لحيته وهو يفكر مليا فيما سيقوله :

أم الأميـرة «ذات الـرداء»، بسـبب زواجـك مـن الأمـيرة «إسراء» ؟ مـا إن ينتهـي خادمـي الخـاص مـن المهمـة التـي أوكلـت إليـه القيـام بهـا، ويعـود مـن المعبـد، سـوف أوكل إليـه مهمـة أكثـر مشـقة

ـ وما هي يا أبتي ؟

ـ أريـده أن يبعـث رسـلا في المدائـن، يطلبـون مثـول سـحرة المملكـة بـين يديـك خـلال أيـام قلائـل، سـأترك لـك مشـاهدة ورؤيـة أفعالهـم الخارقـة والمثيرة للجـدل والعجـب في آن واحـد

ـ عفوا يا أبتي، لم أفهم ما تعنيه ؟

ـ لـن تراهـم بدافـع اللهـو أو المتعـة، هـي مهمـة أريـدك أن تنجزهـا عـلى الوجـه الأكمل، أريـدك أن تختـار من بينهم الأشـد والأقـوى عـلى الإطـلاق، لكي يبطـل أي أعـمال سـحر موجودة في هـذا القـصر، ويعـرف مـن الـذي قـام بهـا لأعاقبـه بنفسـي

ـ حسـنا يـا أبتـي، سـأنصرف الآن لكـي أطمئـن عـلى الأميرة «إسراء»



ـ أقرئها السلام يا بني وقل لها، أن «الباري» سيعوضها عما فقدته، فالمصاب أليم وحياتنا سلسلة متواصلة من الاختبارات

توجهت إلى باب غرفة أبي قاصدا الخروج، وما إن اقتربت منه حتى أحسست أن أحدا ما يحاول أن يعوق حركة وصولي إليه، توقفت ثم نظرت خلفي، وجدت أبتي ينظر في اتجاه السماء من شرفة غرفته، فقلت بصوت يكاد يكون مسموعا :

ـ عما قريب سينتهي كل شئ

نظر إليَّ أبي وسأل :

ـ هل تقول شيئا ؟

ـ نعم يا أبتي، أردت أن أبعث إليهم برسالة، وأحسبهم قد سمعوها

ما إن اقتربت من الباب حتي وجدت خادم أبي الخاص يدخل وهو يقول :

ـ كل شئ على ما يرام سمو الأمير، المعبد يستعد الآن لإقامة المراسم الجنائزية للأميرة «حسناء»

ـ حسنا، أبي ينتظر في الداخل

وصلت إلى غرفة الأميرة «إسراء»، وجدت كبير الأطباء مازال هناك وهو يعطي تعليمات



كثيرة ومشددة لوصيفات الأميرة، ثم انصرف على أن يعود بعد حين ليطمئن عليها .

أسرع خادم الملك متوجها إلى حيث يقف وقال :

ـ كل شئ على ما يرام مولاي، المعبد يتهيأ لقدوم مولاي لحضور مراسم جنازة الأميرة

«حسناء»

ـ ابعث بالرسل في المدائن لدعوة سحرة المملكة للمثول بين يدي الأمير «علاء»

ـ ومتي يرغب مولاي في حضورهم ؟

ـ ما إن ننتهي من جنازة الأميرة «حسناء»

ـ سمعا وطاعة مولاي

انحني خادم الملك رافعا يديه في مستوى كتفه تحية للملك الأب ثم انصرف في هدوء

عاد الملك الأب ينظر إلى السماء من شرفة غرفته وبدأ يتمتم بكلمات قليلة عن خضوعه

لإرادة «الباري» ، ومستعينا به علي رفع الغمة عن كاهله وعن كاهل الأمير «علاء»



السحرة

أصر الملك الأب علي أن تقام مراسم جنائزية كاملة للأميرة «حسناء» رغم أنها ماتت جنينا في بطن أمها الأميرة «إسراء»، وأقسم على أن ينتقم ممن كان السبب في هذه المأساة

بعد أن انتهت المراسم داخل المعبد، غطى الأمير «علاء» ابنته برداء أبيض فضفاض ثم وضعها في تابوت صغير، وضع التابوت في العربة الملكية، التي شقت طريقها إلى ضفة النهر، ثم توقفت بالقرب من حافته .

هبط الأمير «علاء» من العربة الملكية التي تجرها الخيول البيضاء حاملا التابوت الأسود والذي يحتضن الأميرة «حسناء»، وصل إلى حافة النهر ثم وضع التابوت على الأرض، وإلى جانبه الملك الأب وجموع الكهنة .

جثا الأمير «علاء» على ركبتيه على الأرض إلى جانب التابوت، ثم فتحه وحمل جثمان الأميرة الصغيرة وقبلها، ثم مد يديه للملك الأب الذي حملها وهو يقول :



ـ أقسم بالباري، لانتقمن ممن فعل بك ذلك

قبّل الملك جبينها الصغير ثم وضعها في التابوت

أغلـق الأمـير «عـلاء» التابـوت عـلى الجسـد الصغـير، ثـم دفعـه برفـق في النهـر .

وضع الملك الأب يده على كتف الأمير «علاء» وقال :

ـ المصـاب أليـم والجـرح غائـر يـا بنـي، ولكـن عليـك أن تكفكـف دموعـك، مـازال أمامنـا الكثـير كـي ننجـزه، السـحرة يجتمعـون الآن في القاعـة الرئيسـة في القـصر، عليـك اختبـار قدراتهـم، أريـد أن ننتهـي مـن هـذا الأمـر الليلـة .

مسح الأمير «علاء» دموعه ثم وقف في مكانه وقال :

ـ نعـم يـا أبتـي، إن اسـتطاع السـحرة معرفـة مـن قـام بهـذه الأعـمال، سـنكون قـد قطعنـا شـوطا كبـيرا نحـو حـل هـذه المشـكلة

أسرع الأمـير بالعـودة إلى القـصر الملكـي، مـا إن رآه السـحرة يدخـل إلى القاعـة البيضـاء والتـي يجتمعـون فيهـا حتـي التفـوا حولـه، جلـس عـلى كـرسي العـرش وقـال مخاطبـا إياهـم :

ـ أين كبيركم ؟

تقـدم شـيخ عجـوز بضـع خطـوات مـن الأمـير «عـلاء» وقـال :



ـ سمعا وطاعة سمو الأمير

نظر إليه الأمير بتفحص وقال :

ـ أأنت الذي علمهم السحر ؟

ـ بلى، سمو الأمير

ـ وهل أنت أكثرهم بأسا وقوة ؟

ـ لا سيدي، لقد تفوق عدد منهم، ولكنهم مازالوا عند عهدهم الذي قطعوه على

أنفسهم عندما طلبت منهم قبل أن أعلمهم أن لا يستخدموا أعمال السحر في إيذاء الناس

بل لفك كروب البشر، ورفع الغمة عنهم

ـ وهل ما زالوا عند عهدهم ؟

ـ طبعا سمو الأمير، وإلا لما جئت بهم

ـ وإذا خان أحدهم وعده لك ؟

ـ ننزل به أشد العقاب

ـ وما هو ؟

ـ للمارق منا سمو الأمير، عقاب يتجاوز الأعراف المعمول بها، لقد حذرنا الأقدمون من قتل



السحرة واعتبروا ذلك مصدر شؤم على المكان ولكنهم سمحوا بتقويمهم عن طريق إفقادهم

إحدى حواسهم لكي يرتدعوا ويعودوا إلى صوابهم ويمتنعوا عن إيذاء الناس .

ـ ومن منهم الأشد على الإطلاق ؟

ـ لا يوجد فيهم الأشد على الإطلاق، لكل منهم ميزة يتمتع بها سيدي، منهم من يستطيع

تحريك الأشياء من على مسافة كبيرة، ومنهم من يستطيع مناجاة الطيور، ومنهم من

يستطيع السيطرة على الحيوانات في البرية، وغير ذلك الكثير، ولكن لا يوجد فيهم من

يجمع كل هذه المزايا، ونحن إلى الآن لا نعرف سيدي ما المهمة التي علينا إنجازها

ـ يعتقد الملك الأب أن هناك أمورا تحدث في القصر تسببت في سقوط جنين الأميرة «إسراء»

وقد رسخ كبير الأطباء هذا الاعتقاد في ذهني وفي ذهن الملك الأب، وهو يريد أن يتأكد من

صدق هذا الاحتمال من عدمه، لقد حدثت في الأيام الأخيرة أشياء خارقة للعادة لم نتعود



علي رؤيتها، أشعر بأن هناك عيون تتلصص عليَّ وأنا أتحرك هنا وهناك

اقترب أحد السحرة من كبيرهم وقال :

ـ ألم أقل لك سيدي، عندما دخلنا من الحديقة الرئيسية للقصر رأيت كبيرهم يجلس فوق أحد

التماثيل وهو ينظر في اتجاهنا وما إن رآنا نقترب حتى انصرف بسرعة

التفت كبيرهم إليَّ وقال :

ـ حسنا سمو الأمير، سأصرف من لسنا في حاجة إليه، وأبقي على من نحتاج إلى قدراته

الخارقة

استدار كبير السحرة إلى رفاقه وقال :

ـ لدينا مهمة سنحتاج فيها إلى قدرات هؤلاء، وأشار إلى ثلاثة منهم

بعد أن صرف السحرة قال :

ـ نحن مستعدون الآن سمو الأمير

ـ لا انتظر، سوف تمثلون بين يدي الملك الأب بعد قليل



لحظـات وهبـط درجـات سـلم القـصر خـادم أبي الخـاص وقـال :

ـ سمو الأمير، مولاي الملك ينتظركم في جناحه

ـ حسنا، هيا بنا

بينـما نصعـد درجـات السـلالم الداخليـة في اتجـاه جنـاح أبي، توقـف أحدهـم أمـام أحـد التماثيـل التـي تزيـن الدرابزيـن وقـال :

ـ ليس بعد

دخلـت أولا إلى جنـاح أبي وأبلغتـه بحضـور ثلاثـة سـحرة، اختارهـم كبيرهـم

ـ وهل عرفوا المهمة التي استدعيناهم من أجلها ؟

ـ القليل فقط أبتي

ـ أدخلهم

دخـل كبيرهـم أولا ومـن ورائـه رفاقـه، أدوا التحيـة للملـك بانحنـاءة، ثـم وقفـوا في صـف واحـد

أمام الملك الأب

قال كبيرهم :

ـ أمر مولاي الملك



ـ هناك حدث جلل في هذا القصر، فقدت اليوم حفيدتي وأشعر بأن هناك أيد خفية في القصر تعبث وتحاول النيل منا، ستكون مهمتكم معرفة من يقوم بها، وإبطال مفعول هذه الأعمال السوداء

رد كبيرهم:

هؤلاء مولاي سحرة المملكة الأكفاء

ولسوف نبطل ما فعله السفهاء،

وسنأتيك بالسحر ولو كان ذائبا في الماء

أشار كبيرهم لأحدهم، فتقدم خطوة للأمام

شعره كثيف وعيون الجرذان البيضاء

قصير القامة ووجوه الغربان السوداء

سروال بال ورائحة كلاب الماء

تتدلى من رقبته حية صفراء

ـ مولاي الملك، هذا الساحر يُدعى «سباب»

يفهم لغة الضواري في الصحراء

يأمرها، فتنفذ وإلا فلا بقاء

سلب سحره إرادتها فأصبحت من التعساء

سيطفئ نار السحر السوداء

الذي أصاب الأميرة «إسراء»

أشـــار كبـير السـحرة لرفيقـه «سـباب» لكـي يسـتعرض قدراتـه أمـام الملـك الأب، لقـد وعدهـم بالكثـير والكثـير إن تمكـن أحدهـم أو كانـوا مجتمعـين في بسـط سـيطرتهم عـلى مـا يحـدث في القـصر مـن أعـمال سـوداء

فأمسك الساحر بالحية الصفراء

وتمتم بكلمات غامضة ونفخ في الهواء

هوت الحية على السجادة الحمراء

ثم نظرت إليه بعيون زرقاء

كأنما تنتظر الأمر لتلبيه دونما عناء .

نظـر إليـه الملـك بإعجـاب شـديد، كان مشـهد الحيـة وهـي تهبـط مـن عـلى كتفـه بهـدوء عـلى الأرض وتنظـر إليـه في وداعـة يعنـي أنـه يحكـم سـيطرته عليهـا وأنهـا لا تسـتطيع أن تخالـف مـا يأمرهـا بـه

عندما لاحظ الساحر اهتمام الملك قال :

ـ مـولاي الملـك، هنـاك الكثـير الـذي أسـتطيع أن أؤديـه بمسـاعدة هـذه الحيـة

نظـر كبـير السـحرة للملـك، ثـم أشـار لرفيقـه بالعـودة إلى مكانـه، مشـى الرجـل في خيـلاء بعـد أن

لاحظ اندهاش الملك بقدراته .



أومـأ الملـك الأب برأسـه، فأشـار كبـير السـحرة لرفيقـه الثـاني، فتقـدم خطـوة واحـدة للأمـام

طويل القامة كالبناء

أشعث الشعر جاحظ العينان كالحرباء

وجه مستدير وبشرة سمراء

عريض المنكبين والجسم في امتلاء

قدمه كخف جمل الصحراء

سرواله بالي وخيوطه خرقاء

صغير السن يبدو بالغ الدهاء

قال كبيرهم :

ـ مـولاي الملـك هـذا السـاحر يدعـي «حـراب»، علمتـه منـذ أن كان صغـيرا كيـف يسـتطيع تسـخير الجـان ليطيعـوا أوامـره، طـاوع نفسـه التـي أمرتـه بالسـوء فحـاد عـن الطريـق القويـم وخـان عهـده معـي ومـرق مـن بيننـا، اسـتخدم سـحره للتفريـق بـين الأزواج، ومـا إن بلغنـي الأمـر عاقبتـه بالبقـاء جالسـا القرفصـاء أيامـا وليـالي دون طعـام أو شراب، أعلـن توبتـه وعـاد إلى حيـث كان

أشـار كبيرهـم للسـاحر فبـدأ في عـرض قدراتـه أمـام الملـك الأب



لوح بغصن شجرة بلون الدماء

وتمتم بكلمات مفككة سوداء

فطار صقر كان على كتفه بعيون صفراء

وحلّق في سماء القاعة البيضاء

قال الساحر «حراب» :

مولاي الملك، سخرت جن السماء

يفعل ما آمره به وما أشاء

وإن عصاني يسقط من علياء

أشار إلى مقعد في أقصي الغرفة فتحرك للأمام، ثم أشار إليه ثانية فعاد خطوة للوراء

التفت إلى حيث يجلس الملك الأب وقال :

إن دفعت عن الأميرة «إسراء»

ما حاق بها من بلاء

لا أبغي من مولاي الملك غير الرضاء

أومأ الملك الأب برأسه، علامة على رضائه عن قدراته الخارقة، ابتسم كبيرهم وأشار إليه فعاد إلى مكانه

نظر الملك الأب إلى الساحر الثالث والأخير وسأله :



ـ بما يدعونك ؟

تقدم خطوة للأمام وهو ينحني وقال :

ـ سلاب، مولاي

كان طويل القامة وبنظرته ذكاء

عيونه داكنة كعيون نمس الصحراء

جبهة عريضة وأهداب بيضاء

لحية طويلة حمراء

ـ وماهي قدراتك ؟

أبطل جميع أعمال السحر السوداء

أسيطر على عشرات من الجان في الفضاء

يجوبون البحار والبيداء

ينفذون ما أطلب دون إبداء آراء

لا أتلقى أجرا أو ثناء

أستشرف المستقبل وأحب الاستقراء

قدرات وهبني إياها رب السماء

أحدث الجماد وأسمع أصوات القروش في الماء

تصيب لعنتي كل آفاق وبالنميمة مشاء

سآتيك بسحرها قبل أن يرتد طرفك في الهواء

أعـــرب الملــك الأب عـــن ســعادته وشــعر بــأن هــؤلاء السـحرة سـيقومون بالمهمـة الموكلـة إليهـم

عـلى الوجـه الأكمـل وسـوف يبطلـون هـذا السـحر الأسـود والـذي أودى بحيـاة حفيدتـه وكاد أن

يدمر حياة ولي العهد .

نظر إليهم ثانية وقال :

ـ كلام الملـوك لا يـرد، إن كنتـم الأعلـون سـأجعلكم الأقربـون وأهبكـم الضيـاع ومـا تشـاؤن،

عليكـم بالبـدء الآن في السـيطرة عـلى مـا يحـاك ضدنـا، أنهـى الملـك الأب كلامـه ثـم وقـف في مكانـه، إشـارة تعنـي نهايـة اللقـاء

تقدم كبيرهم خطوة للأمام وقال مخاطبا الملك الأب :

من قامت بهذه الأفعال ساحرة تسعي لتنال الرضاء

من سيدتها « ذات الرداء»

فهي تجزل لها العطاء

تزور الأميرة «إسراء»

كل صباح ومساء

وتنفث شرها في جناح الأمراء

عازمة هي على الإيذاء

وقد أدى سحرها لنزيف الدماء

فسقطت من رحم الأميرة «إسراء»

طفلة بحجم الطلح المنضود في الصحراء

وماتت قبل أن يكتمل البناء

اصطف السحرة وراء كبيرهم واتجهوا إلى باب جناح الملك الأب ومنه إلى الجناح الذي تقيم

فيه الأميرة «إسراء» .

جلس الملك الأب والأمير «علاء» يتشاوران فيما حدث، لقد أدركا الآن أن الساحرة الصماء

والتي ترافق الأميرة «ذات الرداء» هي التي قامت بهذه الأعمال السوداء انتقاما من الأمير

«علاء» بسبب اجترائه على الزواج من الأميرة «إسراء»، ولكن السؤال الآن، هل

سيستطيع هؤلاء السحرة إبطال مفعول هذه الأعمال ؟ أم سنظل نسير في هذه الدائرة طويلا ؟



صراع الأقوياء

بعـد أن توقـف السـحرة مـع كبيرهـم بالقـرب مـن جنـاح الأمـيرة «إسراء»، قـال السـاحر «حـراب»

بعد أن وضد يده على كتف كبيرهم :

ـ حـذرني الآن كبـير الجـان أن المهمـة لـن تكـون سـهلة سـيدي

ـ منـذ متـى والمهـام التـي نقـوم بهـا تكـون سـهلة وبسـيطة ؟ أمامنـا عمـل شـاق، وأنـا أدعوكـم لأن نتكاتـف

رد الثلاثة سحرة مجتمعين :

ـ سمعا وطاعة

ـ يقول كبير الجان أن أعمال هذه الساحرة الصغيرة

معقدة ومركبة استعانت فيها بالماء والهواء

ومسحوق من قرون الظباء

وبضع شعيرات من الأسود البيضاء



وأجنحة خفافيش ماصة للدماء

وعيون صقر صفراء

وأرجل حرباء

ودرع خنفساء

واشتركت جحافل نمل في التمويه والإخفاء

ويحتاج فك طلاسم الأعمال السوداء

إلى تضافر جهود السحرة الأشداء

رد كبيرهم :

ـ أبلغه مأمنه وقل :

ـ نحن في هذا الأمر شركاء

استطرد الساحر «حراب» قائلا وهو يخاطب كبير الكهنة ورفاقه السحرة :

ـ يؤكد كبير الجان أن

أن رحم الأميرة «إسراء»

لن يحتضن الأبناء

ما لم نبطل الأعمال السوداء



ـ حسنا، سننظر ماذا سنفعل مع هذه الساحرة في حينه، أبلغه الآن أن يبحث عن المكان

الذي تصدر منه هذه الأعمال ؟

ـ حالا سيدي

ـ تمتم الساحر «حراب» ببضع كلمات، ثم قال :

ـ قصر الأميرة «ذات الرداء» سيدي

ـ حسنا، سوف أبلغ الأمير «علاء»، أن مكمن الخطورة ومصدرها هو قصر الأميرة « ذات

الرداء»، لذلك عليه أن يهيئ لنا الفرصة لدخول القصر دون أن تعلم الأميرة أو وصيفتها

الشريرة بذلك .

بينما يتحدث كبير السحرة إلى رفاقه عن المهام التي سيوكلها لكل واحد منهم، التفت

الساحر «حراب» ناحية اليمين ثم خطا عدة خطوات في اتجاه جناح الأميرة «إسراء» وقال :

ـ هنا، ولكن ماذا ترى ؟

صمت برهة ليستمع لما يقال له، ثم أجاب قائلا :

ـ وماذا يعني ذلك ؟



عـاد السـاحر «حـراب» إلى حيـث كان يقـف وسـط رفاقـه السـحرة وقـال :

ـ كبـير الجـان سـيدي، يطلـب منـا أن نبـدأ بجنـاح الأمـيرة «إسراء» عـلى أن ننتهـي مـن مهمتنـا

قبـل غـروب الشـمس، وسـوف يمدنـا بـما نحتاجـه عـما يحـدث داخـل جناحهـا

رد كبيرهم :

ـ حسـنا، سـأبدأ أنـا والسـاحر «سـباب» بغرفـة كبـيرة الوصيفـات «دعـاء»، عـلى أن يبـدأ السـاحر

«حـراب» والسـاحر «سـلاب» بغرفـة الأمـيرة»إسراء» ثـم نلتقـي في نفـس هـذا المـكان .

تقـدم كبـير السـحرة ومـن ورائـه رفيقـه «سـباب» مـن بهـو جنـاح الأمـيرة «إسراء»

سـمعا صـوت رعـد وشـاهدا الدمـاء عـلى الأبـواب وألسـنة لهـب فتراجـع كلاهمـا للـوراء

رفـع كبـير السـحرة رأسـه لأعـلى ونظـر حولـه ثـم سـأل رفيقـه :

ـ هل سمعت صوتا يدعونا للعودة للوراء ؟



ـ نعم سيدي، لقد قال :

لكل من كان، عليه العودة من حيث جاء

ليس فيما تسعون إليه أي رجاء

أخذ كبير السحرة يتمتم بكلمات غير مترابطة وجوفاء، ما أن أتمها حتى هوت إحدى ستائر

البهو على الأرض، فتقدم ومن ورائه رفيقه بخطوات ثابتة وهما ينفخان في الهواء في

الممر المضاء والذي يفضي إلى ثلاثة أبواب

أحدها علي اليمين ويؤدي إلى حجرة الإماء، والثاني علي اليسار ويؤدي إلى حجرة كبيرة

الوصيفات دعاء، والثالث في المنتصف ويؤدي إلى حجرة الأميرة «إسراء»

أشار كبير السحرة لرفيقه «سباب» قائلا :

ـ هذه غرفة كبيرة الوصيفات «دعاء»

وصل إلى غرفتها، وضع يده على المزلاج، فسمع صوت بكاء، دفع الباب بهدوء ونظر إلى الداخل، فوجدها تجلس على أريكة خضراء وتنظر بهلع لبقعة من الدماء



نظرت كبيرة الوصيفات لكبير السحرة ورفيقه «سباب» وقالت والدموع تنهمر من عينيها :

ما زلت أرى أشياء

تبدو وكأنها خفافيش ماصة للدماء

تهبط بأعداد كبيرة من السماء

تنوي على الإيذاء

حسبتها أضغاث أحلام سوداء

عندما وجدتها ذات مساء

تنظر إلي من علياء

وحينما رأيت جنين الأميرة «إسراء»

وسط بقعة كبيرة من الدماء

حاولت الصراخ، ولكن صوتي رفض النداء

كانت طفلة مشرقة كالشمس في السماء

ودعاها مولاي الملك الأميرة «حسناء»

إلى متي سيدي يستمر هذا العناء ؟

نظر كبير السحرة بحزن لكبيرة الوصيفات وسألها :

ـ منذ متي وأنت تشعرين بأيد خفية في هذا القصر ؟

ـ منذ أن تزوج الأمير «علاء» من مولاتي الجميلة الأميرة «إسراء»، ولكن الأمور تدهورت إلى الأسوأ عندما حملت



الأميرة جنينا في رحمها، كلما كان يقترب موعد ولادتها كانت الأمور تزداد سوءا إلى أن سقط الجنين وسط بركة من الدماء

ـ حسنا سيدتي، في القريب سنرفع هذا البلاء

أشار كبير السحرة لرفيقه « سباب»، فأنزل من على كتفه الحية الرقطاء، وقال بلهجة آمرة وحادة :

ـ دليني على ما وضعوه للإيذاء، كنا وما زلنا الأقوياء

أخذت الحية الرقطاء

تسعى في حجرة كبيرة الوصيفات «دعاء»

تبحث عن مصدر الأعمال السوداء

صعدت أولا على الحائط ثم هبطت من علياء

واستقرت تحت الوسادة البيضاء

تمتم الساحر «سباب» ثم نفخ في الهواء

اقترب كبير السحرة من فراش كبيرة الوصيفات وقال :

على هذه الوسادة مسحوق من قرون الأيائل البيضاء

لكي تقض المَضْجَعَ للنائم أو المتكئ على السواء

على من تدخل هذه الغرفة من الإماء

أن تضع هذه القلادة الحمراء



حول عنقها لتطرد كائنات تأتي للإيذاء

قبل أن تتخطي الأبواب البيضاء

بينما كان كبير السحرة ورفيقه «سباب» في غرفة كبيرة الوصيفات، كان الساحران «حراب» و»سلاب» في غرفة الأميرة «إسراء» .

طلب منها الساحران في الغرفة البقاء، ليستمعا لشكواها كان الإعياء والإرهاق واضحا علي وجهها، لذلك سألها الساحران في اقتضاب عما حدث ، قالت وهي تسترجع ما حدث في الفترة الأخيرة :

كان جنيني ينمو في الأحشاء

والجميع سعداء بهذه الأنباء

ولكن تبدلت الأحوال من السراء إلى الضراء

وتحولت الوفود المباركة إلى وفود عزاء

وأجمع فريق من الأطباء

علي أن أمورا تجري في الخفاء

والفاعل يتنفس معنا الهواء

كنت أرى كائنات تهبط من السماء

تتحرك في غرفتي دون حياء

أحيانا ترتدي سراويل بيضاء

وأحيانا لا يسترها رداء



تنظر إليّ بعيون حمراء

تتوعدني بالانتقام علي جرم هو هباء

تهمس لبعضها بكلمات جوفاء

كأصوات كلاب الماء

تهبط عند غروب الشمس من السماء

وعند شروقها تصعد لعلياء

ورأيت كائنات أخرى تشبه الخنفساء

تغزو جناحي وتطير في الهواء

وأنا أهرول في الأنحاء

وجنيني يصرخ في الأحشاء

وعظامي تؤلمني وأخشى البكاء

بعد أن استمع الساحران لشكوى الأميرة «إسراء» قال الساحر «حراب» :

ـ سيرشدنا هذا الصقر لما يحدث في الخفاء، ثم أمسكه من قدميه ورفعه في الهواء وهو يتمتم مخاطبا صقره :

ـ لا عودة الآن للوراء، فسكان القصر الكرماء ينتظرون منا الأنباء

حلق الصقر في سماء غرفة الأميرة «إسراء» عدة دورات وهو ينظر بعيون صفراء في كل اتجاه محددا هدفه، ثم



توقـف عــن الطـيران وهبـط عــلى الأرض، إلى جانــب حــذاء الأمـــيرة «إسراء» .

اتجــه الســاحر «حــراب» ورفيقــه « ســلاب» إلى خزانــة المفروشــات البيضــاء ، ثــم قــال «ســلاب»

مخاطبا الأميرة :

ـ في الجــوار أعــمال ســوداء، فعــلى هــذه الثيــاب مســحوق مــن أرجل الخنفســاء

أخــذ الســاحر «حــراب» يرتــل تعاويــذ، ثــم أمســك بــرداء، وأشــعل فيــه النــار، ومــا إن فعــل حتــى ســمع كل مــن بالغرفــة أصــوات عويــل وصراخ، ومــا إن فعــل حتــى أدرك الجميــع أن غرفــة الأمــيرة «إسراء» أصبحــت خاليــة مــن الأعــمال الســوداء

أشــار الســاحر «حــراب» للصقــر فطــار في الهواء واســتقر على كتفــه، واتخــذ جميعهم طريــق الخروج مــن غرفة الأمــيرة «إسراء».

التقــى الســحرة وكبيرهــم في المــكان الــذي اتفقــوا عليــه وهــم يشــعرون بأنهــم الأعلــون، لقــد

أنجــزوا مــا طلبــه الملــك الأب عــلى أكمــل وجــه حتــى الآن، عليهــم الوصــول إلى مصــدر هــذه الأعــمال والقضــاء عليهــا، حينئــذ ســيحصلون عــلى الجائــزة التي وعدهــم بها الملــك الأب .



العيون الحمراء

تفـرق السـحرة في أنحـاء القـصر يقودهـم كبيرهـم يبحثـون عــن أعــمال ســوداء هنــا وهنــاك، كان الســاحر «حــراب» يوجههــم بعــد أن ينــزوي في ركــن ويســتمع لمــا يقــال لــه :

وحينما اقترب من جناح الأمير «علاء»، قال :

ـ نعـم، أعـي جيـدا مـا تقـول، لا يوجـد شئ في هـذا المكان، حسـنا عليـك بلـوغ الهـدف، وإبلاغـي بمصـدر هـذه الأعمال .

التفت الساحر «حراب» لزملائه وقال :

ـ مصـدر هذه الأعـمال هو قصر الأمـيرة «ذات الـرداء»، علينا الدخـول إلى القـصر والسـيطرة عـلي مـن هنـاك وتنظيـف المكان

ـ رد الســاحر «سـباب» سـيكون مـن الصعـب، إن لم يكـن مـن المسـتحيل أن نبـاشر عملنـا في وجـود مـن قامـت بهـذه الأعــمال، لأنهــا ســتعوق حركتنــا



أيده في الرأي الساحر «سلاب» وقال :

ـ نحتاج إلى أن ندرس المكان جيدا قبل أن نبدأ، لاشك أنهم عرفوا الآن أننا نبذل جهودا جبارة لتنظيف المكان مما فعلوه وبالتالي هم يتحسبون لقدومنا، وبالتأكيد سيحاولون منعنا من الاقتراب من القصر

ـ رد كبيرهم في إشارة منه لإنهاء الجدال حول هذا الموضوع قائلا :

ـ سأطلب من الأمير «علاء» إخلاء القصر من قاطنيه قبل أن نبدأ العمل

رد السحرة الثلاثة في آن واحد :

ـ نحتاج على الأقل إلى العمل من شروق الشمس وحتى غروبها

أشار كبير السحرة للحارس الذي يقف علي باب غرفة الأمير «علاء»، وقال :

ـ أبلغ الأمير «علاء» أننا انتهينا من عملنا في المكان ونريد أن نلتقي معه الآن

ـ سمعا وطاعة سيدي

عاد الأمير «علاء» بعد لحظات وقال :



ـ هل انتهيتم من عملكم

ـ رد كبير السحرة ونبرة السعادة واضحة علي صوته :

ـ وفقنا الباري سيدي، قضينا على جميع الأعمال السوداء الموجودة في القصر، ولكن إن لم نلاحق هذه الأعمال في مصدرها، ستستجمع قواها ثم تعود لبث سمومها مرة أخرى في القصر، علينا الآن أن ندخل قصر الأميرة «ذات الرداء» ونحكم الخناق على الساحرة الصماء والتي قامت بهذه الأعمال لتنغص على العائلة الملكية حياتها .

ـ حسنا، الأميرة «ذات الرداء» ووصيفتها الصماء ستغادران القصر الليلة إلى ديار أبيها

ـ نحن سيدي لا نعمل في المساء، نحن نكون في أضعف حالاتنا عندما تغيب شمس الباري السحرة المارقين هم من يقومون بأعمالهم السوداء في المساء، أما نحن فنجيد عملنا في النور وليس في الظلام، سنبدأ العمل في الصباح الباكر، سنأخذ قسطا من الراحة الآن سيدي سمو الأمير لقد بذلنا مجهودا كبيرا اليوم وعلينا أن نستعد لمعركة الغد .

في تلك الليلة، بينما تستعد الأميرة «ذات الرداء» للرحيل إلى ديار أبيها، وقبل أن تهبط سلالم القصر ومن ورائها وصيفتها الساحرة الصماء، توقفت الساحرة عن السير خلف الأميرة ثم أومأت برأسها وقالت بصوت خافت :



ـ أعلم، ولكنهم لن يصلوا إلى شيئ

أسرعت الخطي للحاق بالأميرة وقالت :

ـ مولاتي، سيزورون القصر الليلة، يسعون لكسر شوكتنا

ـ وهل تعتقدين أنهم سينجحون في ذلك

لا سيدتي، رغم أنهم يحاولون التغلب عليَّ مجتمعين، إلا أن قدراتهم مازالت محدودة، لقد قمت بعمل مركب ومعقد، قلما يستطيع أحد إبطاله، أنا على ثقة أنهم لن ينجحوا في فك طلاسم هذه الأعمال، ولن يهنأ أميرهم بزواجه من الأميرة «إسراء» ولن ينعم الملك الأب بالراحة بعد اليوم، ولن يحتفظ رحم الأميرة «إسراء» بجنين بعد اليوم .... ثم ضحكت الأميرة ووصيفتها ضحكات هستيرية دون توقف ....

ـ والآن هيا بنا، الأمير «علاء» سيصل ليودعنا، أو لنقل ليتأكد من رحيلنا وإخلاء القصر لسحرته

لم يكن الأمير «علاء» حتى هذه اللحظة يعتقد أن الأميرة «ذات الرداء» وساحرتها الصغيرة قد عرفتا بأمر السحرة الذين استقدمهم، لإبطال الأعمال السوداء في القصر الملكي، ولم يكن يعرف أن الساحرة الصماء على علم أن السحرة سيأتون إلى قصر الأميرة «ذات الرداء» الليلة، لذلك كان يقوم بوداع الأميرة وعلامات السعادة



بادية على وجهه، في نفس الوقت الذي كانت الابتسامة لا تفارق شفتي الأميرة - ابتسامة التشفي - فقد كانت الأميرة تعرف جيدا قدرة وصيفتها الصماء .

لوحت الأميرة «ذات الرداء» بيدها من النافذة الضيقة للعربة الملكية والتي تجرها الخيول وهى تنطلق بسرعة في طريقها إلى مملكة «براء» .

ما إن غابت العربة عن الأنظار، حتي توقفت عربة أخرى أمام بوابة القصر الداخلية، ونزل منها كبير السحرة ورفاقه، ما إن اقترب من الأمير «علاء» أدى التحية بانحناءة خفيفة ثم قال :

- سيدي سوف نبيت الليلة هنا في حديقة القصر، لن نأتمن الدخول إلى المكان ليلا، ثم استدار لرفاقه قائلا :

- علينا أن نفترش بعض الأردية وسننام إلى جوار بعضنا البعض !!!

فعل كل ساحر ما أمر به كبيرهم، لحظات وغط الجميع في نوم عميق إلا كبيرهم، لقد شعر بأن شيئا ما يمكن أن يحدث في هذا الليل البهيم قد يعكر عليهم صفو ليلتهم أو يؤثر على استعدادهم للعمل في الغد، الوقت ليس في صالحهم، ساعات نهار الغد قد تبدو قليلة لأسباب كثيرة وأهمها الأعمال المعقدة والمركبة لهذه الساحرة الصماء،



لذلـك لم ينـم في تلـك الليلـة، بـل ظـل راقـدا عـلى ردائـه وهـو يتطلـع بعينيـه ناحيـة اليمـين وناحيـة الشـمال، لحظـات ويتلفـت وراءه ثـم ينظـر في اتجـاه القـصر، أحيانـا يـراه مضـاء بالشـموع وأحيانــا يــرى أضــواء الشــموع وهــي تتحــرك مــن غرفــة لأخــرى .

قبــل أن تــشرق شــمس البــاري ســمع كبــير الســحرة أصــوات حوافـر آتيــة في اتجاههــم والأرض تهتـز مــن تحتهــم، نــادى عــلى رفاقــه بسرعــة وطلــب الاحتــماء بالأشــجار، مــا هـي إلا لحظـات حتـى رأى الجميـع قطيعـا مـن الـدواب يجـري بسرعــة في اتجاههــم .

أيقـن السـحرة أن هنـاك قـوة خفيـة توجـه القطيـع إلى حيـث هم موجــودون

وقف كبير السحرة بينهم قائلا :

ـ أوشـكت شـمس البـاري عـلى الـشروق، أعـدوا أنفسـكم لقتـال مريـر لإبطـال هـذه الأعـمال !!!

اقترب السحرة من باب القصر لدفع البلاء

يتقدمهم كبيرهم وكلهم رجاء

وفتح الباب دونما عناء

تقدموا وبالأهازيج كان الغناء



وتمتموا بكلمات لإبطال الأعمال السوداء

فرأوا على الحائط بقع من الدماء

وفي الوسط نقوش لجماجم سوداء

ومن الستائر تتدلى عظام بيضاء

سمع الجميع لأصوات الغوغاء

والتي تعلوا كلما اقتربوا من صورة «ذات الرداء»

بالحجم الكبير وعيون جوفاء

وعليها ما يشبه الغطاء

من تراتيل السحرة ومن استمرار النداء

سقطت على السجادة الخضراء

أيقن السحرة أنهم مراقبون من الخفاء

تلك العيون تتحين الفرصة للإيذاء

بلغت قلوبهم الحناجر من الغناء

وأخيرا سقطت صورة «ذات الرداء»

فظهر مكانها تجويف في البناء

اندفعت منه آلاف العناكب السوداء

تتجه نحوهم تبغي الإيذاء

فتراجع الجميع للوراء

قال كبيرهم :

ـ إن استطعنا القضاء علي الأم سينتهي اللقاء

استجمع السحرة قواهم وبدءوا الغناء

بترتيل من أهازيج المساء

كلما انتهي أحدهم أشار للتالي بالنداء

ولما بلغ بهم العناء

قبل أن يقضوا على كبيرة العناكب السوداء

أشار كبيرهم للخروج للخلاء

قال الساحر «حراب» :

ـ علينا المحاولة ثانية، لقد نالت محاولتنا الأولى بالفشل الذريع، علينا تجديد المحاولة دون أن نستريح، هذه الساحرة الصماء، أتت بما لم يأتي به الأولون

رد الساحر «سباب»

ـ أي محاولة أخرى فاشلة سوف تنال منا وسنكون نحن الضحية، سوف تستطيع تلك الساحرة الجهنمية السيطرة علينا الواحد تلو الآخر

وقال الساحر «سلاب»



ـ علينـا أن نعـترف بأننـا لم نشـهد ذلـك مـن قبـل، وعلينـا أن نتحصـن بالمكائـد إن أردنـا أن نهزمهـا ونبطـل مفعـول تلـك الأعـمال السـوداء

أخيرا قال كبيرهم :

سـوف أطلـب لقـاء الأمـير «عـلاء»، أفكـر في خطـة للقضـاء عـلى تلـك الأعـمال وأأمـل أن تنجـح فالفشـل لا يعنـي إلا انهيـار كل شـئ .

الخدعة

أسرع كبير السحرة إلى القصر الملكي، ما إن وصل طلب لقاء الأمير «علاء»

دخل الحارس ليبلغ الأمير برغبة كبير السحرة في لقائه فسأله :

ـ يريد لقائي في هذا الوقت المبكر

ـ نعم سمو الأمير

ـ أدخله في الحال، يبدو أن الأمر مهم

دخل كبير السحرة وهو يحاول أن يستجمع شجاعته لكي ينقل للأمير الحقيقة كاملة، فبدأ كلامه عن صعوبة المهمة نظرا للقدرة المذهلة للساحرة الصماء على إخفاء أعمالها السوداء، فهي تارة داخل الحائط وتارة أخرى تحت الأرض .

ـ وما العمل إذن يا كبير السحرة ؟ هل سنعيش أسرى هذا الكابوس طويلا ؟

ـ لابد أن نخدعها سمو الأمير ثم نأخذها على حين غرة

ـ ماذا تقصد بحين غرة ؟

ـ متى ستعود الأميرة إلى القصر ؟

ـ ستعود مساء اليوم، يبدو وأنها كانت تعلم بأنكم ستفشلون في مهمتكم، لذلك بعثت برسول ما إن وصلت، تبلغني بأنها لن تمكث إلا ليلة واحدة في إمارة «براء»

ـ هذا سيدي ما كنت أود أن أعرفه، الساحرة الصماء تعلم كل كبيرة وصغيرة عما نفعله بالقصر، لذلك سنعود أنا ورفاقي لمحاولة إبطال الأعمال السوداء فيه، على أن يأمر سمو الأمير، بمجموعة من الحرس الأشداء بنصب كمين لهم في الطريق الذي سيعودون منه .

ـ ألم تقل بأنها تعلم كل شئ عما تفعلونه ؟

ـ سينصب اهتمام الساحرة الصماء علي ما نفعله نحن ولن تلتفت لما يحاك لها في الظلام سوف أنصب الشباك فوق فروع الأشجار، وما إن تقترب العربة الملكية من مكان الفخ نشعل النيران في فروع الأشجار، لا شئ سيدي يخيف الساحر مثل النار .



ـ حسنا، سنفعل كل ما تريد، المهم أن تضع حدا لتلك الملهاة

ـ سنضع حدا لهذا الهراء الليلة سمو الأمير

أسرع كبير السحرة عائدا لرفاقه، وأطلعهم على خطته للقضاء على الساحرة الصماء وعلى أعمالها السوداء، وطلب من الساحر «حراب» استقدام كافة سحرة المملكة ليساعدوهم في تشتيت انتباه الساحرة الصماء .

وبالفعل اجتمع السحرة في المكان الذي جرى فيه إعداد الكمين، وما إن اقتربت العربة الملكية التي تجرها الخيول أحاط بها السحرة من كل جانب وهم يرفعون مشاعل النار، ألقى الحراس الأشداء القبض على الساحرة الصغيرة واقتادوها إلى الملك الأب .

استقر رأي الملك الأب على عقاب الساحرة الصماء

بحبسها في إحدى الغرف الظلماء

عدة أيام ثم تعريضها للأضواء

فتفقد الإبصار وتصبح عيونها بيضاء

وأمرها ولي العهد بالبقاء

في كوخ خشبي على أطراف مملكة «ساموراء»

يشبه تابوت القدماء

عقابا لها على أعمالها السوداء

ضد أمي الأميرة «إسراء»

وضدي أنا الأميرة «حسناء»

أما زوجة أبي المرأة الخرقاء

والتي تدعي «ذات الرداء»

أيقنت أنه لا راد لمشيئة رب السماء

فآثرت العودة إلى إمارة «براء»

بعد سنوات توفي الملك الأب وتُوج ولي العهد الأمير»علاء» ملكا فأحسن للبسطاء وأنجب أميرا دعاه «وفاء»

(تم بحمد الله)

(نلتقي بمشيئة الله في الجزء الثالث)

(الأسيرة)

التواصل مع داركتاب

Email : darkitabone@gmail.com

fasbook : darkitabone

البدج داركتاب

٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨